بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

الذات الالهية
بين الاسلام والنصرانية

رسالة مقدمة الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة
لنيل درجة الماجستير في العقيدة

اعداد

عبد الشكور محمد أمان عبد الكريم

واشراف

الدكتور / عوض الله جاد حجازي
الاستاذ / بقسم الدراسات العليا بالكلية

في سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

" بسم الله الرحمن الرحيم"

ملخص الرسالة

هذه الرسالة (الذات الالهية بين الاسلام والنصرانية) بحث علمي مقارن ، قصد منه التوصل الى معرفة الحق في العقيدة النصرانية في الله تعالى ، ومقارنة ذلك بالعقيدة الاسلامية في الذات الالهية.

وقد تبين لنا من خلال البحث ، أن المسيحيين بعد المسيح كانوا يعتقدون أن الآلهة ثلاثة ، هي الآب ، والابن ، والروح القدس ، وأنهم كانوا يطلقون عليها اسم : الأقانيم الثلاثة . وأنهم يرون أن هذه الآلهة الثلاثة متساوية في الجوهر والحقيقة ، وأنهم ينسبون الى الآب الخلق بواسطة الابن ، وينسبون الى الابن الفداء ، والى الروح القدس الاحياء والتطهير ، وهم يرون أن المسيح ابن الله نزل ، وتجسد في رحم مريم ، وولد منها ، ويعتقدون أن المسيح قد أمسك به اليهود ، وقبضوا عليه ، وصلبوه وقتلوه وأنه قام بعد ذلك ، ثم صعد الى السماء وجلس بجوار أبيه .

أما العقيدة الاسلامية فهي تؤمن بالتوحيد ، ذلك أن الخالق للعالم واحد وأن المعبود واحد . وأن هذا الاله الواحد متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص ، وأنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، قال تعالى (قل هو الله أحد ، الله الصمد لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد) .

وأن الاسلام يرى أن المسيح عبد الله ورسوله ، وأنه من البشر ، ولد من مريم من غير أب ، كما نشأ آدم عليه السلام من غير أب ولا أم ، قال تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) .

و أن المسيح لم يصلب ولم يقتل بل رفعه الله اليه .

ولقد رجعت الرسالة في كلامها عن العقيدة المسيحية ، الى كتب النصارى الأصلية ، من العهد القديم والعهد الجديد ، ثم ناقشت عقيدة التثليث وأبطلتها بالعقل والنقل : (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد) .

— —

كما ناقشت عقيدة الصلب عند المسيحيين وأبطلتها بالعقل والنقل ، اذ كيف يرتكب آدم الخطيئة ، ثم يرسل الله ابنه ليكفر خطيئة غيره مع أن العقل لا يجيز أخذ البرئ بجريمة المذنب ، فلا تزر وازرة وزر أخرى ، يضاف الى ذلك أن الله تعالى كان فى قدرته أن يكفر خطيئة آدم بالمغفرة ، فلماذا كان بارسال ابنه الوحيد ؟ !!

ثم انهم يقولون ان المسيح قد نزل للفداء والتكفير ، مع أن كتبهم تقول انه كان يهرب ، ويختفى من اليهود ، خشية الموت والقتل ، وهو تناقض ظاهر.

والقرآن الكريم يقول : (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم).

ثم ناقشت الرسالة المصادر المسيحية للعقيدة النصرانية ، فبينت أنها مصادر مزيفة ، وغير حقيقية ، لا يصح الاعتماد عليها ، اذ أنها تتضارب فيما بينها فى الخبر الواحد . علاوة على أن العلماء : مسيحيين وغير مسيحيين قد اختلفوا فى نسبتها الى كاتبيها ومؤلفيها ، الأمر الذى تنعدم معه الثقة فيها فضلا عن أن يكون كاتبوها ملهمين كما يدعون .

أما العقيدة الاسلامية فقد رجعت فيها الى القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، والى بعض كتب تفسير القرآن ، وكتب السنة الصحيحة المعتمدة ، والله ولى التوفيق ...

" بســم الله الرحمن الرحيم"

* شكـــــــر وتقديـــر *

بعد شكر الله عـز وجـل علـى ما من به من اتمام هذه الرسالة ، أتقدم بجزيل شكـرى وعرفانـى الى كافـة المسؤولين فـى جامعة الملـك عبد العزيز والى عميـد كليـة الشريعـة والدراسات الاسلاميـة ، والمسؤولين عن قسـم الدراسات العليا، على ما قدموا الى من عـون فى سبيـل القيام بواجبـى الدراسى ، حتى تمكنت بفضل الله تعالى ، ثم بمساعدتهم من التغلـب على كثير من الصعوبات التى واجهتنى فى بداية هذا البحث ، والتى تتمثـل فى ندرة مراجعه فى المملكة ،حتى سهلوا لى السفر نحو القاهرة للاطلاع علـى كثير من مصادره ، ولولا ذلك ، لما أمكن انجاز هذه الرسالة فى هذا الوقت.

وأقدم شكرى الجزيل لفضيلة الدكتور عوض الله جاد حجازى الذى أشـرف على هذه الرسالة ، وأعطانى من وقته الشىء الكثير ، وذلل لى صعوبـات جمة واجهتنى فى هذا الموضوع بفضل الله تعالى ، ثم بفضل اخلاصه وحرصـه الشديدين على ما من شأنه أن يوصل الى التحصيل العلمى من أيسر أبوابـه وهو صاحب اليد الطولى فى انجازى لهذه الرسالة فشكر الله له وجزاه عنـى وعن العلم وأهله خير الجزاء.

ثم أشكر زملائى فى الدراسات العليا ، الذين استفدت من محادثاتهـم ومشاوراتهم كما أشكر أساتذتى الكرام ، الذين قدموا لى ولزملائى الشىء الكثير من النصح أثناء الدراسة المنهجيـة . والحمـد لله أولا وآخـرا ....

فهرس الموضوعــــــات

تابع فهرس الموضوعـــات

تابع فهرس الموضوعات

تابع فهرس الموضوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الرسالة

الحمد لله الذى أنزل على عبده القرآن ، وجعله مهيمنا على الكتب السابقة عليه والأديان، وارتضى لعباده الاسلام دينا قيما ، أساسه التوحيد واجتناب الشرك بالله ، وجعل من ابتغى دينا غيره أن يكون نصيبه فى الآخرة الهلاك والخسران ، قال تعالى : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) (١) والصلاة والسلام على رسولنا محمد الهادى الأمين الذى بعثه الله لهداية الثقلين من الأنس والجن، والذى دعا أهل الكتاب الى كلمة سواء بأفصح بيان وأوضح برهان ، فقال تعالى مخاطبا له : (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) (٢) وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا فى الله حق جهاده ، وتمسكوا بدين الله وآدابه وكل من دعا بدعوة التوحيد الى يوم الدين .

(أما بعد) :

فقد لفت نظرى وأثار اهتمامى ، أثناء دراستى الأولى فى الثانوى وفى الكلية ما يكتنف معتقد النصارى فى الذات الالهية من غموض واستعجام ، وبعد عن المعقول والمنقول ، وكنت قد عقدت العزم ، وأنا طالب فى كلية الشريعة بالجامعة الأسلامية أن أدرس عقيدة النصارى ، وأدلتهم وما يتمسكون به من شبه فى دعواهم وقولهم بالتثليث ، واستمرت هذه النية فى القلب الى أن حانت لى الفرصة ، وذلك عندما قدر الله تعالى لى أن ألتحق بقسم الدراسات العليا فى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة ، والتابعة لجامعة الملك عبد العزيز ، فقد كان من شروط القسم وأنظمته المعمول بها ، أن يتقدم طالب الدراسات العليا بعد نجاحه فى الدراسة المنهجية ، ببحث علمى ، ينال به درجة التخصص (الماجستير) على أن يكون هذا البحث فى مجال الفرع الذى تخصص فيه الطالب .

ولما من الله تعالى على بالتوفيق والنجاح فى السنتين المنهجيتين — وكان تخصصى فى فرع العقيدة — رأيت الفرصة سانحة لتحقيق رغبتى الأولى فى دراسة عقيدة النصارى

---

(١) آل عمران ٨٥ (٢) آل عمران ٦٤

دراسة علمية ، فاخترت أن يكون موضوع رسالتي لدرجة الماجستير العقيدة النصرانية، ومقارنتها بالعقيدة الاسلامية ، ولما كان أظهر نقطة في الخلاف بيننا وبينهم ما يتعلق بالذات الالهية ، وما يتعلق بعيسى ابن مريم عليه السلام ، رأيت أن يكون عنوان الرسالة هو :

" الذات الالهية بين الاسلام والنصرانية "

وكان ذلك لامور :

١ـ منها ، ما ذكرته آنفا من كون عقيدة النصارى في الذات الالهية غامضة معقدة، فأردت لذلك دراسة أدلتهم ، ومايتعلقون به من شبه ، لأتبين وجهة نظرهم في ذلك ، حتى يكون الحكم عليها بعد ذلك عن دليل وبينة.

٢ـ ومنها : عقد المقارنة بين العقيدة الاسلامية في الذات الالهية ، وبين العقيدة النصرانية ، كي نتبين على ضوئها ما يوجد بين العقيدتين من اتفاق أو اختلاف ومع صعوبة منهج المقارنة ،فانه ينبغي أن يكون في مثل هذه الدراسة، لأن المقارنة بين أمر علمت صحته وظهر صدقه ،واتضح يقينه وموافقته للعقل السليم ، كالاسلام ، وبين أمر لم يتبين منه ذلك ، كالنصرانية ، قد توصل المرء الى معرفة وجه الخطأ أو الصواب في ذلك المجهول .

٣ـ ومنها : تبين أسباب الغموض في النصرانية ، وايقاف الناس من نصارى وغيرهم على ما فيها من تضارب وتناقض يأباه العقل ، لعل ذلك يكون سببا في هداية الحيارى ممن لا يعلم من المسيحية غير الانتساب اليها ، واعتبارها فوق ادراك العقل الانساني ،مع أن الله عز وجل لم يكلف الانسان فيما أنزله على رسله بما هو فوق ادراكه العقلي ،فان العقيدة انما أنزلها الله تعالى لسعادة الانسان في الدارين ، وهدايته الى سبيل الخير والرشاد .

٤ـ ومنها : بيان أن الدين الالهي الذي ارتضاه الله لعباده طريقا ، لايصح أن يكون فيه غموض ولا أسرار ، اذ انه انما أنزل لكافة الناس على اختلاف درجاتهم في الفهم والعقل ، ولم يكن فهم الدين لطبقة خاصة منهم .

وقد تقدمت بهذا الموضوع الى المسؤولين عن قسم الدراسات العليا ،فوافقوا على اعتماده وتسجيله ، وبعد ذلك شرعت في قراءة مراجعه ، ورسم الخطة والمنهج الذي يجب أن أسير عليه في دراسته ،مستعينا بالله تعالى . فوفقني جل شأنه الى بيان المنهج وخطة البحث على النحو التالي :

رتبت هذه الرسالة على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمـة •

أما المقدمة ، فقد بينت فيها الأسباب والدوافع ، التى من أجلها رغبت فى اختيـار هذا الموضوع ، وذكرت الخطة والمنهج الذى سلكته فى اعداد هذه الرسالة•

وأما الباب الأول ، فكان عن الذات الالهية كما يتصورها المسيحيون بعد المسيح ويشتمل على أربعة فصول •

الفصل الأول : وقد ذكرت فيه الايمان بوجود الله عند المسيحيين ، والأدلة التى أقاموها على وجوده ، الأدلة التاريخية ، والأدلة العلمية ، وصفـات الله تعالى عندهم ، ثم صلته بالعالم•

والفصل الثانى : كان عن التجسد فى نظر المسيحيين ، معناه وتاريخه ، ثـم مناقشة أدلتهم على التجسـد ، ثم ذكرت رأيهم فى الكلمة ومعناها ، وناقشت أدلتهم فى معنى الكلمة•

والفصل الثالث ، تناول البحث فيه ، بنوة المسيح لله ، وأبوة الآب ، والروح القدس ، والمراد بالاقانيم فى نظرهم ، ثم معنى الأبوة ، والبنوة فـى اصطلاحهم ، ومناقشة ذلك ، ثم مناقشة أدلتهم على أقنومية الآب ولاهوته•

والفصل الرابع : تناول البحث فيه ، ألوهية الابن وأقنوميته ، وأدلتها مـن العهد الجديد ثم من العهد القديم ، وألوهية الروح القدس وأقنوميته — وألوهية الآب وأقنوميته ، وأدلتها من العهد القديم ، ومن الأناجيل ، ثـم تكلمت عن تاريخ التثليث فى النصرانية وناقشت أدلة النصارى على التثليث•

وأما الباب الثانى : فكان عن الذات الالهية فى الاسلام • وقد اشتمل هـذا الباب على فصلـين •

الفصل الاول : كان عن الايمان بوجود الله فى الاسلام ، والأدلة علـى وجوده ، وبيان صفات الله تعالى فى الاسلام ، والمقارنة بينها وبين صفاته فـى المسيحية ، وصلته تعالى بمخلوقاته•

والفصل الثانى : كان البحث فيه عن وحدانية الله فى الاسلام ، والدلائل الكونية على ذلك ، وبيان المراد بروح القدس فى الاسلام ومناقشة ما يتعلق بالأقانـيم

وأما الباب الثالث : فكان عن المسيح كما يتصوره المسيحيون ووصفته الأناجيل ، ويشتمل هذا الباب على أربعة فصـول :

الفصل الاول : ويشتمل على تمهيد وما يتعلق بحمل المسيح وولادته ونشأته وما يتصف به عليه السلام من صفات ، كما وردت فى الأناجيل .

والفصل الثانى : ويتناول البحث فيه ، دعوة المسيح ومميزاتها ، وبيان المعارضين لدعوته ،وعرض نماذج من الآيات التى ظهرت على يديه .

والفصل الثالث : ويتناول البحث فيه موضوع الصلب كما تحدثت عنه الأناجيل ، والأدلة الانجيلية المنافية له ،ثم بيان قيامة المسيح .

والفصل الرابع : تكلمت فيه عن بولس وآثاره فى النصرانية وتناول البحث فيه ، أصل بولس ونشأته ومحاربته للمسيحية ، ثم اعتناقه المسيحية ، ودعوته للناس وبيان منهجه ومصدر تعاليمه فيها ، وما واجه من معارضة من المسيحيين المعاصرين له ، وارتداد الناس عن دعوته ، ثم بيان مؤلفاته .

وأما الباب الرابع : فكان عن المسيح فى القرآن الكريم ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ذكرت فيه نسب المسيح عليه السلام ، وبشارة مريم بحمله ، وحملها بالمسيح ، ومولده ونشأته ، وصفاته معتمدا على الآيات القرآنية الكريمة فى ذلك .

والفصل الثانى : وفيه بيان دعوة المسيح لبنى اسرائيل ، والآيات التى جرت على يديه ، وأثر دعوته فى بنى اسرائيل .

والفصل الثالث : ذكرت فيه موقف القرآن الكريم من قضية الصلب ، ونهاية عيسى عليه السلام على الأرض ، وآراء علماء الاسلام فيها ، وابطال القرآن لعقيدة التثليث .

وأما الباب الخامس : فكان عن المصادر المسيحية فى الميزان ، وفيه فصل واحد ، ـ ويشتمل على ترجمة لكتاب الأناجيل الأربعة ، ثم تاريخ كتابتها ، واللغة التى كتبت بها ،والتى ترجمت اليها ، وتاريخ ترجمتها .

وأما الخاتمة ، فقد بينت فيها النتائج التى توصلت اليها من هذا البحث .

هذا ولقد رجعت فى كتابة هذا البحث الى المصادر المسيحية الأصيلة فيه ، فقرأت كتب النصارى فى العقيدة التى عرضت معتقدهم ، وبذلت جهدى فى حل رموزهم وعقدهم ،ولم أنقل عقيدتهم عن غيرهم ، وتوخيت الدقة فى عرض أدلتهم ووجهات نظرهم ،وقد اعتمدت فى ذلك كله على " الكتاب المقدس " من الأناجيل والرسائل وغيرها من الكتب المسحية الخاصة بالعقيدة ، حتى لا يكون أى حكم على عقيدتهم نتيجة لتصور خاطئ ،بل يكون ذلك بعد تصور وفهم لها ، ليكون الحكم بعد ذلك عن بصيرة وروية .

وقد بذلت جهداً شاقا فى فهم آرائهم ، وعرضها فى أبواب هذا البحث كما هى مذكورة فى كتبهم ،ليتمكن القارئ من الرؤية الواضحة لمقيدتهم من خلال أدلتها .

ولقد واجهتنى فى ذلك صعوبات جمة فى فهم نصوصهم ، واستخلاص آرائهم منها ،وخاصة نصوص الكتاب المقدس ، التى تعتبر معقدة فى تركيبها ، ولاتنطبق عليها قواعد اللغة ، ولا تخضع لقوانينها ، الا أن الله تعالى أمدنى بمن ذلل لى تلك الصعوبات ، وهو فضيلة المشرف على هذه الرسالة ، الذى أدعو له بالعطاء الجزيل ، والأجر الجميل ، كما واجهتنى صعوبة شاقة فى فهم كلام الشراح من المسيحيين ، الذين كانوا يصورون العقيدة بتشبيهات وتمثيلات غاية فى الضعف ومغرقة فى الخيال .

وبعد : فهذه رسالتى أتقدم بها الى قسم الدراسات العليا ، بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، فى جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، والى أصحاب الفضيلة ، أعضاء اللجنة الكرام ، واضعا بين أيديهم ثمرة مجهودى الذى بذلت فيه الطاقة ،وباكورة انتاجى العلمى ، الذى أسأل الله تعالى أن يثيبنى عليه. فقد خضت هذا الموضوع رغم صعوبته واستعصائه على كثير من الباحثين ، وندرة مراجعه فى المملكة ، مما اضطررت معه الى السفر الى القاهرة للاطلاع على المراجع ، بل وشراء أغلبها .

والحمد لله أولا وآخرا ، وهو حسبى ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

بسم اللـه الرحمن الرحيم

البـــــاب الأول

الـذات الالهية كما يتصورها المسيحيون بعـد المسيـــح

ويشتمل على أربعة فصـول

الفصـل الأول

* الايمان بوجود الله عند المسيحيين
* الادلة على وجوده :
  الأدلة التاريخية ـ الأدلة العلمية
* صفـات الله تعالى عندهم
* صلتـه بالعالـم

الايمــان بوجـــود اللــــــه

ان الايمان بوجود الله ، يعتبر حجر الزاوية في الأديان السماوية "١" ، وبما أن المسيحية ليست بدعا من تلك الأديان ، فان الايمان بوجود الله يعتبر نقطة الانطلاق والقاعدة الأولى لبناء المسيحية قديما وحديثا •

يقول القس الياس مقار : " واذا كان من المحال على الانسان ان يصل الى آخر شوط في طريق الايمان بوجود الله ، فلا أقل من أن يسير في هذا الطريق بعض الأشواط ، وسيكشف في سيره ان آجلا أو عاجلا ما قيل قديما :
" ان الفكر عن الله كالشمس في كبد السماء لا يقدر احد ان يحدق فيها بعينه ، وان كان من اليسير أن يرى في ضوئها كل شئ " "٢"

وجاء في الرسالة الى العبرانيين :
" ولكن بدون ايمان لا يمكن ارضاؤه لأنه يجب ان الذي يأتي الى الله يؤمن بأنه موجود ، وأنه يجازى الذين يطلبونه " ١١ : ٦ •

ويقول صاحب كتاب : " التفاسير البيضاوية المسيحية " في شرحه لما ورد في الرسالة الى العبرانيـــين ما نصـــه :
" وهذه عبارة ذات أهمية اذ وجد بين جماعة العبرانيين المسيحيين — وهـــو الارجح — نفر ممن كانوا من الأمم في الأصل ، لأن الامم في ذلك العصر ارتابوا فـي وجود اله حي عامل متسام فوق الكل " "٣" •

ان الاعتراف بوجود الله والايمان به ، أمر لا يحتاج الى نقاش ، وغير قابل للجدل لدى المسيحيين حتى انهم ليقولون ، انه لم يرد في الكتاب المقدس نص يناقـــش هذه المسألة ، نظرا لبداهة العلم بوجود الله • ورغم هذا فان كتابهم لا يلزمـــون

---

١) الأديان السماوية هي التي انزلها الله تعالى على رسله منها اليهودية والمسيحية قبل تحريفهما ، ومنها الاسلام • وهي خلاف الاديان الوضعية التي وضعهـا البشر من عند انفسهم •
٢) ايماني او قضايا المسيحية الكبرى ص ٣٢ مطبعة دار العلم العربي طبعة ثانية
٣) التفاسير البيضاوية المسيحية للكاتن • هـ • ت • جردنر ، وآخرين ص : ١٢٤ — ١٢٥ أصدرته دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهـــرة طبع بمطبعة كوستاف توماس وشركاه ، طبعة ثانية

الصمت في هذا الشأن ، وانما اقاموا الأدلة المتعددة على وجود الله ، وذلك ، نظرا لما يزخر به العالم قديما وحديثا من المتمردين على المعايير العقلية والتعاليم الربانية الذين يرفضون الاعتراف بوجود الله تعالى ، ولذلك حاولوا تفنيد آراء المنكرين ، ودللوا على وجوده بأدلة عقلية وتاريخية ، وطبيعية ، وشهادات علمية ، فلننظر فيما يأتي في أدلتهم على وجود الله •

الأدلة على وجوده :

لما كان الايمان بوجود الله هو الأساس الأول الذي ترتكز عليه الديانة المسيحية ، ولما كان الماديون يحاولون ان يطمسوا معالم الايمان بوجوده ، وصاروا يبذلون في ذلك قصارى جهدهم ، كان لزاما على المسيحيين أن يبرهنوا على وجود الله ببراهين تلزم الخصوم وتقحمهم بالتسليم بوجود الله ، وقد سلك الكتاب المسيحيون مسلك الاستدلال بالأدلة الكونية ، والتاريخية ، وشهادة الكشوفات العلمية ، وهو مسلك له ثقله ووجاهته على الصعيدين المادي المنكر لوجود الله ، والايماني الذي يؤمن به •

أ — الأدلة الكونية على وجود الله :

يقول العالم الطبيعي ، ا • كريسي موريسون في كتابه (العلم يدعو للايمان) :

" ان وجود الخالق تدل عليه تنظيمات لا نهاية لها ، تكون الحياة بدونها مستحيلة • وان وجود الانسان على ظهر الأرض ، والمظاهر الفاخرة لذكائه انما هي جزء من برنامج ينفذه بارئ الكون " "١"

ويقول عالم الرياضيات والفيزياء — ايرل تشتر ريكس :

" وبرغم ما للعلوم من قيود وحدود ، فلنظرياتها ونتائجها فوائد لا تحصى ،

---

١) العلم يدعو للايمان ص ٤٦ طبع مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٥م كريسي موريسون هو الرئيس السابق لاكاديمية العلوم بنيويورك ، ورئيس المعهد الامريكي بها ، وعضو المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي بالولايات المتحدة وزميل في المتحف الامريكي للتاريخ الطبيعي ، وعضو مدى الحياة للمعهد الملكي البريطاني •

وكذلك الحال بالنسبة لموقف العلوم من كشف اسرار هذا الكون والدلالة على خالقها • فدراسة الظواهر الكونية دراسة بعيدة عن التحيز ، تتسم بالعدل والانصاف قد اقنعتني بأن لهذا الكون الها ، وأنه هو الذى يسيطر عليه ويوجهه ، أى أن هنالك سيطرة مركزية هى سيطرة اللهتعالى وقوته التى توجه هذا الكون "١" •

ويقول القس الياس مقار : " والطبيعة اول وأقدم شاهد على وجود الله ، ويكفى ان ترفع نظرك الى فوق أو تسرح طرفك فى الفضاء الواسع لتهتف مع داود : " السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه " (مز ١٩ : ١) وتصيح مع بولس : " لأن اموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولا هوته " (رو ١ : ٢٠) "٢"

ب — الأدلة التاريخية على وجود الله تعالى :

ان التاريخ البشرى ملىء بالتقلبات والحوادث ، وان التسلسل التاريخى لحياة البشر لا يكاد ينقطع ، وذلك منذ الانسان الأول حتى يومنا هذا على الرغم مما يعلوه فى بعض الاحيان من غبار التقادم ، وما ترسب عليه بمرور الزمن وتلاحق الأيام ، ولم تخل الحياة البشرية فى يوم ما ممن يعترف بوجود الله ، ويدعو الى الايمان به ، وليس أدل على ذلك من توالى الرسل والأنبياء الذين ما برحت آثارهم وأخبارهم تصاحب الحياة الانسانية فى الكفر والايمان ، وتاريخ البشرية يحمل فى طياته الايمان بوجود الله عبر الحياة الانسانية الطويلة •

يقول القس الياس مقار : " قف قليلا على روابى الزمن وتطلع الى المدنيات والحضارات والأمم والممالك وهى ترتفع وتعلو ، ثم لا تلبث أن تسقط وتغيب ، وانت تهتف مع دانيال : " ليكن اسم الله مباركا من الأزل الى الابد ، لأن له الحكمة والجبروت ، وهو يغير الاوقات والأزمنة ، يعزل ملوكا وينصب ملوكا "

---

١) الله يتجلى فى عصر العلم ص ١٠٩ دار الاتحاد العربى للطباعة عام ١٩٦٨م ايرل تشتريكس ، حاصل على درجة الماجستير من جامعة واشنطن ومحاضر بجامعة جنوب كاليفورنيا سابقا وعضو الجمعية الرياضية الامريكية •

٢) ايمانى او قضايا المسيحية الكبرى ص ٣٣ •

(دا ٢ : ٢٠ و ٢١)) أجل ، فما وحدة التاريخ ، واتجاهه الأدبي ، وكونه يعيد نفسه على توالي الأزمان والحقب ،ليس الا دليلا على وجود الله ..
يضاف الى ذلك انه لم يهمل — أي التاريخ — في يوم من الأيام في تدوين الحركات الدينية والايمان القوي بوجود الله الذى صاحب الشعوب والجماعات جيلا اثر جيل " "١"

جـ — الأدلة العلمية على وجود الله تعالى : "٢"

ان وجود الباطل يرفع من قيمة الحق ، كما أن وجود الظلام يرفع من قيمة النور ،كذلك المرض يدفع بصاحبه الى البحث عن الطبيب . والوحوش الضارية تلجيء الانسان الى ان يحيط نفسه وماله بسور متين وحصن حصين ، وسلاح يحتمي به ويدافع به عن النفس عند اللزوم ، وذلك مالم يتخل عنه البشر منذ فجر التاريخ ، ولن يتخلى عنه حتى تقوم الساعة .

فكما أن البشر لا يزالون يواصلون مواجهة الأمراض البدنية بالبحث عن العقاقير تلو العقاقير كلما جد مرض ،فكذلك لم تلن لاصحاب الديانات قناة في ايراد الدليل تلو الدليل في مواجهة الأمراض الروحية كلما انحرف النسل عن الدين ، ونبذوا الاعتراف الا بما هو مادي يلمس أو يرى .

وفي مواجهة الماديين بالحقائق العلمية الثابتة التي تشهد ببديع الصنع وعظيم الاتقان ، كتب كثير من العلماء الأمريكيين المتخصصين في مختلف الفنون ، حيث ان كلا منهم أثبت بعد بحث طويل ،ان هناك نظاما معجزا يسيطر على هذا الكون ، ويحكمه بسنن وقوانين ثابتة لا تتغير ولاتتبدل ، وهي في دقة تصميمها وبديع صنعها ، تصرخ في وجه الماديين بأن لها خالقا بارعا حكيما ، وتنادي بأن لا صدفة في وجود هذا الكون العجيب .

وكان احد اولئك الكتاب العالم الطبيعي الفيلسوف (ميرابت ستانلي كونجدن) "٣" الذى قال بعد بحث طويل : " .. وكيف نستطيع ان نفسر

---

١) المصدر السابق ص ٣٤ — ٣٥

٢) الأدلة العلمية يمكن ان تكون دليلا على وجود الله في الاسلام ايضا ،لأن الحقائق العلمية لا تختص بفريق دون فريق ، لأن الحق ضالة المؤمن .لذلك ، فلا يتوهمن القاريء من عرضها هنا ،أنها خاصة بالمسيحيين .

٣) ميرابت ستانلي حاصل على درجة دكتوراه من جامعة بورتون ،وأستاذ سابق بكلية ترينيتي بفلوريدا ،وعضو الجمعية الامريكية الطبيعية ،واخصائي في الفيزياء وعلم النفس وفلسفة العلوم والبحوث الانجيلية .

هذا الانتظام فى ظواهر الكون والعلاقات السببية ، والتكامل ، والغرضية ، والتوافق ، والتوازن ، التى تنتظم سائر الظواهر وتمتد آثارها من عصر الى عصر ؟ كيف يعمل هذا الكون دون أن يكون له خالق مدبر هو الذى خلقه وأبدعه ودبر سائر أموره ؟

ان جميع ما فى الكون يشهد على وجود الله سبحانه ، ويدل على قدرته وعظمته ، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية ، فاننا لا نفعل اكثر من ملاحظة آثار أيادى الله وعظمته ، ذلك هو الله الذى لا نستطيع أن نصل اليه بالوسائل العلمية المادية وحدها ، ولكننا نرى آياته فى انفسنا ، وفى كل ذرة من ذرات هذا الوجود ، وليست العلوم الا دراسة خلق الله وآثار قدرته " "١"

ويقول رسل تشارلز آرنست ـ اخصائى علم الأحياء والنباتات :

" اننى اعتقد ان كل خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقد درجة يصعب علينا فهمها ، وأن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرته شهادة تقوم على الفكر والمنطق ، ولذلك فاننى أومن بوجود الله ايمانا راسخا " "٢"

ويقول جورج هربرت بلونت ـ استاذ الفيزياء التطبيقية :

" ولا يمكن ان يتصور العقل أن هذا النظام قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم أو من الفوضى ، وعلى ذلك فان الانسان المفكر لا بد له ان يصل ويسلم بوجود اله منظم لهذا الكون ، وعندئذ تصير فكرة الالوهية احدى بديهيات الحياة ، بل الحقيقة العظمى التى تظهر فى هذا الكون ، والمطابقة بين الفرض والنتيجة تعد برهانا على صحة هذا الفرض . والمنطق الذى نستخدمه هنا هو انه اذا كان هنالك اله فلابد ان يكون هنالك نظام . وعلى ذلك فما دام هنالك نظام فلابد من وجود اله " "٣"

---

١) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٢٠

٢) نفس المصدر ص ٧٧ رسل تشارلز ارنست ، حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة منيسوتا واستاذ فى جامعة فرانكفورت بالمانيا ، وعضو الاكاديمية العلمية بانديانا .

٣) نفس المرجع ص ٨١ جورج هربرت ، حاصل على درجة الماجستير من معهد كاليفورنيا التكنولوجى ، وكبير المهندسين بقسم البحوث الهندسية بجامعة كاليفورنيا .

هكذا تشهد كل ذرة من ذرات الكون بوجود الله سبحانه ، ولكن هل يكفى للايمان التسليم بوجود مدبر لهذا الكون ، أولا بد مع ذلك من التسليم والاعتراف بصفات لهذا الصانع المدبر ؟

وهذا أيضا ما يؤمن به المسيحيون ، وسيأتى عرض بعض تلك الصفات التى يصف المسيحيون بها الله فى كتبهم .

صفات الله تعالى عند المسيحيين

ان للصفات الالهية أهمية كبيرة في جميع الديانات السماوية ، اذ أن الصفات هي التي تميز ملامح هذه العقيدة من تلك ، ومن المعلوم أن الاديان السماوية الثلاثة التي هي اليهودية والمسيحية والاسلام تؤمن بوجود الله ، وليس بينها من اختلاف في هذه البداية الايمانية ، ولكن سر الاختلاف بين هذه الأديان يكمن فيما يطلق اصحابها على الله سبحانه وتعالى من صفات ،وليس من الضروري أن يقع هذا الاختلاف في كل صفة من صفات الله ،لأن هذه الأديان تلتقي على ميدان الوفاق في كثير من صفات الله عز وجل •

وفي هذا الفصل نستعرض أهم تلك الصفات عند المسيحيين بغض النظر عن الائتلاف أو الاختلاف ،تاركين الاشارة الى الوفاق أو الخلاف الى حين •

لقد اصطلح اللاهوتيون "١" على تقسيم صفات الله الى تقسيمات مختلفة كالايجابية ، والسلبية ، والأدبية ، والذاتية ، والمشتركة ، وغير المشتركة ،والحقيقية والنسبية • ويعنون بالايجابية ، الصفات الكمالية التي تنسب اليه تعالى ، وبالسلبية الصفات التي تنفي عن الله ما لا يليق به ، وبالصفات الأدبية ، صفات الجمال كالقداسة والعدل ، والرحمة ، وبالذاتية ، صفات الذات ، كالعلم ،والمشيئة ، والقوة ، وغير المحدودية ، وبالمشتركة ، صفات توجد في البشر كما توجد في الله ، كالقوة ، والمشيئة والحق ، والجودة ، وبالصفات غير المشتركة ما يختص بها الله سبحانه كالأزلية ، والأبدية ، وعدم التغير ، ويعنون بالحقيقية ما ينفرد به الجوهر الالهي بلا تعلق بما هو خارج عنه كالوحدانية ، وعدم التغير ،والكمال المطلق ، وأما النسبية ، فيعنون بها الصفات المتعلقة بشيء خارج عنه ، كالسرمدية بالنسبة للزمن وعدم التحيز بالنسبة للمكان ، والقدرة بالنسبة للخلق "٢"

---

١) اللاهوتيون هم علماء العقيدة في المسيحية•

٢) انظر ايماني أو قضايا المسيحية الكبرى ص ٧٩ — ٨٠ وشرح اصول الايمان للقسين د • ابراهيم سعيد ود • اندراوس واطسون ص ٢٩ ج ١ طبع بمطبعة النضر بشبرا •

أ — ان الله تعالى غير محدود :

معنى هذه الصفة ان الله عز وجل غير محدود لا فى ذاته ولا فى صفاته ، وأنه حاضر فى كل مكان بذاته ، ومنزه عن التحيز والتركيب والتجزئة والاختلاط مع غيره من المخلوقات "١" .

ب — ومن صفاته السرمدية :

ويراد بهذه الصفة تنزيهه تعالى عن البداية والنهاية ، وأنه تعالى لا بداية لوجوده ولا نهاية لبقائه ، ويستدلون على هذا بما ورد فى المزامير " يارب ملجأ كنت لنا فى دور فدور . من قبل ان تولد الجبال أو ابدأت الأرض والمسكونة منذ الأزل الى الأبد أنت الله " "٢"

وما ورد فيه أيضا " أما أنت يا رب فالى الدهر جالس وذكرك الى دور فدور " "٣"

وبما جاء فيه أيضا : " من قدم اسست الأرض والسموات هى عمل يديك . هى تبيد وانت تبقى وكلها كثوب تبلى ، كرداء تغيرهن فتتغير . وانت هو وسنوك لن تنتهى " "٤"

جـ — ومن صفاته القوة والقدرة على كل شئ :

وتعنى هذه الصفة انه تعالى يفعل ما يريد وليس هناك من شئ يصعب عليه عمله ، ومن مظاهر هذه القدرة ايجاده تعالى كل شئ من العدم ، وحفظه جميع خلائقه من الفساد والتلاشى ، وعنايته بمخلوقاته ، وعمل الفداء بأن حمل ابنه ثقل قصاص كل خطايا جميع المؤمنين "٥" .

يقول القس الياس مقار : " ولعل اول ماتشير اليه قوة الله فى ذهن الانسان العظمة والجلال ، وكيف لا يبهر الانسان بهذه القوة وهو يرى مظاهرها الرائعة فى الخليقة ، وكيف لا يصيح وهو يرى سناها بالقول : " أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك

---

١) راجع شرح اصول الايمان ص ٢٩ — ٣٠ جـ ١ وانظر ايمانى أو قضايا المسيحية الكبرى ص ٨٣ وما بعدها .

٢) مزامير : صلوة لموسى رجل الله مزمور ٩٠ : ١ — ٢

٣) مزامير ١٠٢ : ١٢

٤) مزامير ١٠٢ : ٢٥ — ١٧

٥) راجع شرح اصول الايمان جـ ص ٣٤ — ٣٥ .

فى كل الأرض حيث جلالك فوق السموات ، اذ أرى سمواتك عمل اصابعك ، القمر والنجوم التى كونتها ، فمن هو الانسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفقده " (مز ٨ : ١ و ٢) " السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه " (مز ١٩ : ١) " باركى يانفسى الرب ، يارب الهى قد عظمت جدا ، مجدا وجلالا لبست ، اللابس النور كثوب ، الباسط السموات كشقة ، المسقف علاليه بالمياه ، الجاعل السحاب مركبته ، الماشى على اجنحة الريح ، الصانع ملائكته وخدامه نارا ملتهبة ، المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع الى الدهر والأبد " (مز ١٠٤ : ١ ـ ٥) . "١"

الصـــلاح :

ومن صفاته تعالى الصلاح ، وصفة الصلاح ـ حينما يراد بها معناها الحقيقى عند المسيحيين ـ لايجوز ان تطلق الا على الله تعالى ، لقول المسيح عليه السلام حينما اتاه رجل فقال له : " أيها المعلم الصالح ماذا اعمل لارث الحياة الأبدية ؟ فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحا ؟ ليس احد صالحا الا واحدا وهو الله " "٢"

العــدل :

ومن صفاته تعالى العدل أو العدالة ، وتعنى هذه الصفة المساواة فى العطاء ، بحيث ان العطاء الالهى ينال كلا بحسبه ، وبمقتضى هذه العدالة فان الله تعالى لايكلف احدا فوق طاقته ، وأنه يجازى كلا من المحسنين والمسيئين بمنتهى العدالة التى تعنى التوازن فى المنح والعطاء .

الرحمــة :

ومن صفاته عز وجل الرحمة ، ويولى المسيحيون هذه الصفة اهتماما بالغا ، ويرون انهم وحدهم هم المختصون فى وصف الله تعالى بها من بين اصحاب الديانات المختلفة وحتى الديانة اليهودية غير مشاركة لهم فى وصف الله تعالى بهذه الصفة رغم أن العهد القديم الذى يعتبر فى اليهودية اساس الديانة يعتبر فى المسيحية ايضا احد شقى الكتاب المقدس ، ومع ذلك فانهم يرون لانفسهم فضل الاختصاص

---

١) ايمانى او قضايا المسيحية الكبرى ص ٨٨

٢) مرقس ١٠ : ١٧ ـ ١٨ .

والانفراد بهذه الصفة •

والله عز وجل عندهم ليس ذلك الاله المنتقم الجبار الذى تنخلع القلـــوب خوفا منه ، لكنه اب رحيم يحب عباده محبة جعلتهم أبناء الله وورثة مع المسيـــــح •

ومن مظاهر تلك الرحمة وأجلى صورها أن بذل ابنه الوحيد فداء للبشـــــر وتخليصا له من خطيئة الانسان الأول "١" •

يقول الأب بولس الياس اليسوعى :

" ليس الله فى تعاليم السيد المسيح على مثال ما توهمته الديانات الصينية والبابليـــة والفارسية سيدا يسترضيه الانسان بتقادمه وذبائحه وما يحوطه به من اكرام ••• لكن الله فى تعاليم السيد المسيح سيد مطلق قائم منذ الأزل ، كلى القدرة والصلاح ولا صالح سواه " "٢"

وقال أيضا : " ليس الله فى تعاليم السيد المسيح كما رآه آباء التوراه والاسرائيليون فهو عندهم اله عظيم قدوس رب الصباووت ، تنخلع القلوب لمـــرآه رهبة وترتعد الفرائص فرقا ، فلا يذكر الاسرائيليون من يهوه الا يدا شقت لهـــم طريقا فى بحر القلزم ، واطبقت بعدهم الأمواه على مراكب فرعون ورجاله ، ولا يـــرون منه الا وجها تحجبه البروق والرعود ، يوم انزال الوصايا العشر على موسى فى سينا ••• لكنه اب رحيم اوجد الانسان بدافع من محبة ويحفظه فى الوجود بدافع من حنـــان ••• انه أب والانسان ابن الله على اختلاف اللون والجنس والنزعة ••• ••• ومحبة الله للانسان أين منها محبة الوالدين أولادهم •••؟ " "٣" والوحى الالهى هو احد مظاهر تلك الرحمة المنبثقة عن محبته تعالى لخلقه وعنايته بهـــم حتى بعث فيهم الأنبياء والرسل •

<u>الحكمـــــــة</u> :

ومن صفاته تعالى الحكمة ، وهى وضع الأمور فى وضعها اللائق بهـــــا ،

---

١) راجع ايمانى او قضايا المسيحية الكبرى ص ١٠٥ وما بعدها •

٢) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٢٣٢ المطبعة الكاثوليكية بيروت الطبعة الثانية ١٩٦٦ م

٣) نفس المصدر ص ٢٣٣ •

وهذه الصفة تتضمن علمه تعالى بكل شيء وتدبيره لها كافة ، وعلمه تعالى بكل شيء هو معرفته لنفسه وبكل ما عداه معرفة كاملة من الأزل والى الأبد لأن كل شــيء حاضر أمامه •

ومما يدل على معرفته تعالى ذاتا وصفة كونه تعالى غير محدود في ذاتــه وصفاته ولو لم يكن كذلك لكان علمه محدودا ،وذلك مما يستحيل على الله تعالــى •

ومن علامات حكمته تعالى ذلك النظام البديع الذي يسود الكون ويسيطـــر على الخليقة ، وتوافق المخلوقات في جزئياتها وكلياتها ، مما يدل على حكمته التامة وبديع صنعه •

ومن مظاهر هذه الحكمة عمل الفداء الذي محا به الخطيئة البشرية مما يــدل على عنايته التامة بخلقه • "١"

<u>السمع والبصر والكلام :</u>

يقول عوض سمعان : " بما أن من له علاقة مع غيره يكون بصيرا وسميعا وكليما ، وبما ان الله له مثل هذه العلاقة مع خلائقه ، لاسيما العاقلة منها ،اذن فهو بصيـر سميع كليم — وطبعا دون ان تكون له أعضاء مادية ، لأنه ليس هناك اثر للمـــادة فيه ، ولذلك قال الوحي منتقدا المعترضين على قدرة الله على السمع والبصـــر : " افهموا ايها البلداء في الشعب وياجهلاء متى تعقلون الغارس الاذن ألا يسمع؟ الصانع العين الا يبصر ؟ " (مز ٩٤ : ٨ — ٩) "٢"

ويقول أيضا بعد سرده لصفات الله عز وجل : " انها اصيلة فيه ، فهو قدير عليم مريد سميع بصير كليم ازلا قبل وجود اى مخلوق من المخلوقات لانه تعالى كامل في ذاته كل الكمال ، ولا يكتسب شيئا من الخواص او الصفات بأى حال من الاحوال اذ أن الاكتساب يدل على التغير وهو لا يتغير "٣"

---

١) راجع شرح اصول الايمان جـ ١ ص ٣٢ — ٣٣

٢) الله ذاته ونوع وحدانيته لعوض سمعان ص ٢٨ •
دار التأليف والنشر للكنيسة الاسقفية القاهرة عام ١٩٧٤ م

٣) نفس المرجع ص ٢٣ •

الارادة :

اما الارادة فتعنى ان الله تعالى يخلق بمحض الحرية من غير ان يملى عليه احد ارادته ،ويفعل ما يريد بلا اكراه من احد ، وقد أوجد الله العالم من العدم ولم يخرج شيئا منه عن ذاته ، لانه لو كان كذلك لكان مركبا ، والله تعالى لا تركيب فيه لأن المركب لابد له من مركب ، فهو تعالى واجب الوجود أزلى قديم . "١"

العلم :

ومن صفاته تعالى العلم ومعرفته بكل شيء ،والله تعالى كما انه غير محدود فكذلك علمه تعالى غير محدود ،لا يقبل الزيادة ولا النقص ، وليس لعلمه تعالى ماض او مستقبل ، لان كل شيء حاضر امامه .

ويستدل المسيحيون على ذلك بما ورد فى كتبهم المقدسة مثل ماجاء فى سفر اشعيا : " اذكروا الاوليات منذ القديم ، لأنى انا الله وليس آخر ، الاله وليس مثلى ، مخبر منذ البدء بالأخير ، ومنذ القديم بما لم يفعل قائلا رأيى يقوم وأفعل مسرتى " "٢"

وبما جاء فى الرسالة الى العبرانيين : " وليست خليقة غير ظاهرة قدامه ، بل كل شيء عريان ومكشوف للذى معه أمرنا " "٣"

ويقول القس الياس مقار بعد ايراده لهذا النص من الرسالة الى العبرانيين " كيف لا وقد ادركنا معنى المكان وعلاقته بالله غير المحدود ؟ وهو بالنسبة للجزئيات والكليات علم واضح غير مبهم : " الظلمة ايضا لا تظلم لديك ، والليل مثل النهار يضيء .. لم تختف عنك عظامى حينما صنعت فى الخفاء ورقمت فى اعماق الأرض رأت عيناك اعضائى وفى سفرك كلها كتبت يوم تصورت اذ لم يكن واحد منها " . (مز ١٣٩ : ١٢ ، ١٥ ، ١٦) وهو بالنسبة للمعنويات علم دقيق عجيب ، اذ هو العلم بالافكار والنوايا والسرائر " "٤"

---

١) الله ذاته ونوع وحدانيته ص ١٨ و ١٢٨ بتصرف .

٢) أشعيا ٤٦ : ٩ — ١٠

٣) الرسالة الى العبرانيين الاصحاح ٤ : ١٣ وانظر شرح أصول الايمان ص ٩١ — ٩٢

٤) ايمانى او قضايا المسيحية الكبرى ص ٩١ — ٩٢ .

صلـة اللـه بالعالـم فـي المسيحيـة

ان صلةالله تعالى في المسيحية بالعالم صلة خلق وايجاد ، وصلة تدبير لشئونه ، وصلة حفظ لبقائه ، ولا ترى المسيحية في هذا اختلافا مع غيرها من الأديان السماوية التي تؤمن بصلة الله تعالى بالعالم على هذا النحو.

وليست صلته تعالى بالانسان خاصة في المسيحية قاصرة على صلة الخلق والرزق والحفظ ، وانما صلته به ، صلة أب بابنائه . وقد ظهرت تلك الصلة وتوطدت بين الله وبين البشر حينما أرسل الاب ابنه الوحيد فداء وخلاصا للبشر ، وذلك لسقوط الجنس البشري كله في الغضب الالهي ، بخطيئة آدم ، ولا تزال هذه الصلة مستمرة في البشر باستمرار الروح القدس فيهم معزيا لهم ومرشدا نحو الحق ، ومعلما ومعينا .

يقول الأب بولس الياس اليسوعي مشيرا الى هذه الصلة بين الله وبين البشر ومعلقا على نص ورد في انجيل يوحنا :

" والجدير بالذكر ، أنه ببيانه "[١] هذا قد أعلن أيضا جوهر الدين المسيحي القائم على تلك البادرة الصادرة عن محبة الآب التي خطا بموجبها خطوته الجبارة نحو الانسان وأرسل ابنه الوحيد الى ارض شقائه ، ليحدب عليه ويقيله من عثاره ، ويرفعه اليه . أجل ليس الايمان بالله من خاصية الدين المسيحي وكل دين قائم يسعى الانسان المتواصل بطلب الله ، حتى اذا ما وجده وعرفه ، اقام معه تعالى علاقات ودية تربطه به . الا أن جميع المحاولات التي قام بها الانسان من هذا النوع على توالي العصور ، باءت بالفشل ، لمابين الله الخالق المتعالي ، اللا محدود وغير المتناهي ،[٢] وبين الانسان المخلوق ، والمحدود ، والمتناهي ، من البون الشاسع والهوة السحيقة التي بمقدور الله وحده ، أن يعبرها[٣]

---

١) مرجع الضمير هنا هو يوحنا صاحب الانجيل

٢) المراد ، أنه تعالى غير محدود في ذاته وصفاته أي انه غير محدود كيفا لا كما انظر المبحث السابق قبل هذا المبحث وهو مبحث الصفات .

٣) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٧٤ .

واذا كانت اولى هذه الصلات — فى المسيحية — هى صلة الايجاد من العدم ، فان هذه الصلة ، ليست مما تمتاز بها المسيحية عن غيرها من الأديان السماوية الأخرى ، لأن تلك الأديان السماوية ، تنطلق جميعا من هذه القاعدة .

ولكن ، بقدر ما تتفق تلك الأديان مع المسيحية فى كثير من المسائل التى تم بحثها ، بقدر ما تختلف معها فى هذه الأمور جميعها .

وليس ذلك التوافق الذى يبدو للقارىء فى أول الأمر ، سوى توافق شكلى ليس له من الواقع غير الاسم .

والفصول التى سيتم عرضها فيما بعد ، هى التى ستوضح عمق ما بين المسيحية وبين تلك الأديان من اختلاف ، وتميز ما بينها تمييزا يبين ان ذلك التوافق الذى سبق عرضه ان هو الا توافق فى الأسماء دون المسميات .

وبعد ، فننتقل الآن الى بيان وشرح قضايا المسيحية الكبرى ، وأسسها التى تميزها عن الاسلام — بل وعن اليهودية — تمييزا يضع حدا فاصلا بينهما .

ونبدأ الحديث بالكلام على التجسد فى نظرهم .

الفصـــــل الثانـــــى

* التجسـد — معنـاه — تاريخـه .
* مناقشـة ادلتهم علـى التجســـد .
* الكلمـة ومعنـاها عنـد النصـارى .
* مناقشـة ادلتهـم فى معنى الكلمة ..

١ ـ التجسد وتاريخه :

سبق ان ذكرت أن المسيحيين يؤمنون بأن الله غير متحيز ، وأنه غير محدود في ذاته ولا في صفاته . وهنا ندرس قضية من القضايا المهمة في المسيحية والتي تعتبر بداية للقضايا المسيحية الكبرى ، تلك المشكلة هي مشكلة التجسد .

والتجسد معناه أن يظهر الله للبشر في صورة ما من صور المخلوقات وهذا التجسد الالهي قد بدأ في نظرهم من ايام ابراهيم عليه السلام حينما ظهر له الرب مع اثنين من الملائكة وهو جالس على باب خيمته ، وظهر لزوجته هاجر في البرية على صورة ملاك . وكذلك ظهر لابراهيم على صورة ملاك حينما هم ابراهيم بذبح ابنه ، وظهر ليعقوب في بيت خاله كذلك ، وظهر لموسى وهو يرعى الغنم في البرية على صورة ملاك بلهيب نار من وسط عليقة ، وعند خروج بني اسرائيل من مصر كان الرب يسير امامهم ، وحينما اتبعهم فرعون بجنوده سار ورائهم .

هذه الظهورات كلها في نظرهم ما هي الا ظهور أقنوم الابن للأنبياء متجسدا هذه التجسدات وبلغت هذه التجسدات ذروتها بظهور الله في المسيح واقامته بين البشر .

ولنرجع الى النصوص التي استدلوا بها على التجسد في الازمنة السابقة لظهور المسيح حسبما ورد ذكره في كتبهم المقدسة .

أ ـ ظهوره في عهد ابراهيم عليه السلام لهاجر :

" فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية ، على العين التي في طريق شور . وقال ياهاجر جارية ساراي من أين اتيت والى اين تذهبين . فقالت انا هاربة من وجه مولاتي ساراي . فقال لها ملاك الرب ارجعي الى مولاتك واخضعي تحت يديها . وقال لها ملاك الرب تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب ها انت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك " "١"

---

١) تكوين ١٦ : ٧ ـ ١١

ب — ظهوره لابراهيم عليه السلام :

" وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه ونظر واذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد الى الأرض وقال يا سيد ان كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك • ليؤخذ قليل ماء واغسلوا ارجلكم واتكئوا تحت الشجرة • فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ••••• ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذى عمله ووضعه قدامهم • واذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا " "١"

جـ — ظهوره ليعقوب عليه السلام :

" وقال لى ملاك الله فى الحلم يا يعقوب فقلت ها انذا فقال ارفع عينيك وانظر جميع الفحول الصاعدة على الغنم مخططة ورقطاء ومنمرة لأنى قد رأيت كل ما يصنع بك لابان انا اله بيت ايل •••" "٢"

د — ظهوره لموسى عليه السلام :

"وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان • فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب • وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة • فنظر واذ العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق • فقال موسى أميل الآن لانظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة فلما رأى الرب انه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى فقال هانذا • فقال لا تقترب الى ههنا • اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى انت واقف عليه أرض مقدسة • ثم قال انا اله ابيك اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب • فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر الى الله " "٣"

يقول القس فايز فارس فى تعليقه على هذا النص :

---

١) تكوين ١٨ : ١ — ٨

٢) تكوين ٣١ : ١١ — ١٣

٣) خروج ٣ : ١ — ٦

" ان ملاك الرب الذى ظهر فى العليقة بلهيب نار ، انما هو شخص المسيح ، وكأنما كان ذلك المنظر العظيم — منظر النار المتقدة فى العليقة ، ولكنها لا تحرقها — اشارة الى ذلك السر العجيب ، سر التجسد ، واتحاد اللاهوت بالناسوت فى شخص المسيح " "١"

ويقول عوض سمعان : " ان كلمة (ملاك) ليست فى الأصل اسما للمخلوق الذى يعرف بهذا الاسم ، بل انها اسم للمهمة التى يقوم بها ، وهذه المهمة هى تبليغ الرسائل ، فالاصطلاح " ملاك الرب " معناه حسب الأصل ، " المبلغ لرسائل الرب " . ولما كان الرب هو خير من يقوم بتبليغ رسائله (لأن كل ما عداه محدود والمحدود لا يستطيع أن يعلن اعلانا كاملا ، ذات او مقاصد غير المحدود) لذلك يحق ان يسمى الرب من جهة ظهوره لتبليغ رسائله ب " ملاك الرب " ، بمعنى المعلن لمقاصده أو المعلن لذاته ، أو بالحرى بمعنى " ذاته معلنا أو متجليا " لانه لا يعلن ذات الله سوى الله " . "٢"

ثم يصرح عوض سمعان بأن ذلك المتجسد هو أقنوم الابن وهو الذى يظهر للانبياء والاتقيا وذلك بعد أن استعرض تلك النصوص التى سبق عرضها فى هذا الموضوع ، ويقول :

" بما أن اقنوم الابن أو الكلمة هو الذى يعلن الله أو اللاهوت منذ الأزل الذى لا بدء له ، فلاشك انه هو الذى كان يظهر للانبياء والاتقياء السابق ذكرهم ، تارة فى هيئة ملاك ، وأخرى فى هيئة انسان ، لكى يعلن لهم ذات الله أو اللاهوت مع مقاصده " ... ان العبارة " ظهر الرب " الواردة فى (تكوين ١٢:٧ ، ٢٦ : ٢ و ٢٤ ..) ، يراد بها فى الأصل العبرى " ظهر كلمة الرب " ولذلك نرى أن انقيلوس اليهودى الذى ترجم التوراة من العبرية الى الآرامية فى القرن الثانى قبل الميلاد ، استعاض فى ترجمته عن اسم الله بكلمة " ممرا " ، أى الكلمة " "٣"

---

١) حقائق اساسية فى الايمان المسيحى ص ٧٧ .

٢) الله طرق اعلانه عن ذاته ص ١٢ .

٣) نفس المرجع ص ١٣ .

ويتساءل عوض سمعان قائلا : " هل يتوافق مع محبة الله للبشر أن يقتصر في معاملته معهم على الظهور لهم في كلام يسمعهم اياه ؟ " فيجيب قائلا :
" الجواب : أكبر الظن أنه لا يقتصر على ذلك ، لانه من شأن المحب أن يفسح المجال امام من يحبهم لكي يقتربوا منه ويتوافقوا معه . واذا كان الامر كذلك كان من البديهي أن يظهر لهم في هيئة واضحة يمكنهم ادراكها ، وعن طريقها يمكنهم الاتصال به والتوافق معه ، وبما اننا لا نستطيع ان نتصل أو نتوافق الا مع انسان نظيرنا ، لاننا لم نألف العيش الا معه ، ولا نفهم الا لغته ، كان من البديهي ان يتنازل الله ويظهر لنا ، أو لأكثر الناس استعدادا منا للاتصال به . في هيئة انسانية ، أو قريبة من الانسانية ، ولذلك لا غرابة اذا ما طالعنا الكتاب المقدس في مواضع أخرى منه ، بأنه تعالى كان يظهر ايضا للانبياء والقديسين ، تارة في هيئة ملاك وتارة أخرى في هيئة انسان " . "١"

هذا هو تاريخ التجسد الالهي كما يرون وهذه ادلتهم عليه من العهد القديم . ولكن لم هذا الظهور الالهي ، وما ضرورته عند المسيحيين ؟ .. أو ما الحكمة في هذه التجسدات وخاصة التجسد الالهي الأخير في المسيح كما يرون ؟؟

وللاجابة على هذا التساؤل ، أورد هنا ما يقوله بعض المسيحيين في تبرير هذا التجسد أو ابراز الهدف منه .

يقول الأب بولس الياس اليسوعي : " أما البواعث التي حدت الكلمة ابن الله على التجسد فيمكننا ان نجملها بكلمة واحدة هي المحبة ، فالمحبة هي التي حملته على التجسد ليظهر في شخصه ابوة الله واخوة البشر فيعطيهم مثالا يحتذونه وليفتديهم من عبودية الخطيئة " "٢"

وبالاضافة الى هذا ، فان الحكمة أو الباعث للتجسد الاخير هو اخذ الابن الصورة الانسانية الكاملة ليقدم نفسه فداء عن خطايا البشر .

يقول الدكتور هاني رزق : " .. كانت هناك حتمية لتجسد المسيح وأخذ صورة العبد ووجوده في الهيئة كانسان ، ليكون الوسيط بين الله والناس في قضية الغفران ، لتتم المغفرة ببذل نفسه فدية لأجل الجميع " "٣"

---

١) الله طرق اعلانه عن ذاته ص٧-٨
٢) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص٨٨
٣) يسوع المسيح في ناسوته والوهيته للدكتور هاني رزق ص ١٥٧
طبع سنة ١٩٧١ م بمطبعة النصر طبعة ثانية

وكما يبدو من كلام الدكتور هانى هذا ،فان المسيحيين يرون ان الدافع الى التجسد والباعث عليه هو تخليص البشر وتطهيرهم من تبعة مالحق بهم من الذنوب والاثام بخطيئة آدم .

ويقول عوض سمعان فى بيان فائدة التجسد : " اننا بكل اعمالنا الصالحة لانستطيع ان نكفر عن خطايانا لأن خطايانا هى تعد على حقوق الله ، وحقوق الله لا حد لها كما ان ذاته لا حد لها ، بينما اعمالنا الصالحة مهما كثرت وتنوعت فهى محدودة ، ولا يستطيع الانسان الخالى من الخطيئة (اذا فرضنا وجود مثله بيننا) أو الملاك الذى لا عيب فيه امامنا أن يقوم بهذه المهمة نيابة عنا ، لأن كلا منهما محدود ، والمحدود لا يستطيع ادراك حقوق الله غير المحدودة ومن ثم لا يستطيع احدهما ان يكفر عن الاساءة التى وجهت الى حقوقه تعالى بسبب خطايانا ، ويكون الله وحده هو الذى يستطيع ان يكفر عنها "[١] لانه هو وحده الذى يعرف حقوقه غير المحدودة . واذا كان الأمر كذلك ، كان من البديهى ان يتفضل ويأخذ جسدا من جنسنا ،لأن تكفيره عن خطايانا نيابة عنا ، لا يتأتى الا اذا تنازل وأخذ مثل هذا الجسد ، لأن النائب يجب ان يكون واحدا من الذين ينوب عنهم كما هو معلوم لدينا . هذا من جهة ،ومن جهة اخرى لكى يقبل فى الجسد المذكور نتائج خطايانا التى كان يجب علينا ان نقبلها نحن حتى يكون تكفيره عنا تكفيرا حقيقيا أوقانونيا " . "[٢]

لقد اوضح عوض سمعان فى كلامه هذا الباعث على التجسد والفائدة منه فى نظر المسيحيين ، وهو كما لا يخفى يدور على المصالحة بين الله وبين البشر بعد ما حصل من خطايا وآثام ، ولم يجد المسيحيون طريقة تصلح لتكفير تلك الخطايا سوى هذه الطريقة الفريدة فى تاريخ البشر وأديانهم السماوية .

---

١) هنا يقول المصنف فى الهامش : " ويتفق معنا القرآن فى بعض آياته على ان الله هو الذى يكفر عن آثامنا فقد جاء فى (سورة آل عمران : ١٩٣) هذا الدعاء : " فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا " .

٢) الله طرق اعلانه عن ذاته ص ١٤١ .

٢ — **مناقشة ادلتهم على التجسد الالهي :**

اتضح مما سبق ان التجسد عند المسيحيين يعني الظهور الالهي للانسان في صورة ملك ، كما تبين لنا انهم يستدلون على ذلك بنصوص من العهد القديم ، وعرضنا نماذج لتلك الأدلة •

وأول ما نراه من تناقض في هذه العقيدة ، هو قولهم بالتجسد الالهي مع ما سبق أن علمناه من قولهم في مبحث الصفات باستحالة التحيز على الله تعالى *

وتدور المناقشة هنا حول دلالة تلك النصوص التي يستدلون بها على التجسد ، لنرى ما اذا كانت تدعم ما ذهبوا اليه أولا •

أما ما استدلوا به من أن ملاك الرب ظهر لهاجر زوجة ابراهيم عليه السلام على عين الماء في البرية ، فهو نص يحمل في كلماته ما يمنع الاستدلال به على التجسد ، وذلك لقوله : " فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية " "١" لأن ملاك الرب هو غير الرب قطعا ، وقد تكررت عبارة " ملاك الرب " في ذلك النص أربع مرات مما يدلنا على ان ذلك الملاك المضاف الى الرب ، هو ملك أرسله الله ببشارة هاجر ، وليس فيه دليل على التجسد الذي يستدلون عليه بهذا النص •

وأما ما قالوه من ظهوره لابراهيم عند بلوطات ممرا ومعه ثلاثة رجال حيث قدم لهم خبزا ولبنا وزبدا وعجلا مشويا ، "٢" فلا ادل على بطلانه من النص القرآني الذي يدل بوضوح على ان الملائكة هم الذين جاءوا الى ابراهيم بالبشرى مرسلين من قبل الله عز وجل ، وحتى اولئك الملائكة ، لم يأكلوا ما قدم ابراهيم من الطعام ظنا منه أنهم جماعة من البشر •

قال الله تعالى : (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ • فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس

---

١) تكوين ٦ : ١

٢) " ١٨ : ١ — ٨

منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط • وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب) "١"

وأما النص الذى استدلوا به على ظهوره ليعقوب عليه السلام فى الحلم ، فلا يفهم منه غير ان ذلك المرئى فى الحلم هو ملك من الملائكة ، لقوله فى النص : " وقال لى ملاك الله فى الحلم يا يعقوب الخ " "٢" وملاك الله ليس هو الله عز وجل •

وأما قولهم بأنه ظهر لموسى واستدلالهم على ذلك بما ورد فى سفر الخروج " وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة " "٣" ، فليس فيه دليل على ان الله ظهر له بصورة ملاك ، ولكن النص يدل على ان الذى ظهر له هو ملاك الرب لا الرب بعينه • ومع هذا فان لنا ان نناقش هذا النص المأخوذ من التوراة بنص من القرآن الكريم وهو يدل بوضوح على أن موسى لم ير الله سبحانه رغم طلبه ذلك من الله عز وجل ، مما يدل على عدم صحة ما قالوه من ظهور الله له ، قال الله تعالى : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارنى انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين) "٤"

وهذه القصة وردت فى التوراة كما وردت فى القرآن الكريم ولكن مع شىء من التغيير فى سفر الخروج ، وفيه ان الله نادى موسى من شجرة العليقة وقال له (لا تقترب الى ههنا اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى انت واقف عليه أرض مقدسة • ثم قال انا اله ابيك اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب " وهذا يتطابق مع ما فى القرآن ، ولكن قوله بعد هذا : " فغطى موسى وجهه لأنه خاف ان ينظر الى الله " يختلف مع ما فى القرآن ، لأن الوارد فيه انه طلب أن يرى الله فلم يجب لصعوبة ما طلب لأنه لا يستطيع ان يرى الله فيبقى حيا كما ورد ذلك فى سفر الخروج "٥"

---

١) هـود ٦٩ — ٧١
٢) تكوين ٣١ : ١١
٣) خروج ٣ : ٢
٤) الاعراف ١٣٤
٥) خروج ٣٣ : ٢٠ " وقال لا تقدر أن ترى وجهى ، لأن الانسان لا يرانى ويعيش " وجاء فى انجيل يوحنا قوله : " الله لم يره احد قط " ١ : ١٨

والنص الوارد في القرآن في هذا هو قوله تعالى : (وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى • فلما أتاها نودى يا موسى • انى انا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى) " ١ "

وبهذا يتبين ان المسيحيين حملوا هذا النص مالا يتحمله بقولهم ان موسى رأى الله على صورة ملاك ، مع ان سفر الخروج صريح في دلالته على أن موسى رأى ملاك الرب ظاهرا له بلهيب نار ، ولم يقل انه رأى الله ، ولو كان الأمر كما يقولون ، لكان النص هكذا : " فظهر الله له على صورة ملاك بلهيب نار " وهو شيء لم يرد في ذلك السفر ، فبطل استدلالهم بهذا النص ، واتضح بطلان هذا الاعتقاد •

أما قول عوض سمعان في الملاك : " ان كلمة ملاك ليست في الأصل اسما للمخلوق الذى يعرف بهذا الاسم ، بل انها اسم للمهمة التى يقوم بها ، وهذه المهمة هى تبليغ الرسائل ، فالاصطلاح " ملاك الرب " معناه حسب الأصل " المبلغ لرسائل الرب " ، ولما كان الرب هو خير من يقوم بتبليغ رسائله (لأن كل ما عداه محدود ، والمحدود لا يستطيع ان يعلن اعلانا كاملا ذات أو مقاصد غير المحدود) ، لذلك ، يحق ان يسمى الرب من جهة ظهوره لتبليغ رسائله ب " ملاك الرب " ، بمعنى المعلن لمقاصده ، أو المعلن لذاته ، أو بالحرى بمعنى " ذاته معلنا أو متجليا " ، لأنه لا يعلن ذات الله سوى الله " " ٢ "

— قوله هذا ، فأمر واضح التناقض ، لأن تفسيره ملاك الرب بذات الرب ، مخالف لما هو معلوم من لغة العهدين ، القديم ، والجديد •

أما مخالفته للعهد القديم ، فواضح من النص السابق ، والنصوص التى قبله ، حيث اضافت كلمة " ملاك " الى الله ، ولو كان الملاك هو الله ، لما اضيف الى لفظ الجلالة تارة ، وكلمة الرب تارة أخرى ، لأن الشيء لا يضاف الى نفسه •

ثم ان في اسفار العهد القديم نصوصا تدحض ما يقوله عوض سمعان ، من ذلك ، ما ورد في سفر التكوين من أن الله سمع صوت اسماعيل عليه السلام وهو غلام حينما

---

١) طه ٩ — ١٢

٢) الله طرق اعلانه عن ذاته ص ١٢

فرغ الماء من القربة ، فخشيت عليه أمه " فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت فسمع الله صوت الغلام ، ونادى ملاك الله هاجر من السماء ، وقال لها مالك يا هاجر لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام " "١" وهذا النص يدل على ان ملاك الرب نادى هاجر من السماء ، ولو كان الملاك هو الله ، لكانت هاجر كليمة الله ، ولما كان لموسى امتياز على سائر الناس بأنه كليم الله ، فبطل بهذا ان يكون الملاك هو الله .

وأما مخالفته للعهد الجديد ، فواضح مما ورد فى انجيل لوقا من أن ملاك الرب ظهر لزكريا عليه السلام واقفا عن يمين مذبح البخور ، وأن هذا الملاك قال له : " أنا جبرائيل الواقف قدام الله ، وأرسلت لاكلمك وأبشرك بهذا " "٢"

وقول عوض سمعان بعد ذلك ، " فالاصطلاح " ملاك الرب " معناه حسب الأصل ، المبلغ لرسائل الرب ، يؤكد ما ورد فى العهدين من أن المراد بالملاك هو المخلوق الموكل بتبليغ الوحى الالهى .

وأما قوله : " ولما كان الرب هو خير من يقوم بتبليغ رسائله .. ، لذلك ، يحق ان يسمى الرب من جهة ظهوره لتبليغ رسائله بـ (ملاك الرب) ، بمعنى المعلن لمقاصده أو المعلن لذاته ... " فقول يبين ما فى المسيحية من غموض وتعقيد ، ويحكم على من يعتقده بالعقم الفكرى ، والسقم العقلى ، بحيث لا يحتاج الى تعليق .

وتبرير التجسد بأن من شأن المحب أن يفسح المجال امام محبيه ، فيظهر لهم " فى هيئة واضحة يمكنهم ادراكها ، وعن طريقها يمكنهم الاتصال به والتوافق معه " ، فأمر فى غاية الفساد ، لأن هذه الهيئة التى يمكن عن طريقها الاتصال به — وهى اما هيئة ملاكية ، أو انسانية — لا يمكن ان تعطى صورة واضحة لهذا الاله المتنازل عن هيئته وحقيقته ، والهيئة الملاكية أو الانسانية ، هى بلا شك دون الهيئة الالهية ، والاله لابد أن يكون فوق هذه الهيئات ليبقى الها ، والا ، فليس لالوهيته ميزه عن آلهة الوثنيين التى تعبد فى كل زمان ومكان .

---

١) تكوين ٢١ : ١٦ — ١٧

٢) لوقا ١ : ١٩

وهذا الادراك الذى يذكره عوض سمعان على هذه الهيئة ، لايعتبر ادراكا للذات الالهية وحقيقتها على الاطلاق ، وانما هو ادراك لتلك الهيئات الملاكية أو الانسانية القاصرة ، فشتان مابين الحقيقة الالهية ، وهذه الهيئات .

٣ ـ الكلمة في نظر النصارى :

لا ينكر ما للكلمة بين البشر من دور عظيم فى نشر العلوم والأخبار ونقل ما يدور فى الفكر الانسانى من خواطر ، بها يسود الاخاء والسلام والتعاون بين البشر . ولولا الكلمة التى يتفاهم بها الانسان فى الحرب والسلم ، ويتبادل بها العلوم والأسرار لما وصلت العلوم الانسانية الى ما وصلت اليه من تقدم وازدهار ، ولما كان هناك أى فرق بين الانسان والبهائم . والكلمة هى الترجمان العملى للعقل الانسانى الذى يعتبر أهم مايمتاز به الانسان عن بقية الحيوانات اذ الانسان حيوان ناطق .

وهذا كله فى الكلمة المتبادلة بين البشر فى علاقاتهم المختلفة فيما بينهم ، سواء كانت تلك الكلمة منطوقة او مكتوبة . أما كلمة الله ـ وهى التى يدور عليها البحث هنا ـ فهى أسمى وأعظم مما يتصوره الانسان فى فهمه للكلمات البشرية .

جاء فى الاصحاح الأول من سفر التكوين : " فى البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه وقال الله ليكن نور فكان نور .... وقال الله ليكن جلد فى وسط الماء وليكن فاصلا بين مياه ومياه .... وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء الى مكان واحد ولتظهر اليابسة وكان كذلك ... ... وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبزر بزرا وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه بزره فيه على الأرض وكان كذلك .... وقال الله لتكن انوار فى جلد السماء لتفصل بين النهار والليل .... وكان كذلك وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء .... وباركها الله قائلا اثمرى واكثرى واملأى المياه فى البحار وليكثر الطير على الأرض .... وقال الله لتخرج الأرض ذوات انفس حية كجنسها .... وكان كذلك ....

فخلق الله الانسان على صورته ..... ذكرا وانثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم اثمروا وأكثروا واملأوا الأرض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض". "١"

هذه هى كلمة الله فى التوراة وهى كلمة " كن " التى بها كون المخلوقات خلق بها الأرض والسماوات وكون ما فيهما وما بينهما وخلق بها الانسان.

انها كلمة " كن " ، يوجهها الله الى ما يريد ايجاده من العدم فيقول له كن فيكون ، مهما تعاظم حجمه وتكاثر عدده ، وصعب على العقول حده وعده.

هذه هى كلمة الله عند اليهود فكيف يراها المسيحيون ؟

ولمعرفة معنى الكلمة المضافة الى الله فى نظر المسيحيين يتحتم الرجوع الى كلام المسيحيين أنفسهم ، لأن ما يعنون بالكلمة غير ما يعنيه غيرهم.

يقول القس منيس عبد النور : " كان الرسل ينقلون الرسالة الجديدة عن المسيحية لليهود ، فكانوا يجدون الكلمات التى تنقل لليهود الحق الجديد عن المسيح ، فكانوا يطلقون على المسيح لقب المسيا وابن داود وابن الانسان .... وعندما بدأ الرسل يعظون بالمسيح للأمم وجدوا ان فهمهم للكلمات اليهودية ناقص أو معدوم ، فاذا قالوا ان المسيح ابن داود ، لم يعرف الامم من هو داود ولا من هو ابنه .. واذا قالوا انه ابن الله ظن السامعون ان المسيح يشبه آلهتهم الوثنية التى كانوا يقولون عنها ان الاله يختار فتاة جميلة تعجبه فيتزوجها وينجب منها ابنا يكون نصف اله ونصف انسان .... وبالروح القدس وصل الرسول يوحنا الى لفظة توصل الحق الكامل للأمم بطريقة مفهومة ، وهى "الكلمة" فقال : فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ..." "٢"

ومعنى هذا الكلام أن دعاة المسيحية الأوائل لم يهتدوا الى استعمال هذه الكلمة الا بعد مرور مدة من الزمن بعد المسيح حتى اهتدى يوحنا الى استعمالها وأن استعمالها ايضا لم يكن معروفا فى عهد المسيح الا بمعناها اللغوى الذى

---

١) تكوين ١ : ١ — ٢٨

٢) القاب المسيح ص ١٤٣ — ١٤٤

دلت عليه نصوص العهد القديم ، أما بالمعنى الجديد — وهو اطلاقهـا على المسيح — فلم يكن معروفا كما يتبين ذلك من خلال هذه النصوص :

يقول حبيب سعيد : " .... وفكرة مجيء المسيح وملكه الشامل بحسب الفكر اليهودي ، كانت عقيدة غريبة ومعادية للامم ، فما لهم ورجاء اليهودية وأحلامها وطليكها ؟ ولم تكن سلسلة نسب المسيح وانتمائه الى داود ، وحسبانه حسب الجسد من النسل الملكي تعني شيئا بالنسبة لليوناني . هذا لب المشكل فكيف تقدم المسيحية للعالم اليوناني ، وما من شك أن قوة أية عقيدة من العقائد لا تعتمد على قوة هذه العقيدة قدر اعتمادها على توافقها مع فكر العصر واستعداد الجماهير لقبولها ، وكان على المسيحية ان تخلق هذا التوافق وأن تهيء نفسها لقبول الجماهير لها ، الا يوجد مدخل فكري جديد غير المدخل اليهـودي تستطيع به المسيحية ان تجتذب أصحاب الفكر الهليني الى حظيرتها ؟ أيلـزم للاممي ان يتهود أولا حتى يدرك اسرار المسيحية ؟ لقد كانت المشكلة تكمـن في كيف يقدم المسيح والمسيحية في ثوب يستطيع اليوناني ان يدركه ويستوعبه ؟

ولقد استخدم الوحي الالهي يوحنا الرسول ليقوم بحل هذا المشكل ... فتقدم ببشارته لليونانيين واليهود على السواء تحت عصمة الوحي الالهي وارشـاد الروح القدس . ولقد تمجد الاعلان الالهي فيه حينما ارشده بأن المدخل للفكر اليوناني واليهودي على السواء ، هو في الحديث عن الكلمة ، هنا يستطيـع ان يصل الى العقل اليهودي ويستوعبه الفكر اليوناني .... " "١"

من هذا الكلام يتبين ان استعمال يوحنا للكلمة في بشارته لم يكن الا للتقريب بين الفكر المسيحي والفكر اليوناني الهليني ، ولولا ما قام به يوحنا — الذي عاش في مدينة افسيس عام ١٠٠ م — من جهد للتوفيق بين العقل المسيحي والعقـل اليوناني لما أمكن اجتذاب اليونانيين الى حظيرة المسيحية في ثوبها المتطور .

والكلمة في الفكر اليهودي لا تخرج عن اطارها اللغوي ، الذي دلت عليه نصوص العهد القديم ، الا أن بعض اليهود — في نظر المسيحيين — عبروا عـن ذات الله بـ (كلمة الله) وذلك اجلالا لله وتنزيها له عن كل ما من شأنـه

---

١) أديان العالم ص ٢٦٧ — ٢٦٨ .

أن يصور الله بصور انسانية . "١"

وبالاضافة الى ماسبق يقول حبيب سعيد فى بيان معنى الكلمة : " كلمة الله ، فكر الله ، قد تجسد الى العالم فى شخص يسوع المسيح " "٢" .

ويقول الأب بولس الياس اليسوعي : " ولما كان عقل الله وذاته الالهيــة شيئا واحدا لبساطته كانت معرفته ذاته أقنوما قائما بنفسه مثل الآب لأن كل ما فى الله هو الله ، ولا سبيل الى التمييز فيه ما بين جوهر وعرض ، لأنه جوهر محض ولا عرض فيه ، وهكذا يمكننا القول ان ابن الله الذى هو كلمته ، الأزلى ،كان يكلم النـــاس عندما اتخذ جسما ترابيا ، يكشف لهم جنان الآب السماوى ،ويشفى اسقامهـــم ويغفر لهم خطاياهم ، ويشق لهم الطريق المؤدية " الى الآب " ، وكان ما يزال فى الوقت عينه قائما فى الله ابيه متحدا به اتحادا تاما " "٣"

ويقول القس الياس مقار : " ... وواضح أن الرسول يوحنا امسك باللفــظ وحدد معناه ومدلوله وعقيدته فيه من أول سطر فى انجيله . وعقيدة يوحنا فى الكلمة انه أولا وقبل كل شيء شخص وليس شيئا ، أو مجرد فكرة أو صفة عن الله ، وهـــذا الشخص له ذاتيته الازلية السرمدية القائمة فى الله اذ هو الاقنوم الثانى فـــى اللاهوت . " والكلمة كان عند الله " . وقطعا لكل لبس يمكن ان ينشأ فى الذهــن حول كون الكلمة شخصا وليس شيئا ، وحول كونه ذات الله وليس آخر ، قال يوحنـا : وكان الكلمة الله .... ولا يغرب عن البال ايضا أن الكلمة هذا عند يوحنــا ليس الا المسيح يسوع بعينه ... " "٤"

ويحاول حبيب سعيـــد فى موضع آخر توضيح معنى الكلمة وتجسدها فيقول : " الانسان يفكر فى بعض المعانى مثل العدل والايمان والثبات والمحبة ، هـــذه الافكار كلمات حتى قبل ان انطق بها ، لأن الكلمة الصوتية ان هى الا تعبير عـــن الكلمة الداخلية الكامنة فى عقلى . وهذه الافكار أو الكلمات الكائنة " مولوده " .

فضلا من ذا الذى جلس يوما الى مائدة عشاء مع العدل أو من ذا الذى سمع

---

١) انظر أديان العالم ص ٢٧٠ وما بعدها .
٢) نفس المرجع ص ٢٧٨
٣) يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه ص ٧٧
٤) ايمانى او قضايا المسيحية الكبرى ص ١٣٢

أن المحبة خرجت يوما الى نزهة خلوية •••••••

ومع ذلك فهى حقائق لا سبيل الى انكارها • ولكن من اين جاءت ؟ ان العقل قد ابدعها أو ولدها لا فى مولد طبيعى كما تلد الحيوانات صغارهـا بل فى توالد روحى الذى به تلد الافكار أو الكلمات الكامنه ••••••• وأخيرا فكر الانسان قد يأخذ طابع شخصيته ••••••• فنعرفه لهاحق المعرفة ••••

والآن لنطبق هذا كله على فكر الله ، الله يفكر ، وفكره هو كلمة ، كما ان فكرى هو كلمتى بعد أن انطق بها ، وهذا الفكر يولد فيسمى ابنا • وأخيرا يعبر هذا الكلمة او الابن عن شخصية الله • على ان ثمة فارقا بين الله وبين الانسان فى ميدان التفكير ، فلانسان فكر كثيرة وآراء متباينة ، ولكن لله فكرا واحدا ، وعنده كلمة واحده ، وهذا الكلمة الذى هو فكر الله لانهائى ومعادل لله ، فريد لا مثيل له ، البكر من روح الله " "١"

وهذا الكلام بطوله يوضح كيف ان المسيحيين تبنوا فكرة الكلمة التى استعملها يوحنا لأول مرة فى انجيله بالمعنى الخاص المتعارف بينه وبين اليونانيين الذين بشر فيهم يوحنا بدعوته • وبعد أن كان المفهوم من الكلمة قولا له دلالته اللغوية بحسب الألفاظ المستعملة فيه ،تغير معناها مع بقاء صورة الكلمة ومبناها فى العهد القديـم •

ويدل كلام حبيب سعيد على أن الله يفكر ، وأن تفكيره هو كلمته ، وأن كلمته ذات متنقله من مكان الى مكان ، لأن الكلمة صارت جسدا ، وحلت ، وعاشـت بين البشر فى شخص المسيح باجماعهم •

ويقول الدكتور هانى رزق : " وكلمة الله ليست مجرد كلمة محدودة زمانا ومكانا زائلة كالمفهوم المعروف لدينا عن معنى الكلمة • وانما هو اقنوم قائم بذاتـه ثابت ازلى أبدى هو اقنوم الكلمة — كلمة الله — الذى هو يسوع المسيح ابن اللـه (صورة الله) " "٢"

ويتفق الدكتور هانى مع حبيب سعيد ، فى اعتبار كلمة الله فكرة الله ،ويضرب فى ذلك مثلا يذكر فيه أن للانسان ثلاث خواص ، وهى التعقل والحياة والوجـود

---

١) اديان العالم ص ٢٩٣ — ٢٩٤

٢) يسوع المسيح فى ناسوته والوهيته ص ٢٠٥ •

والتعقل هو الفكر ، والحياة هى الروح ، والوجود هو الصورة ، وأن عنصر الفكر فى الانسان يأخذ طريقه الى الوجود عن طريق الكلمة التى هى صورة الفكر — اى صورة الذات الانسانية — .... ثم يعقد مقارنة بين الفكر الانسانى والفكر الالهى فيقول :

" سبق ان توضح لنا فى الانسان ان الكلمة هى صورة الفكر أى صورة الذات ولما كان الانسان مخلوقا على صورة الله كشبهه : " تك ١ : ٢٦ وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا " بذلك كما أن الكلمة فى الانسان هى صورة الذات الانسانية ، يكون كلمة الله هو صورة الذات الالهية أى صورة الله ..... بذلك المسيح الذى هو صورة الله هو كلمة الله اذ أن كلمة الله هو صورة الله كما توضح . وصورة الله هو وجود الله هو الله ، بذلك يكون كلمة الله الذى هو صورة الله هو وجود الله هو الله ، وهذا يفسر قول الكتاب المقدس " وكان الكلمة الله " . "١"

وهذا الذى يفهم من كلام هؤلاء الكتاب من أن معنى الكلمة الذى اراده يوحنا كان يناسب الفكر اليونانى ويوافق ما الفوه من معنى الكلمة فى التفكير الهلينى لا نلمس له اثرا فى كتابات المسيحيين القدماء ، بل ان بعض كتابهم الأوائل صرح بأن فكرة تجسد الكلمة لم يكن مقبولا لدى اليهود واليونانيين على حد سواء ، بل كان كلا الفريقين يهزأون ويسخرون منها .

يقول القديس اثناسيوس الرسولى "٢" : " .... وبعد أن عرفنا بنعمة الله ايضا ، شيئا عن لاهوت كلمة الآب وعنايته الشاملة وسلطانه ، .... تعال ايها العزيز (مكاريوس) يا خليقا بهذا الاسم ، ويا محبا للمسيح بالحق ولنتتبع ايماننا المسيحى ، ولنظهر كل ما يتعلق بتأنس الكلمة وظهوره الالهى بيننا ، الأمر الذى يسخر منه اليهود ، ويهزأ به اليونانيون . واما نحن فنعظمه ونبجله ، وذلك حتى تزداد وتتضاعف تقواك نحو الكلمة على قدر ضعف مظهره " . "٣"

---

١) نفس المرجع ص ٢٠٦ — ٢٠٧

٢) ولد اثناسيوس سنة ٢٩٧م وتولى قيادة المسيحية بالاسكندرية بعد عام ٣٢٦ م.

٣) تجسد الكلمة للقديس اثناسيوس الرسولى ص ١٦ — ١٧ اصدرته دار التأليف والنشر للكنيسة الاسقفية بالقاهره ترجمة القس مرقس داود .

وكلام اثنا سيوس هذا يدل — كما سبق ان قلت — على أن الناس — سواء اليهود منهم واليونانيون — لم يقبلوا فكرة تجسد الكلمة على أنها قضية لا تقبل النقاش والجدل • وعليه فان ما يقال من أن الوحى الالهى استخدم يوحنا فى التوفيق بين العقيدة المسيحية وبين الفكر اليونانى حتى اهتدى الى اطلاق الكلمة على المسيح ، لم يكتب له النجاح حتى فى عهد اثناسيوس الذى عاش بعد قرنين أو اكثر من استعمال يوحنا لهذه الكلمة فى انجيله لانّه كتبه — على ما يقال — ما بين سنة ٨٥ و ٩٥ م ، "١" ومع هذا البعد الزمنى الذى يفصل بين يوحنا واثناسيوس ، فان مقاومة مفهوم الكلمة عند يوحنا لم تتوقف من قبل خصمين رئيسيين للمسيحية ، وهما ، اليهود واليونانيون •

٤ — <u>مناقشة فى مبحث الكلمة :</u>

الكلمة المتجسدة ما هى وكيف تجسدت ؟؟

لقد علمنا معنى الكلمة عند اليهود من خلال ما فى العهد القديم من نصوص ورأينا استعمال المسيحيين للكلمة بطريق مخالفة لما هو معلوم عند اليهود ، وتبين لنا أن الدافع لهم الى ذلك اجتذاب الوثنيين الرومان الى المسيحية بعد تطويرها وتقريبها الى اذهانهم •

وهذا هو الدافع للمسيحيين الى تغيير ملامح رسالة المسيح ، وأول من قام بهذا الدور هو يوحنا الانجيلى الذى يؤكد المسيحيون انه اول من استعمل لفظ الكلمة بالمعنى المغاير للغة العهد القديم ، وأنه الف انجيله لاثبات الوهية المسيح ، وقد استفتحه بتلك العبارات الغامضة التى يتخذها المسيحيون وسيلة عظمى من وسائل الايمان بألوهية المسيح •

يقول الأب بولس الياس اليسوعى : " وبغية يوحنا فى انجيله ، اظهار الوهية المسيح الذى عرفه ورآه ولمسه والذى يريد ان يرسخ فى الاذهان انه هو الله وابن الله والوريث الشرعى للعهد القديم " "٢"

---

١) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٢٧ •
٢) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٢٨

وباضافة هذا النص الى ما سبق من نصوص فى مبحث الكلمة ، نرى بوضوح أن المسيحية بعد المسيح ، ليست هى المسيحية فى عهده ، وأن صاحب الدور الكبير فى تغيير وجه المسيحية الحقه ، هو يوحنا كاتب الانجيل الذى ذكر فى انجيله بنوة المسيح لله نحوا من خمس وستين مرة ، مما يدل بوضوح على ان يوحنا هو الذى تبنى فكرة بنوة المسيح لله كما تبنى فكرة التعبير عن الله بالكلمة ليلتقى مع الوثنيين فى نصف الطريق متنازلا عن عقيدة المسيح الصافية التى وجد ان اليونانيين لا يمكن ان يستوعبوها الا بادخال تغيير ذى بال يقربهم الى هذه المسيحية فى ثوبها الجديد •

لقد سبق عرض نصوص تتعلق بمعانى الكلمة عند المسيحيين ورأينا هناك ماقاله القس الياس مقار من أن " عقيدة يوحنا فى الكلمة أنه اولا وقبل كل شئ شخص وليس شيئا أو مجرد فكرة أو صفة عند الله " ، وبمقارنة كلامه هذا بماقاله حبيب سعيد من أن كلمة الله فكر الله " ، نجد أن المسيحيين لم يتفقوا على معنى واحد دقيق لمفهوم الكلمة حتى يومنا هذا ، ماجعلهم يتناقضون فى شرح معناها تناقضا نرى اثره واضحا فى هذين النصين •

وأوضح من هذا التناقض تناقض الأب بولس الياس فى كلامه هذا مع نفسه فى موضع آخر حيث يقول : " ولما كان عقل الله وذاته الالهية شيئا واحدا لبساطته كانت معرفته ذاته أقنوما قائما بنفسه مثل الآب " ونقول •• اذا كان عقل الله وذاته شيئا واحدا كما يقول فكيف انفصل هذا العقل عن الذات وتجسد ؟ وكيف يتجسد العقل وهو أمر معنوى ؟ وكيف اصبح اقنوما قائما بنفسه وهو والذات الالهية شئ واحد لا سبيل الى التمييز فيه بين جوهر وعرض ؟

ويقول حبيب سعيد فى الكلمة وتجسدها : " الانسان يفكر فى بعض المعانى مثل العدل والايمان والثبات والمحبة هذه الافكار كلمات حتى قبل ان انطق بها ..... وهذه الافكار أو الكلمات الكامنة مولودة • فمثلا من ذا الذى جلس يوما الى مائدة عشاء مع العدل أو من ذا الذى سمع أن المحبة خرجت يوما الى نزهة خلوية ؟ ؟ ومع ذلك فلا سبيل الى انكارها ولكن من اين جاءت ؟ ان العقل قد ابدعها أوولدها لا فى مولد طبيعى كما تلد الحيوانات صغارها بل فى توالد روحى الذى به تلد الافكار أو الكلمات الكامنه • "

وبعد هذه المقدمات الطويلة الواهية جاء بنتيجة أوهى وأوهن حيث قال :

" والآن لنطبق هذا كله على فكر الله ، الله يفكر ، وفكره هو كلمة ، كما ان فكرى هو كلمتى بعد ان انطق وهذا الفكر يولد فيسمى ابنا ، واخيرا يعبر هذا الكلمة أو الابن عن شخصية الله " .

لا شك أن الانسان يفكر فى المعانى كما يفكر فى الذوات ، ولا يختلف فى هذا اثنان من البشر ، ولكن من غير المسلم به أن تلك الأشياء المعنوية التى يفكر فيها الانسان تسمى كلمات ، اذ الكلمات هى التعبير عن تلك الافكار نطقا او كتابة بما يدل عليها من الألفاظ ، والدال ، وهو اللفظ ، غير المدلول ، وهو المعانى القائمة بالذهن .

ثم ان الانسان يفكر فى الذوات كما يفكر فى المعانى ، ولا يمكن اعتبار تلك الذوات التى يفكر فيها الانسان مولودة منه ، كما يزعم حبيب سعيد فى تفكير الانسان فى بعض المعانى ، وعلى هذا فلا يمكن ان يكون الفكر كلمة ، كما لا يمكن ان يولد ، لانه امر معنوى يفهم ولا يرى أو يلمس ، ولأنه معنى تدل عليه الكلمة .

ومادام قد بطلت المقدمات التى بنى عليها حبيب سعيد رأيه فى تجسد الكلمة ، فقد بطلت النتيجة التى رتبها على تلك المقدمات .

الفصـــل الثالـــث : وفيـه مباحـــث

* بنـــوة المسيـــح
* ابـــوة الآب
* الـــروح القدس
* الاقانيـــــم
* معنى الابوة والبنوه فى اصطلاحهم • ومناقشة ذلك
* مناقشة ادلتهم على اقنونية الآب ، ولاهوته ، بنصوص من العهدين القديم والجديد

(بنوة المسيح لله عند المسيحيين)

يؤمن المسيحيون بأن المسيح عليه السلام ابن الله على وجه الحقيقة وعلى شكل يخالف البنوة المعتادة بين البشر ، اذ هى نتيجة للاقتران الجسدى بين الزوجين ، وأما بنوة المسيح عندهم فليست من هذا القبيل — وان كانت البنوة فى حقه بنوة حقيقية لا جدل فيها عندهم — وانما هى بنوة ازلية اصيلة من قبل كل الدهور •

لقد ورد فى الاناجيل الأربعة تسمية المؤمنين بأبناء الله فى مواضع كثيرة ، كما ورد أيضا تسمية المسيح بابن الله فيها كذلك ، ولكن المسيحيين يفرقون بين ما ورد فى حق المؤمنين من هذه العبارة وبين ما ورد فى حق المسيح • ويقولون ان بنوة المؤمنين لله بنوة انعام وتفضل وهى بنوة مكتسبة بالصلاح• أما بنوة المسيح فليست مكتسبة وانما هى بنوة ازلية اصيلة •

يقول القس منيس عبد النور :

" ••• بنوة المؤمنين مكتسبة أنعم الله بها عليهم ، أما بنوة المسيح فهى ازلية أصلية ••• بنوة المسيح أصيلة اصلية من قبل كل الدهور ، ولكن بنوة المؤمنين تأتيهم عن طريق اتحادهم بالمسيح وثبوتهم فيه " • " ٢ "

ثم يتساءل القس منيس عبد النور قائلا :

" ما هو الفرق اذن بين المسيح ابن الله ، وبين المؤمنين أولاد الله ؟ " فيجيب قائلا : " الفرق الأول ان المسيح ابن الله من الأصل بالطبيعة منذ الازل أما المؤمن فهو ابن بالتبنى اذا رضى الله فى رحمته ان يجعله ابنا له ، والمسيح هو الابن الوحيد الذى وحده يقدر ان يقول : " أنا والآب واحد (يوحنا ١٠ : ٣٠) " وهو وحده الذى يقدر ان يقول : " من رآنى فقد رأى الآب " (يوحنا ١٤ : ٩) " ولكن ما هو المعنى من لقب المسيح ابن الله ؟

---

١) انظر (حقائق اساسية فى الايمان المسيحى للقس فايز فارس ص ١٥٣ وما بعدها دار الجيل للطباعة طبعة اولى سنة ١٩٦٨ م •

٢) القاب المسيح ص ١٩ •

المسيح مثل الله .. " ابن الله " معناها يشبه الله ...
وكما ان ابن الرعد معناها يشبه الرعد فى قوته ، وكما ان ابن السلام معناه يشبه السلام فى هدوئه ، وكما أن ابن الوعظ يشبه الوعظ فى التعزية ، هكذا ابن الله معناه يشبه الله .... انهه هو صورة الله غير المنظور ... وهو الذى حل فيه كل ملء اللاهوت جسديا .

فان من عرف المسيح يعرف الله ومن رآه فقد رأى الله " "١"

ويقول الأب بولس الياس اليسوعى :

" لقد سمعته الجماهير يدعو الله اباه ويقول فى صلاة خاشعة : " أشكرك يا ابت رب السماوات والأرض لانك اخفيت هذه عن الحكماء والعقلاء وكشفتها للاطفال نعم يا ابتاه لأنه هكذا حسن لديك كل شىء قد دفع الى من ابى وليس احد يعرف الابن الا الآب ، ولا أحد يعرف الآب الا الابن " (متى ١١ : ٢٥) .

" ففى هذا التصريح كشف عن سر دخيلته وأعلن أنه من الله وأن له وشائج طبيعية تربطه به عز وجل ، اذ أن ليس بمقدور احد أن يعرفه كما هو الا الله ، وأن ليس بمقدور احد ان يعرف الله كما يعرفه هو لأنه ابنه بالطبيعة ، وقد اكد انه يستطيع ان يعمل اعمال ابيه ، يقيم الموتى ويحييهم ، وأن له حقا مشروعا بما يقدم لله من الاكرام " "٢" .

ويفسر الأب بولس الياس اليسوعى كيف أن المسيح ولد من الآب بقوله :
" لا حاجة بنا الى القول ان ولادة الابن من الآب تختلف عما نفهمه عادة بهذه اللفظة . فولادة الابن من الآب معناها أنه صدر عنه كما يصدر النور من الشمس وهو صدور باطنى ، ونعنى بالصدور الباطنى أن المعلول يبقى داخل علته كالفكرة تبقى داخل العقل المفكر بخلاف الصدور الخارجى الذى ينفصل فيه المعلول عن علته شأن الولد الذى ينفصل عن والده علة كيانه " "٣"

---

١) الق‍اب المسيح ص ٢٠ — ٢١
٢) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٧٣
٣) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٧٧

هكذا يبدو مايعنيه المسيحيون من بنوة المسيح لله ، وقد اتضح مما سبق عرضه من نصوص أن المسيحيين لا يريدون من البنوة غير تلك البنوة المفهومة من اللفظ عند اطلاقه ، ولكن تفسيرهم لكيفية صدور الابن من الآب هوالفرق الذى يلاحظ فى العبارة هذه لا غير ٠

ولتقريب معنى هذا الصدور يقول الأب بولس الياس اليسوعى " لنأخذ مثلا لعلنا نفلح فى تقريب هذه الحقيقة فى الأفهام ٠ اذا جادت قريحة شاعر بقصيدة عصماء فأثبتها على القرطاس وانتشرت بين الناس فراحوا يتناشدونها افيمنع اثباته اياها على القرطاس من أن يبقيها فى الوقت عينه مطبوعة فى حافظته ؟ وليس فى ذلك أى غرابة ، وهكذا القول عن الله ، لقد عرف ذاته منذ الأزل بفعل عقلى داخلى ، فكان ابنه الكلمة الالهى الذى ثبت فيه وحل فينا بالجسد فى الوقت عينه " "١"

ومعنى هذا ان علمه تعالى بذاته هو الذى تجسد وحل فى بطن مريم واتخذ جسما ترابيا ليتصل بالبشر بعد تأنسه ٠

ويقول القس لبيب ميخائيل :

" وقد سمى المسيح ابن الله ليس على اساس تناسله من الله فالتناسل عمل من اعمال الجسد وحاشا لله أن يتناسل فهو لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ، وهو روح يملأ السموات والأرض ولا يحد ، لكن المسيح سمى ابن الله باعتبار انه هو الذى أظهر لنا الله ، الله لم يره احد قط " "٢" ٠

من هذا العرض نعرف معنى البنوة عند المسيحيين حينما يريدون بها بنوة المسيح لله تعالى ، وبقى أن نعرض النصوص الواردة فى الأناجيل ، والتى يؤيدون بها ما ذهبوا اليه من معنى البنوة ٠

---

١) نفس الصفحة من نفس الكتاب

٢) هل المسيح هو الله للقس لبيب ميخائيل ص ٨٠ المطبعة التجارية الحديثه الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢ م ٠

ولكن قبل عرض تلك النصوص يجب ان نعرف معنى الابوة الذى ترتبط بـه البنوة التى سبق أن عرفنا ها •

(ابـوة اللـه للمسيـح) :

سبق ان بينا مراد المسيحيين بالبنوة التى يلقبون بها المسيح دون غيره من البشر ولم نتعرض خلال الكلام على معنى البنوة لتعريف الأبوة ، أى ابوة الله للمسيـح كما يراها المسيحيون ، وهنا اشير اشارة موجزة الى معنى تلك الأبوة مع أن معرفتنا لمعنى البنوه يجعلنا ندرك معنى الأبوة الالهية للمسيح فى نظرهم وذلك لتلازم البنوة والأبوة وجودا وعدما ، وهذا مايجعلنى اوجز فى عرض فكرة الأبوة عنـد المسيحيين •

يرى المسيحيون أن الابوة الالهية للمسيح ابوة خاصة تتضمن مشابهـة الابن للآب فى طبيعته ، وتبادل المحبة بينهما ، ووراثة الابن للآب •

ويرون انه لم يوجد زمن لم يكن الله فيه ابا للمسيح ، كما أنه لم يكن زمـن لم تثبت فيه بنوة المسيح لله ، وقد سمى الله تعالى آبا من حيث نسبته الأزليـة للابن ، كما أن الابن سمى ابنا من حيث نسبته الأزلية للآب ، وهذه الأبوة ابـوة أزلية بولادة أزلية ، وليست هذه الأبوة كابوته تعالى لغير المسيح لأن ابوتـه لغيره ابوة بالتبنى أو بالولادة الجديدة بالروح القدس وهذه الأبوة ابوة انعـام وتفضل وهى مستحدثة بعد ان لم تكن بخلاف تلك الابوة الواردة فى حق المسيح "١"

وما دمنا قد عرفنا معنى الأبوة عندهم فلنعد الى عرض نصوص الأناجيل التى تدل على ماذهب اليه المسيحيون فى معنى الأبوة والبنوة •

<u>فـي انجيـل متـى :</u>

" وكان هناك الى وفاة هيرودس لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل من مصـر دعوت ابنى " "٢"

" فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء واذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله

---

١) راجع شرح اصول الايمان جـ ١ ص ٥٥ ومابعدها وص ٢٣٨ وما بعدها —

٢) متى ٢ : ١٥

نازلا مثل حمامة وآتيا عليه وصوت من السموات قائلا : هذا هو ابني الحبيب الذى سررت به " . "١"

" فبعد ما صام اربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيرا ، فتقدم اليه المجرب وقال له ان كنت ابن الله فقل ان تصيرهذه الحجارة خبزا . فأجاب مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . ثم اخذه ابليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل . وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى اسفل لانه مكتوب انه يوصى ملائكته بك فعلى اياديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك . قال له يسوع مكتوب أيضا لا تجرب الرب الهك . ثم اخذه ايضا ابليس الى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له اعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لى حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد " "٢"

" ليس كل من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات بل الذى يفعل ارادة ابى الذى فى السموات " "٣"

" فى ذلك الوقت اجاب يسوع وقال احمدك ايها الآب رب السماء والأرض لانك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للاطفال نعم ايها الآب لأن هكذا صارت المسرة امامك كل شىء قد دفع الى من ابى وليس احد يعرف الابن الا الآب ولا احد يعرف الآب الا الابن ومن اراد الابن ان يعلن له " "٤"

" ... فأجاب رئيس الكهنة وقال له استحلفك بالله الحى ان تقول لنا هل انت المسيح ابن الله ؟ قال له يسوع انت قلت "

" وكذلك المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة ايام خلص نفسك ان كنت ابن الله فانزل عن الصليب" "٦"

---

١) متى ٣ : ١٦ — ١٧
٢) متى ٤ : ٢ — ١٠
٣) متى ٧ : ٢١
٤) متى ١١ : ٢٥ — ١٧
٥) متى ٢٦ : ٦٣ — ٦٤
٦) متى ٢٧ : ٣٩ — ٤٠

" قد اتكل على الله فلينقذه الآن ان اراده لانه قال انا ابن الله وبذلك كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه " "١"

" واما قائد المائة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة وماكان خافوا جدا وقالوا حقا كان هذا ابن الله " "٢"

هذه النصوص مع نصوص أخرى مشابهة لها في الالفاظ والمعاني ، هي التي يجد المسيحيون فيها الدلالة الواضحة على بنوة المسيح لله تعالى ، وهي نصوص لا تختلف في دلالتها مع النصوص التي تدل على بنوة المؤمنين لله ، وهي نصوص تتفق مع ما ورد في حق المسيح في اللفظ بحيث لا يمكن التفريق بين النصوص كلها سواء في ارادة المعنى المجازي بها أو المعنى اللغوي .

وستأتي مناقشة هذه النصوص بنصوص وردت في حق غير المسيح ، علما بأن تلك النصوص كلها واردة في الاناجيل الأربعة .

---

١) متى ٢٧ : ٤٣
٢) متى ٢٧ : ٥٤

الـــــــروح القــــدس

سبق ان بينا ان المسيحيين يؤمنون بوجود الله تعالى وأبوته للمسيح كما يؤمنون ببنوة المسيح له ، وبالاضافة الى هذين الايمانين ، فانهم يؤمنـــون بانبثاق الروح القدس من الآب وحدة أو من الآب والابن معا على اختلاف فــى ذلك بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية "١"

اما شخصية الروح القدس ، فمن الصعب تصورها تصورا يبين هويتهــــا والروح القدس الذى يعتبر الركن الثالث فى الايمان المسيحى يصفه القس الياس مقار بقوله :

" والروح القدس هو ذات الله وشخصه " ... وان كان قد وجدت تلـــك القلة الضئيلة التى زعمت مع اريوس أنه دون الله ، او ماكيدونيوس سنة ٣٦١ م ، والقائل بأنه قوة الله وليس شخص الله ذاته ... وتلك التى لم تنكر لاهوتـــــه وان كانت قد انكرت أقنوميته فى ذات الله كسباليوس واشياعه واذنابه من الموحدين ممن ينكرون فكرة وعقيدة الثالوث عند المسيحيين .. ولكن الرأى الثابت والدائم فى الكنيسة المسيحية على مختلف العصور هو ان الروح القدس ذات الله ، وهــو الاقنوم الثالث شخص اللاهوت العظيم " "٢"

وهنا يصرح القس الياس بأن الروح القدس هو ذات الله وشخصه ولكـن بعد هذا كله ، نجده يصرح بأن من الصعوبة بمكان فهم الروح القدس فهمـــا كذلك الذى يمكن ان يحصل بالنسبة لشخص الآب أو الابن فيقول :

" ولعل مرجع الصعوبة فى فهم الروح كشخص وكأقنوم ، قائم فى ذات التعبيـــر أو اللفظ " الروح " اذ ليس من السهل على المرء ان يتصور شخص هذا الروح كما يتصور شخص الآب او شخص الابن ، فالانسان يمكنه مثلا ان يتبع بالخيال أو الفكر شخص الله الآب الصانع أو الخالق العظيم أو المعتنى أو الحارس او الضامن أو الضابط للكون ، كما يمكنه ان يتبع شخص المسيح ابن الله الحى ....

---

١) راجع تاريخ الكنيسة تأليف : موريس يقا رينى ترجمة الأب ج • عقيقى اليسوعى ج ٢ ص ٢٢ — ٢٣

٢) ايمانى او قضايا المسيحية الكبرى ص ١٨١

أما الروح القدس فلعل من الصعب تصوره بذات السهولة واليسر سواء فى شخصه أو فى أعماله ، ومن ثم جنح الخيال القاصر الاحمق لهذه الفئة المتباعدة المتناثرة فى التاريخ الى تصور أنه اله من دون الله ، أو قوة من قوى الله أو صفة قائمة فى شخص الله أو ما اشبه "١" .

وللروح القدس عند المسيحيين القاب متعدده يشير كل واحد منهـــا الى عمله الذى يختص به دون الآب والابن ، وهذه الالقاب هى :

١ ــ الروح القدس : وهو اشهر الالقاب ، وهو يعنى ــ بالاضافة الى التسامى والتعالى والطهر ــ ما يفعله الروح فى البشر من تبكيت وعدم مهادنتـــه للشر أو الاثم .

٢ ــ الروح المعـــزى : ويعنى هذا اللقب ان الروح القدس يقف الى جـــوار من يؤمن به للدفاع عنه مما يعزى ويقوى النفس البشرية .

٣ ــ روح الحـــق : وهذا اللقب يدل على ان الروح القدس يرشد الى الحق ويقنع النفس به ويقود اليه .

٤ ــ الـــروح المبكـــت : وسمى بهذا لأنه يبكت على المعاصى ويقنع النفس بسوء الخطيئة ويوبخها على ارتكاب الاثام .

٥ ــ روح الالهـــام : وهذا اللقب يعنى ان الروح القدس ــ بالاضافة الى كونه روح الوحى والاعلان للانبياء والرسل وكتاب الوحى ــ يلهم البشر ويعينهم على الخير ويفحص قلوبهم .

٦ ــ روح القـــوة : ويعنى هذا اللقب أن الروح القدس هو روح القوة فى العالم وهو روح القوة الجسدية والنفسية فى البشر . "٢"

أما اعمال الروح القدس التى يختص بها من دون الآب والابن فهـــى العمل فى الخليقة عموما وفى الناطقة منها على وجه الخصوص بارسال من الآب والابن معا ، وهو الذى لا يمكن ان يكون تقديس الا به ، كما لا يمكن ان يوجد التبنـــى

---

(١) ايمانى او قضايا المسيحية الكبرى ص ١٨١ ــ ١٨٢ .
(٢) راجع شرح اصول الايمان ج ١ ص ٥٧ وما بعدها وانظر : ايمانى او قضايا المسيحية الكبرى ص ١٨٤ وما بعدها

الا من الآب ، وكمالا تحصل الكفارة الا بالابن •

الاقانيـــــم

يطلق المسيحيون هذه الكلمة على ماسبق ان عرفنا بالآب والابن والروح القدس، وهذه الكلمة مفردها اقنوم وهي كلمة يونانية يعبر بها المسيحيون عن شخصية كل من الآب والابن والروح القدس مع اشتراكهم في الجوهر الواحد غير المتجزئ •

ويحترزون — في استعمالهم لهذه الكلمة — عن كلمة (شخص) العربية لكونها تعني الشخصية المنفصلة بعضها عن بعض في الجوهر •

يقول عوض سمعان : " فكلمة " الاقانيم " تختلف كل الاختلاف عن كلمة (الاشخاص) من ناحيتين رئيسيتين :

الأولى : أن الاشخاص هم الذوات المنفصل احدهم عن الآخر •
أما الاقانيم فهم ذات واحدة هي ذات الله •

الثانية : ان الاشخاص — وان كانوا يشتركون في الطبيعة الواحدة — الا انه ليس لاحدهم ذات خواص او صفات او مميزات الآخر •

أما الاقانيم فمع تميز احدهم عن الآخر في الأقنومية ، هم واحد في الجوهر بكل صفاته وخواصه ومميزاته لأنهم ذات الله الواحد " • "١"

ويرى البعض الآخر من المسيحيين أن كلمة اقنوم وشخص هما بمعنى واحد ، وعليه فان مايقال من فرق بين الكلمتين ليس مجمعا عليه بين المسيحيين •

ثم ان المسيحيين يقولون بأن كل واحد من هذه الاقانيم له الطبيعة الالهية الكاملة ، ويرون عدم تعدد الطبيعة بتعدد الاقانيم •

---

١) الله ذاته ونوع وحدانيته ص ١٣٢ •

ويقول الأب بولس الياس اليسوعي :

" ان الطبائع لا تتعدد حتى عندما تتعدد الاقانيم ، ولو تعددت الطبائع في الثالوث الأقدس لكان لنا ثلاثة الهة يستقل احدهم عن الآخر وهذا منتهى السخافة " "١"

ويقول ايضا في توضيح الفرق بين الاقنوم والطبيعة في تعليقه على هذه المسألة :

عندما اقول : أنا رجل ، هو ملاك ، اعني بعبارة انا وهو ، اقنوما او شخصا ، وبعبارة رجل وملاك ، طبيعة ، دلالة على انى املك طبيعة بشرية ، وهو يملك طبيعة ملائكية • فالشخص مالك والطبيعة مملوك • وهكذا يتجلى الفرق بين الأقنوم والطبيعة " "١"

تعقيب

البنوة والابوة الواردتان في الاناجيل ما معناهما ؟

الأصل في الألفاظ ، ان تدل على معانيها اللغوية من غير حاجة الى قرينة تؤيد مادلت عليه ، اذ انها وضعت للدلالة على تلك المعاني بلا قرينة تنضم اليها •

وقد يجنح المتكلم عن المعنى اللغوي الى معنى مجازي لعلاقة بين المعنى الأصلي الموضوع له اللفظ ، والمعنى المجازي الذي اراده ، ولا بد في هذه الحالة من قرينة تدل على ارادة المعنى المجازي •

وعلى ضوء هذه القاعدة ، ننظر الى لفظتي (الابوة والبنوه) الواردتين في الاناجيل الأربعة مرادا بكلمة الابن المسيح تارة والمؤمنون به تارة أخرى ، ومضافة في كلتا الحالتين الى الله سبحانه ، كما وردت لفظة الأب مرادا بها الله سبحانه ومضافة الى المسيح تارة والى المؤمنين به تارة أخرى ، وعلى هذا ، فليس استعمال هذين اللفظين قاصرا على المسيح في كلتا الحالتين : (حالة اضافة كلمة " ابن " وحالة اضافة كلمة "اب" • وكذلك وردت هاتان الكلمتان مقطوعتين

---

١) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٧٨ •

عن الاضافة • " ١ " •

ولقد وردت هاتان الكلمتان فى حق غير المسيح نحوا من خمس وعشرين مرة فى الاناجيل الأربعة ، كما وردت فى حق المسيح نحوا من مائة وتسع عشرة مرة مضافة وغير مضافة •

وبما ان بعض النصوص الدالة على بنوة المسيح للآب وابوة الآب له قد سبق عرضها فى المبحث الأول من الفصل الثالث فى الباب الأول فاننا نورد بعض النصوص الدالة على عدم اختصاص المسيح بالبنوة فى الاناجيل الأربعة ، فنقول وبالله التوفيق :

أولا : من انجيل متى :

" فليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا اعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم الذى فى السموات " " ٢ "

ثانيا : من انجيل مرقس :

" ومتى وقفتم تصلون فاغفروا ان كان لكم على احد شىء لكى يغفر لكم ايضا ابوكم الذى فى السموات زلاتكم وان لم تغفروا انتم ،لا يغفر ابوكم الذى فى السموات أيضا زلاتكم " " ٣ "

ثالثا : من انجيل لوقا :

" متى صليتم فقولوا ابانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك " " ٤ "

رابعا : من انجيل يوحنا :

" ••• قيافا تنبأ ان يسوع مزمع ان يموت عن الامة ، وليس عن الأمة فقط ، بل ليجمع ابناء الله المتفرقين الى واحد " " ٥ "

---

١) أعنى كلمة الآب وكلمة : الابن ولكن الملاحظ ان كلمة الآب عند قطعها عن الاضافة لا يقتصر معناها على ابوته للمسيح ، لاعتقاد المسيحيين الأبوة العامة للمؤمنين •

٢) متى ٥ : ٦

٣) مرقس ١١ : ٢٥ — ٢٦

٤) لوقا ١١ : ١١

٥) يوحنا ١١ : ٥١ — ٥٢

هذا بعض ما ورد من اطلاق هاتين الكلمتين فى الاناجيل الأربعة فى حق غير المسيح عليه السلام، وقد اقتصرت على هذه الأربعة مع ورودها بكثرة فى الاناجيل وذلك مخافة الاطالة، ولأن ما تركت عرضه هنا لا يخالف هذه النصوص الأربعة فى دلالته على ما نحن بصدده، وهو الاستدلال على عدم اختصاص المسيح بالبنوة سواء كان معنى الكلمة مجازيا، وهو الحق، أو حقيقيا، وهو مالا نوافق عليه على الاطلاق.

كيف يوجه المسيحيون معنى الكلمتين على كلا الاستعمالين؟

يرى المسيحيون أن الأبوة والبنوة حينما يردان فى حق المسيح، فالمراد منهما المعنى الحقيقى الذى تدل عليه الكلمة بالوضع.

وأما عند ورودهما فى حق غير المسيح، فان الأمر يختلف عن ذلك، لأن بنوة غير المسيح، بنوة غير طبيعية، لذلك، فهى مكتسبة غير موصلة.

يقول القس منيس عبد النور: " يتحدث الكتاب المقدس عن ان المؤمنين هم أيضا ابناء الله، المؤمنون يخاطبون الله على انه الآب السماوى بدالة البنين قائلين يا أبا الآب... كما ان المسيح خاطب الآب السماوى بدالة الابن قائلا يا أبا الآب. لكن الفرق الكبير بين المؤمنين كابناء الله، وبين المسيح، كابن الله، هو ان بنوة المؤمنين مكتسبة انعم الله بها عليهم.. أما بنوة المسيح، فهى ازلية اصلية "١"

ثم يؤكد القس منيس الفرق بين الاستعمالين بقوله: " .. الفرق الأول، ان المسيح ابن الله من الأصل بالطبيعة منذ الأزل. اما المؤمن فهو ابن بالتبنى اذ رضى الله فى رحمته ان يجعله ابنا له "٢"

وفى تفسير آخر لمعنى البنوة فى حق غير المسيح، يقول القس فايز فارس:

" لقد اطلق هذا الوصف على الملائكة فى قول الرب لأيوب: " أين كنت حين اسست الأرض... عندما ترنمت كواكب الصبح معا وهتف جميع بنى الله " ... وذلك

١) القاب المسيح ص ١٩
٢) القاب المسيح ص ٢٠

باعتبار الملائكة مخلوقون من الله على رتبة سامية ، ومحفوظون بالله في حالة المجد والقداسة ••• وقد نلقب البشر جميعهم بأنهم ابناء الله ، بمعنى انهم مخلوقون على صورة الله وشبهه ، لكن هذا اللقب زال عن الانسان عند سقوطه وعصيانه وصية الله وبذلك صار البشر ابناء ابليس لانهم يعملون مشيئته "١" •

بهذه النصوص يتبين لنا كيف ان المسيحيين يوجهون معنى الابوة والبنوة على كلا الاستعمالين ، وكيف انهم يوجدون فرقا في المعاني مع توافق المباني ، وعدم وجود فارق يسوغ ما ذهبوا اليه من معنى الكلمتين •

لقد وردت كلمة ابن الله في حق المسيح كما وردت كلمة ابناء الله في حق غير المسيح • ووردت كلمة اب مضافة الى المسيح ، ومضافة الى غير المسيح ، كما وردت الكلمتان " الآب والابن " مقطوعتين عن الاضافة ، وفي هذه الحالة الأخيرة تبقى كلمة أب دالة على الأبوة الشاملة ، وذلك لورود هذه الكلمة في حق المسيح وغيره في نصوص العهد الجديد ، ولعدم وجود مرجح للمعنى الخاص •

وعلى هذا فيجب على المسيحيين ان يعترفوا بواحد من أمرين لا ثالث لهما :

١ — اما ان يعتبروا ان اللفظين استعملا استعمالا لغويا في حق المسيح وغيره من غير تفريق بين الاستعمالين ، فتكون الأبوة والبنوة حقيقيتين في حق الجميع وعلى هذا المعنى ، فليقولوا ببنوة غير المسيح الحقيقية وألوهيتهم • كما قالوا ببنوة المسيح الحقيقية والوهيته ، لأن كثرة ورود هاتين الكلمتين في حق المسيح وغيره ، وعدم وجود قرينة تسوغ التفريق بين الاستعماليين ، يحتمان القول بعدم التفريق •

٢ — واما ان يعتبروا ان اللفظين استعملا استعمالا مجازيا في حق غير المسيح وحق المسيح على السواء ، لانه لا دليل على التفريق أيضا ، ولأن الخصائص البشرية الموجودة في غير المسيح ، متوفرة في المسيح ايضا ، وعليه ، فليقولوا ببشرية المسيح وعدم الوهيته وبنوته لله على وجه الحقيقة • والا فيكون الحال تفريقا بين متماثلين من غير دليل يرجح ذلك التفريق ، بل الدليل قائم على بطلان هذا التفريق •

---

١) حقائق اساسية في الايمان المسيحي ص ١٥٣

واذا تأمل المرء فى الاناجيل الأربعة ، يجدها تزخر باطلاق لفظ ابن الانسان على المسيح عليه السلام ، وقد كان المسيح يحب ان يطلق على نفسه هذا اللقب .

وكل من قرأ الاناجيل الأربعة وتصفحها ، لايجد للمسيح كلاما يدل على انه ابن الله بنوة حقيقية ، كما لا يجد فيها ايضا أن المسيح اطلق على نفسه كلمة " ابن الله " ، ولكن الوارد فى الاناجيل الأربعة على لسانه قوله : " ابى " ، و "ايها الآب " و "الابن " و " الآب " . واما ما ورد فى الاناجيل من اطلاق كلمة " ابن الله " على المسيح ، فقد جاء على السنة الناس الذين اطلقوها عليه ، اما على طريقة الاستفهام ، كقول رئيس الكهنة له : " هل انت المسيح ابن الله ؟ " [١] واما على سبيل التهكم ، كقول الشيطان له : " ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى اسفل " [٢] وقول المجتازين عليه عند صلبه — كما يعتقدون — : " ان كنت ابن الله فانزل عن الصليب " [٣] .

ومما يدل على ان هذا اللقب لم يطلقه المسيح على نفسه ، رده على رئيس الكهنة حينما سأله هل انت المسيح ابن الله ؟ بقوله : " انت قلت " [٤] ورده على السائلين الآخرين بقوله : " انتم تقولون انى انا هو " [٥] ، ومعنى هذا ، ان بنوة المسيح لله ، أمر قاله الناس عنه فقط ، ولم يكن ذلك صادرا عنه ، وهو أمر نلمس اثره فى الاناجيل الأربعة عند تصفحها ، ولا يوجد فيها نص صريح عن المسيح يدل على البنوة الحقيقية التى يتمسك بها مؤلهو المسيح .

ومع هذا ، فان كثرة ما ورد فى الاناجيل على لسان المسيح من أنه ابن الانسان ، تدحض ما ذهب اليه المسيحيون ، فقد وردت عبارة ابن الانسان فى الاناجيل الاربعة

---

١) متى الاصحاح ٢٦ : ٦٣
٢) متى الاصحاح ٤ : ٦
٣) متى الاصحاح ٢٧ : ٤٣
٤) متى الاصحاح ٢٦ : ٦٤
٥) لوقا الاصحاح ٢٢ : ٧٠ وهنا اختلاف بين هذا الرد المذكور فى متى ولوقا ورد آخر فى مرقس وهو : " فقال يسوع انا هو " مما يدل على تضارب بين الاناجيل نفسها فى القضية الواحدة . (مرقس ١٤ : ٦٢)

فى اكثر من ثمانين موضعا منها ، اضف الى هذا العدد ما ورد فيها على لسان معاصريه من انه انسان مرسل من قبل الله عز وجل . "١"

يقول القس منيس عبد النور : " كان المسيح يحب ان يلقب نفسه " ابن الانسان " وقد استعمله هو داعيا على نفسه اكثر من ٣٠ مرة فى انجيل متى ، و ١٥ مرة فى انجيل مرقص ، ٢٥ مرة فى انجيل لوقا ، وحوالى ١٢ مرة فى انجيل يوحنا " . "٢"

ومع محبة المسيح لقب ابن الانسان ، فان المسيحيين اعتبروا هذا تواضعا منه ليس الا ، ولم يعيروا اى اهتمام لكثرة ما ورد من هذا اللقب على لسانه عليه السلام .

وفى تفسير معنى هذا اللقب يقول القس منيس عبد النور :

" والآن ، ما هو قصد المسيح من هذا اللقب الذى كان يحبه واستعمله كثيرا ؟ .. وما هو المعنى الموجود فيه ؟ ... ما اجمل تواضع المسيح وهو يحسب نفسه واحدا من البشر بعد ان اخلى نفسه من مجده وصار مثل واحد من الناس، ماعدا الخطيئة . لم يقل المسيح عن نفسه انه ابن النجار ، او ابن اليهود .. لكنه كان يحب ان يلقب نفسه بلقب ابن الانسان ، لأنه أراد ان يحسب نفسه من البشر كلهم " . "٣"

كيف يقال ان هذا تواضع من المسيح مع اعتقاد الوهيته ؟ كيف يتواضع الاله مع ان المفروض فى حقه ، ان يبين للناس مظاهر الوهيته وربوبيته ؟ وذلك ، حتى لا يكون اى اختلاف بين العباد حول هويته ، وهو ما حدث بالفعل حول شخصية المسيح ، فالتواضع ليس صفة من صفات الاله ، ولكنه صفة من صفات العباد الذين يرجون من تواضعهم ثواب الله ، وما دام المسيح الها يستحق العبادة ، والتواضع له ، فلمن يتواضع هذا الاله فى نظر المسيحيين ؟ ولماذا لم يرد

---

١) كما ورد فى انجيل يوحنا " فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع، قالوا ان هذا هو بالحقيقة النبى الآتى الى العالم يوحنا ٦ : ١٤

٢) . القاب المسيح ص ٢٨

٣) نفس المصدر ص ٢٨ — ٢٩

على لسانه "لقب ابن الله " بهذه الصورة من الكثرة ؟

ومجرد ورود هذه الكلمة في الاناجيل على فرض صحة نسبتها الى المسيح ، لا يدل على المعنى الحرفي للكلمة لانه عليه السلام ، فسر مراده بهذه الكلمة لليهود حينما ضرب لهم مثلا بعد ان اراد اليهود رجمه بقوله : " أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند ابى بسبب اى عمل منها ترجمونني ؟ أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك من اجل عمل حسن ، بل لاجل تجديف ، فانت — وانت انسان — تجعل نفسك الها • أجابهم يسوع ، أليس مكتوبا في ناموسكم : أني قلت انكم الهة ؟ ، فان قال لاولئك الذين صارت اليهم كلمة الله ، ولا يمكن ان ينقض المكتوب ، فالذى قدسه الآب ، وأرسله الى العالم اتقولون له انك تجدف لأني قلت اني ابن الله " "١"

فدل كلامه هذا على انه لا يريد بهذه الكلمة سوى المعنى المجازى ، كما يدل على انه لم يطلق على نفسه كلمة ابن الانسان تواضعا ولا عدا لنفسه ابنا لكل الاجناس البشرية ، ولكنه قال ذلك جهرا بالحق الذى تعود ان يجهر به ، لما لمس في معاصريه من ميل الى نسبته الى الله على وجه الحقيقة ، لئلا يكون نزاع في حقه بعد هذا البيان الواضح المتكرر منه عليه السلام • ولكن الله غالب على امره ، فصار ما صار من تأليهه ونسبته الى الله خلافا للادلة القائمة على بشريته • وكل من امعن النظر في الاناجيل الأربعة يجد فيها ما يؤكد بشرية المسيح ورسالته من قبل الله عز وجل ، وينافي الوهيته وبنوته لله ، ورغم ان النصارى يستدلون بالاناجيل الأربعة وغيرها على ذلك ، فان ما يدل منها على بشريته وعدم الوهيته أكثر وأوضح مما يستدلون به •

---

١) يوحنا ١٠ : ٣٢ — ٣٦

اقنومية الآب ولاهوته :

على الرغم من ان المسيحيين يحاولون اثبات اقنومية الآب ، فان ذلك مما لا وجود له البتة فى العهدين «القديم » والجديد ، ولكن الشئ الوحيد الذى يمكن استنباطه منهما ، هو الدلالة على الوهية الله ووحدانيته الحقه ،ونصوص العهدين الدالة على الوحدانية غنية عن التعليق لوضوحها وصراحتها فى الفاظها ومعانيها ، ولم تكن رموزا وطلاسم على غرار تلك النصوص التى يحاول المسيحيون الاستدلال بها على اقنومية والوهية المسيح والروح القدس على الرغم من ركاكة ألفاظها وغموض معانيها وهذه النصوص الدالة على وحدانية الله .فى الوهيته وربوبيته ترد على المسيحيين اعتقادهم بالوهية المسيح والروح القدس •

جاء فى سفر الخروج من العهد القديم قوله : " ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا انا الرب الهك الذى اخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى امامى لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما فى السماء وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لانى انا الرب الهك اله غيور افتقد ذنوب الآباء فى الابناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى " "١"

" فانك لا تسجد لاله آخر لأن الرب اسمه غيور اله غيور هو " "٢"
" اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد " "٣"

" الرب الهك تتقى واياه تعبد وباسمه تحلف لا تسيروا وراء الهة أخرى من آلهة الأمم التى حولكم لأن الرب الهكم غيور فى وسطكم لئلا يحمى غضب الرب الهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض " "٤"

هذه هى نصوص العهد القديم تنطق بالحق وتشهد به وهو الوهية الله الواحد وعدم الوهية غيره كائنا من كان مما فى الأرض أو فى السماء ، وهى بوضوحها

---

١) خروج ٢٠ : ١ — ٥
٢) خروج ٣٤ : ١٤
٣) تثنية ٦ : ٤
٤) تثنية ٦ : ١٣ — ١٥

فى الفاظها ومعانيها تغنى الباحث عن عناء التعليق والنظر والتوقف • ولقد ناقشناهم هنا بنصوص من العهد القديم نظرا لايمانهم به ، وان كلامنا معهم لا يقتصر على ما فى الاناجيل ، بل يمتد الى العهد القديم لايمانهم به مع العهد الجديد •

وما دمنا قد رأينا هذه النصوص الدالة على الوهية الله ووحدانيته من العهد القديم فان من الأفضل ان نذكر بعض نصوص من العهد الجديد لنرى ما اذا كانت آثار الوحدانية الالهية باقية فيها كما لمسنا ذلك فى العهد القديم أو لا •

جاء فى انجيل متى على لسان المسيح قوله فى رده على الشيطان عندما دعاه الى القاء نفسه من مكان عال : " مكتوب ايضا لا تجرب الرب الهك " وجاء فيه كذلك قوله للشيطان حينما طلب ان يسجد له : " اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد " ، وعندما سئل المسيح عن أولى الوصايا العشر أفاد بأن ذلك " اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد " •

وهذه النصوص الانجيلية أيضا غنية عن التعليق لما دلت عليه بوضوح وجلاء من دعوة المسيح الى عبادة الله والوهيته الحقة ، واعترافه بأنه عبد من عباده المرسلين ، وليس فى هذا اختلاف بين نصوص العهد القديم ، ونصوص العهد الجديد ولعل هذه النصوص واشباهها فى العهدين هى خلاصة ما بقى من تعاليم موسى وعيسى عند اهل الكتاب •

الفصل الرابع : في التثليث

* ألوهية الابن واقنوميته
* أدلتها من العهد الجديد
* أدلتها من العهد القديم
* ألوهية الروح القدس وأقنوميته
* ألوهية الأب واقنوميته
* أدلتها من العهد القديم
* أدلتها من الاناجيل
* وحدة الاقانيم
* تاريخ التثليث في النصرانية
* مناقشة ادلة النصارى على التثليث

التثليث في نظر النصارى

أولا : ألوهية الابن

سبق ان ذكرنا فيما مضى ، أن المسيحيين يؤمنون بوجود الله تعالى ، وأنهم يؤمنون كذلك ببنوة المسيح لله تعالى ، وبأقنومية الروح القدس ، واتضحت هناك بعض الخصائص والمميزات التى تنسب الى كل واحد من هذه الاقانيم الثلاثة •

وبقى أن نعرف مفهوم كلمة " الله " عند المسيحيين وما اذا كان المسيحيون يؤمنون بالوحدانية الالهية فى ايمانهم بوجود الله تعالى •

هذا ما تهدف الى بحثه وايضاحه فى هذا المبحث ، وهذا المبحث — وان كان امتدادا لمباحث الفصلين السابقين قبله — يعتبر توضيحا وتشخيصا لما سبق أن عرفناه هناك ، كما يعتبر ثمرة ذينك الفصلين وخلاصتهما •

ولعل ماسبق عرضه هناك ، أوشك أن ينبئ بمعنى هذا المبحث الذى افردنا له فصلا لاهميته • وبما أن الحكم على الشئ فرع عن تصوره ، وأن التصور لمعنى التثليث ، لايمكن ان يحصل الا بالرجوع الى المراجع المسيحية ، لذلك ، فاننا سنرجع الى ماكتبه المسيحيون أنفسهم فى هذا الموضوع ، حتى يتبين ويتضح ، ويكون حكمنا عليهم من كتاباتهم •

فأقول وبالله التوفيق •

لقد عمد المسيحيون فى ايراد النصوص المثبتة لعقيدة التثليث الى ترتيب معين ، ذلك انهم يوردون اولا ، مايثبت اقنومية الابن ولاهوته ، ثم مايثبت اقنومية الروح القدس ولاهوته ، ثم مايثبت اقنومية الآب ولاهوته ، ثم ما يذكر فيه كل واحد من الأقانيم الثلاثة ، وأخيرا ، مايذكر فيه الاقانيم الثلاثة معا • "[١]" ومفهوم كلمة " الله " عندهم هو ، هذه الاقانيم الثلاثة •

---

١) راجع شرح اصول الايمان جـ ١ ص ٤٧ — ٤٨ •

وجاء في شرح أصول الايمان قوله : " ان لاهوت الابن يثبت من آيات عديدة تقتصر على ايراد بعضها بالترتيب الآتي : أولا : لكون الالقاب الالهية قد نسبت اليه ثانيا : لكون الكمالات الالهية قد نسبت اليه . ثالثا : لكون الأعمال الالهية قد نسبت اليه . رابعا : لكون العبادة الالهية قد أمرنا بتقديمها اليه " ١ "

أما النصوص التي تثبت لاهوت المسيح في نظرهم ، فهي عين تلك النصوص التي سبق عرضها في الاستدلال على بنوة المسيح لله ، لذلك ، فلا داعي الى ايرادها مرة أخرى .

والنصوص التي تنسب الى المسيح الكمالات الالهية في نظرهم ، فنوردها هنا :

منها وصفه بالأزلية :

يقول يوحنا في انجيله ، " في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان في البدء عند الله " " ٢ "

كما وصف المسيح نفسه بالأزلية فيما حكاه يوحنا ايضا بقوله لليهود : " الحق اقول لكم قبل ان يكون ابراهيم انا كائن " " ٣ "

ومنها ما وصفه بعدم التغيير :

من ذلك ما جاء في الرسالة الى العبرانيين اذ جاء فيها : " وأنت يارب في البدء أسست الأرض ، والسموات هي عمل يديك ، هي تبيد ، ولكن انت تبقى ، وكلها كثوب تبلى ، وكرداء تطويها فتتغير ، ولكن انت انت وسنوك لن تفنى " " ٤ "

وجاء في الرسالة أيضا : " يسوع المسيح هو هو أمسا ، واليوم والى الأبد " " ٥ " .

ومنها وصفه بالحضور في كل مكان :

يقول يوحنا : " وليس احد صعد الى السماء الا الذي نزل من السماء ابن الانسان الذي هو في السماء " " ٦ " .

---

١) نفس المصدر جـ ١ ص ٤٨ (شرح اصول الايمان)
٢) يوحنا ١ : ١ — ٢
٣) يوحنا ٨ : ٥٧
٤) عبرانيين ١ : ١٠ — ١٢
٥) عبرانيين ١٣ : ٨
٦) يوحنا ٣ : ١٣

ويقول متى وهو يحكى عن المسيح قوله : " وأقول لكم ايضا : ان اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه ، فانه يكون لهما من قبل ابى الذى فى السموات ، لانه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى ، فهنـــاك أكون فى وسطهم " ١ "

ومنها وصفه بأنه عالم بكل شيء :

يقول متى حكاية عن المسيح : " كل شيء قد دفع الى من ابى ، وليس احد يعرف الابن الا الآب ، ولا احد يعرف الآب الا الابن ، ومن اراد الابن ان يعلن له " " ٢ "

ومنها الخلق واحياء الموتى ومجازاة الخلق يوم الحساب:

ومما يستندون اليه فى قولهم بأنه ديان الخلق اجمعين ، قوله لليهود فى انجيل يوحنا : " لأن الآب لا يدين أحدا ، بل قد اعطى الدينونة للابن ، لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب ، من لا يكرم الابن ، لا يكرم الآب الذى ارسله " " ٣ "

ومنها وصفه بالقدرة على كل شيء :

كما جاء فى الرسالة الى العبرانيين : " الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديما ، بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثا لكل شيء ، الذى به ايضا عمل العالمين ، الذى هو بهاء مجده ورسم جوهره ، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته ، بعد ما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا ، جلس فى يمين العظمة فى الأعالى " " ٤ "

بهذه النصوص وغيرها مما لم نذكره هنا يستدل النصارى على الوهية المسيح ، وبالاضافة الى هذه النصوص ، فثم نصوص أخرى يستدلون بها على ذلك كالأمر بتقديم العبادة له ، وذلك يدل على الوهيته فى نظرهم .

---

١) متى ١٨ : ١٩ — ٢٠
٢) متى ١١ : ٢٧
٣) يوحنا : ٢٢ — ٢٣
٤) عبرانيين ١ : ١ — ٣

ومما جاء في الأمر بعبادته : ماجاء في انجيل متى على لسان المسيح وهو يخاطب تلاميذه : " فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" "١"

وبعد ، فهذه بعض ادلتهم من العهد الجديد على الوهية المسيح ، ولم نوردها على سبيل الاستقصاء خشية الاطالة ، ولأن ماتركناه منها ، لم يكن اكثر دلالة على ماذهبوا اليه من هذا المعتقد . لهذا نعود الى عرض ادلتهم على ذلك من العهد القديم ، فنقول :

العهد القديم والوهية المسيح :

لا يقتصر المسيحيون في الاستدلال على الوهية المسيح على ما ورد في العهد الجديد ، بل يستدلون ايضا من العهد القديم بالنصوص الآتية :

" في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلصهم بمحبته ورأفته هو فكهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة " "٢"

في هذا النص يرى المسيحيون ان المراد بقوله : " ملاك حضرته " هو المسيح كما يرون لهم دليلا على ذلك بماجاء في سفر اشعياء ايضا :

" لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا أبا أبديا رئيس السلام "٣"

وفيه ايضا قوله :

" ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ، ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل . زبدا وعسلا يأكل ... " "٤"

وما ورد في المزامير ايضا من قوله :

" قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اضع اعداءك موطئا لقدميك " "٥"

---

١) متى ١٨ : ١٩
٢) اشعياء ٦٣ : ٩
٣) اشعياء ٩ : ٦
٤) اشعياء ٧ : ١٤ ـ ١٥
٥) مزامير ١١٠ : ١

وماجاء فى سفر الامثال ايضا على لسان سليمان :

" انى ابلد من كل انسان وليس لى فهم انسان ولم اتعلم الحكمة ولم اعرف معرفة القدوس ، من صعد الى السموات ونزل • من جمع الريح فى حفنتيه • من صر المياه فى ثوب • من ثبت جميع اطراف الأرض • ما اسمه وما اسم ابنه ان عرفت " " ١ "

وجاء فى ميخا قوله :

" أما انت يا بيت لحم أفرأته وانت صغيرة أن تكون بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ ايام الأزل " " ٢ "

هذا ما يورده المسيحيون دليلا على الوهية المسيح من العهد القديم ، وهى لا تعد و أن تكون رموزا يرى المسيحيون حلها فى شخص المسيح

ثانيا : أقنومية الروح القدس والوهيته

أشرت فيما مضى عند الكلام عن الاقانيم الثلاثة الى أن الروح القدس احد تلك الاقانيم الثلاثة ، وأن من الصعب تصور شخصية الروح القدس عند المسيحيين ونقلت فى ذلك كلامهم •

وهنا اذكر بجايجاز كلامهم عن الوهية الروح القدس وأقنوميته ، مع أن ما سبق ذكره ليس ببعيد عن النصوص التى سوف اقدمها هنا •

جاء فى شرح اصول الايمان :

" ان اقنومية الروح القدس تثبت من استعمال الضمائر (انا) و (أنت) و (هو) ، حين تكلم المسيح عن نفسه ، وعن الآب ، وعن الروح القدس وعن تمييز المرسل والمرسل منه والشاهد والمشهود له ؛ ومن ارشاد الروح القدس للناس الى جميع الحق ، وتعليمه اياهم وتقديسه اياهم ، وفحصه قلوبهم

١) امثال : ٣٠ : ٢ — ٤

٢) ميخا ٥ : ٢

وتبكيته اياهم ، واعانته لهم ، وشفاعته فيهم ، وتعزيته لهم " ١ "
وأشار الى النصوص التالية من العهد الجديد :

" وأنا اطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الابد • روح الحق الذى لا يستطيع العالم ان يقبله لانه لا يراه ولا يعرفه • واما انتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم " " ٢ "

" لكن لانى قلت لكم هذا " ٣ " قد ملأ الحزن قلوبكم • لكنى أقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق ، لأنه ان لم انطلق لا يأتيكم المعزى ولكن ان ذهبت أرسله اليكم • ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيئة وعلى بر وعلى دينونة " • " ٤ "

وكذلك ما ورد فى رسالة بولس الى اهل كورنثوس من قوله :

" ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله • التى نتكلم بها أيضا لا بأقوال تعلمها حكمة انسانية بل بما يعلمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات " • " ٥ "

وما جاء فى رسالته ايضا الى اهل روميه من قوله :

" وكذلك الروح ايضا يعين ضعفاتنا لأننا لسنا نعلم مانصلى لاجله كما ينبغى لكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها " " ٦ "

---

١) شرح اصول الايمان جـ ١ ص ٥٠ — ٥١

٢) يوحنا ١٤ : ١٦ — ١٧

٣) الاشارة هنا الى صلبه وقيامه من الموتى

٤) يوحنا ١٦ : ٦ — ٨

٥) كورنثوس ٢ : ١٢ — ١٣

٦) روميه ٨ : ٢٦

هذا مايستدل به المسيحيون على اقنومية الروح القدس وشخصيته ، وأما مايستدلون به على الوهية الروح القدس ، فهي النصوص الآتية :

" فقال بطرس يا حنانيا لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس ، وتختلس من ثمن الحقل ، أليس وهو باق كان يبقى لك ولما بيع ألم يكن في سلطانك فما بالك وضعت في قلبك هذا الأمر انت لم تكذب على الناس بل على الله " . "١"

" لذلك كما يقول الروح القدس اليوم ان سمعتم صوته فلا تقسو قلوبكم كما في الاسخاط يوم التجربة في القفر حيث جربني آباؤكم اختبروني وابصروا أعمالي اربعين سنة . لذلك مقت ذلك الجيل وقلت انهم دائما يضلون في قلوبهم ولكنهم لم يعرفوا سبلي " . "٢"

وبالاضافة الى هذه النصوص هناك نصوص يستدلون بها على ألوهية الروح القدس وهي اما انها تصفه بالعلم بكل شيء واما انها تصفه بالقدرة على كل شيء و الحضور في كل مكان أو تأمر بتقديم العبادة له . "٣"

ثالثا : أقنومية الآب ولاهوتــــه

ان الكتاب المقدس بعهديه ، القديم والجديد ، يزخر بادلة مستفيضة على الوهية الله سبحانه ، لا على اقنوميته ، ولكن المسيحيين لا يعرجون عليها في الاستدلال على الوهية الله في كثير من كتبهم ، لاعتقادهم ان الوهية الله مسلم بها ، غير ان المسلم به في هذه المسألة ألوهيته فقط لا اقنوميته بالنسبة الى الاقانيم .

ولكي يكتمل الموضوع من جميع جوانبه ، نذكر هنا بعض النصوص الدالة على الوهية الله تعالى من العهدين القديم والجديد .

---

١) اعمال ٥ : ٣ — ٤

٢) عبرانيين ٣ : ٧ — ١٠

٣) راجع شرح اصول الايمان جـ ١ ص ٥٢

أولا : نصوص من العهد القديم :

ان العهد القديم يمكن أن يستدل به على الوهية الله تعالى عند المسيحيين ، ذلك لانهم يؤمنون بالعهد القديم (التوراة) مع العهد الجديد • ومن النصوص التي تفيد هذا المعنى من اسفاره ، ما ورد في سفر الخروج ،اذ يقول :

" ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا : انا الرب الهك الذى أخرجك من ارض مصر من بيت العبودية ،لا يكن لك آلهة أخرى امامى ، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ،ولا صورة ما مما فى السماء وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض ،لا تسجد لهن ، ولا تعبدهن ، لأنى انا الرب الهك اله غيور ، أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء ، فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى " "١"

" فانك لا تسجد لاله آخر ، لأن الرب اسمه اله غيور هو " "٢"

وفى سفر اللاويين :

" لا تلتفتوا الى الأوثان وآلهة مسبوكة • لا تصنعوا لانفسكم ،انا الرب الهكم " "٣" •

وفى سفر التثنية :

" الرب الهك تتقى ،واياه تعبد ،وباسمه تحلف ، لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الامم التى حولكم ، لأن الرب الهكم اله غيور فى وسطكم ، لئلا يحمى غضب الرب الهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض " "٤" " اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد " "٥"

هكذا تتوالى الادلة على الوهية الله من العهد القديم ، وهى نصوص صريحة فى دلالتها بحيث لا يحتاج الباحث الى تأمل ونظر فى دلالتها •

---

(١) خروج ٢٠ : ١ — ٥
(٢) خروج ٣٤ — ١٤
(٣) لاويين ٩ : ٤
(٤) تثنية ٦ : ١٣ — ١٥
(٥) تثنية ٦ : ٤

ثانيا : نصوص من الاناجيل :

ان الاستدلال على الوهية الله من العهد القديم لدى المسيحيين ، نابع من ايمانهم بأن دعوة المسيح امتدادا لشريعة موسى ، ولذلك ورد عن المسيح عليه السلام قوله :

" لا تظنوا انى جئت لأنقض الناموس أو الانبياء ، ماجئت لانقض بل لاكمل " "١"

وهذا النص يدل على اعتراف المسيح بالناموس الالهى فى التوراة ، وقد رأينا كيف أن العهد القديم نطق بالوهية الله ، فدل ذلك على أن العهدين يتفقان فى الدلالة على الوهية الله تعالى .

ومما ورد فى ذلك ماجاء فى انجيل متى على لسان المسيح حينما جاء به الشيطان وأوقفه على جناح الهيكل ، وقال له :

" ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى اسفل ، لأن الله يوصى بك ملائكته فيحملونك على ايديهم لئلا تصطدم بحجرة

فرد عليه المسيح بقوله :

" مكتوب ايضا لا تجرب الرب الهك .

ثم اخذه ابليس الى جبل عال جدا واراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له :

" أعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لى .

حينئذ ، قال له يسوع :

" اذهب ياشيطان لأنه مكتوب للرب الهك تسجد ، واياه وحده تعبد " "٢"

فدلت هذه النصوص على الوهية الله تعالى ، وهى التى دلت عليها النصوص السابقة ، من العهد القديم ، واليها اشار المسيح هنا بقوله :

" مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد "

أى أن هذا أمر الهى مكتوب فى التوراه لايمكن ان يحيد عنه .

---

١) متى

٢) متى ٤ : ٥ — ١٠

رابعا : وحدة الاقانيم

اتضح مما مضى بحثه من المسائل ان الايمان المسيحى يرتكز على الاعتقاد بألوهية الاقانيم الثلاثة ، وان تلك الاقانيم لها شخصيتها ومميزاتها ، وهنا سؤال يطرح وهو ، هل تلك المميزات التى تخص كل واحد من الاقانيم تجعلها آلهة ثلاثة ، وأنها معا اله واحد ؟

يجيب المسيحيون على هذا السؤال بقولهم : ان الاقانيم وان كانت ثلاثة فى اقنوميتها وشخصيتها — ليس لها سوى طبيعة الهية واحدة — والفرق بين الطبيعة والأقنوم عندهم هو أن الطبيعة مملوكة والاقنوم مالك ، ومع هذا فان المسيحيين يرون ان كل واحد من الاقانيم يملك الطبيعة الكاملة . فمعنى هذا أن الالوهية الكاملة ثلاثة ثلاثة ايضا لأن الاقانيم ثلاثة ولكل واحد منها الطبيعة الالهية الكاملة . "١"

يقول القس الياس مقار :

" والايمان بوحدانية الله اساس العقيدة المسيحية وقاعدتها وقد جاء هذا الايمان الى المسيحية — كما هو معلوم — من الديانه اليهودية التى اعتنقته وتمسكت به واصرت عليه فى عالم امتلأ وقتئذ بما لا يعد او يحصى من الآلهة المختلفة " . "٢"

وكما سبق ان بينا فان التوراة مملوءة بنصوص كثيرة تدل على الوهية الله وتلك النصوص نفسها تدل على الوحدانية الالهية بعبارات صريحة ، واليها يشير القس الياس مقار فى كلامه السابق ، وذلك لأن المسيحيين يؤمنون بالعهد القديم بالاضافة الى تمسكهم وانفرادهم بالعهد الجديد . ولكن كيف يجمع المسيحيون بين احتفاظهم بنصوص الاناجيل والتوراة التى تدل على الوحدانية الالهية اذ تقول :

" انت الاله الحقيقى وحدك " و " الرب الهنا رب واحد "
و " انت هو الاله وحدك " و " للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد "

وبين ايمانهم بالثالوث ؟ فالمسيحيون انفسهم وجدوا ان التعارض بين هذه

---

١) انظر : يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٧٨
٢) ايمانى او قضايا المسيحية الكبرى ص ٥٦

النصوص والقول بالتثليث ظاهر ، ولكنهم يرون ان هذا التعارض ،تعارض فـــي الظاهر فقط دون ان يكون له اثر عند الدراسة العميقة .

اذن ما الحل ، أو كيف يمكن الجمع بين تلك النصوص وهذه العقيدة فـي نظر المسيحيين ؟؟

يقول القس الياس مقار :

" ان اول اسم لله تعالى ورد فى العهد القديم هو لفظ "الوهيم"
ومن العجيب أن يجيء هذا الاسم فى الأصل العبرانى بصيغة

الجمع لا المفرد ... وقد حاول بعض المفسرين اليهود وغير اليهود أن يردوا صيغة الجمع هذه الى التعظيم اللائق بشخص الله كما يفعل الملوك عادة عندمـا يتحدثون عن انفسهم ، ولكن هذا الرأى مردود لأكثر من سبب ،اذ ان علمـــاء اللغات يقطعون بأن هذه العادة لم تكن معروفة فى القديم " "١"

ثم يستدل القس الياس على عدم صحة هذه العاده عند الملوك بما ورد فى سفر التكوين من أن فرعون تحدث الى يوسف بصيغة المتكلم المفرد ، "٢" وكذلك نبوخذ نصر أصدر اوامره باحضار حكماء بابل تكلم بصيغة المفرد "٣" وان الملك داريوس تكلم أيضا بضمير المفرد حيثما اصدر امره ببناء بيت الله فى اورشليم "٤"

ثم يقول القس الياس : " ان اللفظ الوهيم الذى ورد فى العهد القديـــم الفى مرة يشير بجلاء الى التثليث فى شخص الله ، التثليث الذى اتضح بالتدريـج فى الاعلانات الالهية عن الله الواحد الأحد حتى اشرق نوره تماما فـي العهد الجديد " "٥"

ويشير القس المذكور الى ان هذه الاقانيم ليست تجليات أو مظاهر لذات الاله الواحد قائلا : "

---

١) ايمانى او قضايا المسيحية الكبرى ص ٦٩
٢) تكوين ٤١ : ٤١
٣) دانيال ٤ : ٦
٤) عزرا ٦ : ١١
٥) ايمانى او قضايا المسيحية الكبرى ص ٦٩

" وهذه الوحدانية الجامعة هي المعروفة في الكتاب باسم (الآب والابن والروح القدس) وقد التزم بها المسيحيون كاعلان عن الاله الواحد ذى الثلاثة الاقانيم ، وليست كتجليات أو مظاهر فى ذات الاله الواحد مانفيناه ونحن ندحض بدعة سباليوس ، أو كالوحدانية البسيطة التى ذهب اليها اريوس وهو ينكر مساواة الابن والروح القدس بالآب " . " ١ "

خامسا : متى وجد التثليث فى المسيحية ؟

ان التثليث بشكله الحالى عند المسيحيين لم يكن معروفا عند اوائلهم ، وليس من المسلم به لدى الفرق المسيحية فى القرون الأولى ، بل كان بينهم من الاختلاف حول شخصية المسيح وشخصية الروح القدس ماجعلهم يتمزقون ويتبادلون العداء الصريح مما دعاهم الى عقد مجامع مسكونية أو محلية للقضاء على اسباب الاختلاف ان امكن او على المخالفين بحرمانهم وتحريم آرائهم على المجتمع المسيحى .

وكان أول خلاف ظهر فى شخصية المسيح فى القرن الأول لمسيحى بصور مختلفة . فطائفة تنكر ناسوت المسيح ، وأخرى تنكر صلبه وتعتقد ان شخصا آخر حل محله ، اضف الى ذلك من انكر ازلية المسيح وبنوته للمه الا بالتبنى الذى يقال فى غيره من المؤمنين . " ٢ "

وقد استمرت هذه الخلافات حول شخصية المسيح من القرن الأول الميلادى حتى بداية القرن الثالث متخذة اشكالا مختلفة ، فلما كان القرن الثالث فى الربع الأول منه انعقد مجمع نيقية الأول وتمكن من القضاء على ما رآه فتنة وبدعة اقلقت بال المسيحيين مدة طويلة . ولكن القضاء عليها كان قضاء حكميا فقط ، وذلك

---

١) ايمانى او قضايا المسيحية الكبرى ص ٧٠

٢) راجع تاريخ الكنيسة ج ١ ص ٦٢ ج ٢ ص ٥ وما بعدها . و " التجسد " ص ٢٦ وما بعدها (للاب فرنسيس فربيه ترجمة الى العربية الأب لويس ابادير منشورات المعهد المعادى سنة ١٩٦٢ م) .

بحرمان من يتزم تلك البدعة من الايمان ، ومن أهم تلك البدع ، فى نظرهم هى بدعة آريوس المصرى المولود فى ليبيا سنة ٢٥٦ م "١" وقد دعا الى نبذ فكرة الوهية المسيح وبنوته لله على وجه الحقيقة ، وقال بحدوث الابن ومخلوقيته . وسوف اذكر نبذة عن آريوس ودعوته فى مكانه ان شاء الله تعالى .

وعلى الرغم من محاولة المجمع النيقى القضاء على آريوس ودعوته واصداره قرارا بحرمانه فان الأريوسية أخذت فى الانتشار والانتصار بلا توقف . وبجانب الاريوسية وغيرها من المذاهب التى انشقت عن الكنيسة فى آرائها حول شخصية المسيح فقد حدث انشقاق آخر لا يقل حدة عن ذلك الذى حصل حول شخصية المسيح ، ذلك الشقاق كان حول شخصية الروح القدس ، فقد انكرت بعض الفرق ألوهيته ومساواته للآب والابن واعتبرته خادما للابن أو معبرا عنه ، مخلوقا من المخلوقات "٢"

وانعقد مجمع للاساقفه سنة ٣٨١ للبت فى هذا الخلاف حول الروح القدس وتمخض الاجتماع عن اعلان قرار يدعو الى الايمان بألوهية الروح القدس ، وهو ما قد حرره القديس ابيفان سنة ٣٧٣ ولكن الاعلان عنه والموافقة عليه واعتباره قانونا متبعا فى المسيحية لم يكن الا فى هذا الاجتماع "٣"

وبعد ان كان المجمع النيقوى قد تبنى فى حق المسيح قانونا سمى بالأمانة وقرر فيه الوهيته واستحقاقه للعبادة فى سنة ٣٢٥ م تلاه مجمع آخر الاساقفه السابق ذكره بالحاق قانون آخر يحل مشكلة الروح القدس ويبت فى امره ويعتبره الها يعبد ويسجد له مع الآب والابن .

وهذا نص ذلك القانون :

" ونؤمن بالروح القدس الرب المحى المنبثق من الآب ، الذى مع الآب والابن يسجد له ويمجد ، الناطق بالانبياء ... "."٤"

---

١) انظر تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ٥ ومابعدها .
٢) " " " ص ٢٠
٣) راجع نفس المصدر جـ ٢ ص ٢١
٤) تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ٢٢

وبصدور هذا القانون وانضمامه الى القانون النيقوى ، اتخذت المسيحية هذه الصورة التى نشاهدها عليها اليوم ، وهى الايمان بالتثليث .

أما نص الأمانة التى اعترف المسيحيون فيها بالوهية المسيح فهكذا :
" نؤمن باله واحد آب ضابط الكل ، خالق جميع الأشياء المنظورة وغير المنظورة ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الواحد المولود من الآب أى من جوهر الآب ، اله عن اله ، نور من نور ، اله حق من اله حق مولود غير مخلوق ، مساو للآب فى الجوهر ، به كان كل شىء مافى السماء وما على الأرض ، الذى من اجلنا نحن البشر ، ومن اجل خلاصنا ، نزل وتجسد وصار انسانا وتألم ، وقام فى اليوم الثالث ، وصعد الى السموات ، وسوف يأتى ليدين الاحياء ، والأموات ، وبالروح القدس . " "١"

هذه الأمانة هى التى اسست القول بالوهية المسيح بعد ان لم تكن قبل ذلك التاريخ ، كما يعلم ذلك من أسباب انعقاد المجمع النيقوى .

سادسا : مناقشة ادلة المسيحيين على التثليث

تصورنا فيما سبق معنى التثليث وادلته عند المسيحيين ، وهنا نحاول مناقشة رأيهم وأدلتـه ، على ضوء الادلة الانجيلية والتوراتية التى تنافى القول بالتثليث .

لقد تبينا ان مدار التثليث انما يقوم على القول بألوهية الآب والابن والروح القدس ، وأن هؤلاء الثلاثة يسمون عند المسيحيين " الأقانيم الثلاثة " ، ولكل واحد من هذه الاقانيم أدلة يستدلون بها على الوهيته ، وتبين لنا ايضا ان المسيح عليه السلام ، أحد هؤلاء الثلاثة . واذا اتضح ذلك ، فهل فيما استدل به المسيحيون على الأقنومية والألوهية ، دليل على الوهية المسيح ؟ هذا ما سنعرفه خلال هذه المناقشة .

ان ادلة المسيحيين على الوهية المسيح غير صريحة فى دلالتها على مرادهم

---

١) تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ٢٢

واليك نصوصهم التى يحاولون الاستدلال بها :

ان لاهوت المسيح عندهم ثابت بأمور :

١ — منها : نسبة الكمالات الالهية اليه فى قول يوحنا :

" فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان فى البدء عند الله " "١"

ويرون ان هذا النص قد وصف المسيح بالأزلية ، وهى صفة من صفات الالوهية.

ولكن هذا النص الانجيلى لا يمكن ان يفهم منه معنى مستقيم فضلا عن ان يكون دليلا على هذه القضية الخطيرة من العقيدة ، والعقيدة لا تثبت الا بنص صحيح صريح الدلالة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، فان قوله : " فى البدء " ليس نصا على الأزلية ، لأن البدء الوارد فى قول يوحنا ، لم يفسر من قبله على ان المراد منه الأزلية ، أو بداية المخلوقات ، والقول بأن المراد به البداية المطلقة الدالة على الأزلية ، تلاعب بالالفاظ وترجيح لاحد الاحتمالين بلا مرجح .

ومن جهة ثالثة ، فان قيد الكلمة بالعندية فى النص المذكور ، يدل على الانفصال الذاتى للكلمة عن الله تعالى ، والانفصال الذاتى يعنى ان يكون فى الأزل الهان كل منهما قائم بذاته ، هذا على المعنى الذى فهمه المسيحيون من البدء.

ثم فى قول يوحنا : " وكان الكلمة الله " ، تناقض واضح مع قوله : " والكلمة كان عند الله " . كيف تكون الكلمة عند الله ، وهى عين الله ؟

يقول عبد الكريم الخطيب معلقا على هذا النص : ... وكيف يتفق ان تكون الكلمة بدءا بمعنى الأولية المطلقة ، ثم توصف بأنها كانت عند الله ؟ ثم أخيرا ، كيف ترتفع هذه العندية ويكون الكلمة هو الله لا عند الله ؟ هذا التناقض ، هو ما يعطيه هذا النص ، كما تنطق بذلك الفاظه وعباراته "٢"

---

١) يوحنا ١ : ١

٢) المسيح فى القرآن والتوراة والانجيل ، الطبعة الثانية مطبعة دار التأليف بالقاهره ص ١٦٢

ثم ان هذا النص مع ما فيه من تضارب وتناقض ، فانه ليس مما تثبت به العقيدة ، لأنه ليس من كلام المسيح عليه السلام ، ولا من كلام من قبله من الأنبياء والرسل ، وقد عرفنا في مبحث الكلمة أن يوحنا ، هو أول من استعمل عبارة الكلمة بدل المسيح ، ليجتذب الوثنيين اليونانيين الى المسيحية المتطورة بعد المسيح • وليس فيما كتبه ما يلزم اعتقاده ، لأنه غير معصوم من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان هذا النص لا يوجد ما يعضده من العهد القديم ، بل في العهد القديم ما يدحضه ويدحض حجج القائلين بالوهية المسيح كما سيأتي ذلك في حينه ان شاء الله تعالى •

ثم ان المسيحيين ذكروا ان يوحنا قد اختلط ولا يعلم ما يقول ، كما ذكروا أنه لم يكتب انجيله الا بالحاح من الناس في آخر ايامه • ولعل هذا النص مما يشير الى انه خرف حينما كتب الانجيل •

٢ — ويستدلون ايضا على الوهيته بوصفه بعدم التغير في الرسالة الى العبرانيين عند قوله " يسوع المسيح هو هو أمسا واليوم والى الأبد " " ١ "

وليس في هذا النص دليل على الوهية المسيح ، لأن قوله هو هو امسا واليوم والى الأبد لا يدل على اكثر من انه كان بشرا فيما مضى وهو بشر اليوم والى الأبد ، ولا تفارقه البشرية في الأزمنة الثلاثة •

ثم انهم يقولون انه موصوف بالحضور في كل مكان مما يدل على الوهيته ، ويستدلون على ذلك بهذا النص : " وليس احد صعد الى السماء الا الذي نزل من السماء ابن الانسان الذي هو في السماء " " ٢ "

وهذا ليس فيه رائحة تدل على ما ذهبوا اليه فضلا عن ان يدل بعبارة صريحة ، وصعود المسيح الى السماء ونزوله منها أو كونه فيها ، ليس مما يدل على الحضور في كل مكان ، ذلك لأن السماء ليست هي كل الأمكنة ولكنها بعض الأمكنة ، والمكان المذكور في النص هو السماء لا كل الملائكة ، ثم ان النزول من السماء والصعود اليها ليسا من صفات الألوهية فقط ، فالملائكة ينزلون

---

١) الرسالة الى العبرانيين ١٣ : ٨
٢) يوحنا ٣ : ١٣

ويصعدون ويقيمون فى السماء وهم مع ذلك عباد مكرمون وليسوا آلهة ، ولا ريب أن المسيحيين لا يعتقدون بألوهية الملائكة لسكناهم فى السماء وصعودهم اليها ونزولهم منها ، وكيف قالوا بالوهية المسيح استنادا على هذا النص وغيره مما لا يغنى عن الحق شيئا ؟ وعلى فرض دلالته على ماذهبوا اليه ،فان واضع النص مع اختلافهم فى هويته ،لا يوثق بقوله ، كما أنه ليس معصوما من الخطأ " ١ " ويستدلون على حضوره فى كل مكان ايضا بما جاء فى انجيل متى : على لسان المسيح :

" واقول لكم ان اتفق اثنان منكم على الأرض فى أى شىء يطلبانه فانه يكون لهما من قبل ابى الذى فى السموات ، لانه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك اكون فى وسطهم " ٢ ".

وهذا النص ايضا لا دليل فيه على حضوره فى كل مكان ،لأن كونه فى وسطهم حيثما يجتمعون باسمه ، لا يدل على اكثر من أنه يوجد فى هذه الامكنة التى يجتمع فيها اثنان أو ثلاثة باسمه ، هذا على فرض صحة نسبة هذا الكلام الى المسيح ، ثم ان هذا الحضور الذى يقولون به لا يصح أن يكون حضورا ذاتيا ، لأن الحضور الذاتى يلزم منه التحيز والتحيز يستحيل على الاله كما سبق بيان ذلك فى مبحث الصفات عند المسيحيين .

٣ — ومما يستدلون به على الوهيته ، وصفه بأنه عالم بكل شىء فى قوله : " كل شىء قد دفع الى من ابى وليس احد يعرف الابن الا الآب ، ولا احد يعرف الآب الا الابن ومن اراد الابن ان يعلن له " " ٣ ".

وهذا النص كذلك لا دليل فيه على علم المسيح بكل شىء وقوله : " كل شىء قد دفع الى من ابى " ،لا دليل فيه على ان ما دفع اليه هو العلم بكل شىء ، ولكن المفهوم منه ان ما دفع اليه هو ما يتعلق بأمر العقيدة والشريعة ومعرفة الله وصفاته ، بدليل قوله بعد ذلك : " ... ولا أحد يعرف الآب

---

١) يقال ان مؤلف الرسالة الى العبرانيين هو ،بولس، وقيل أبلوس ،وقيل برنابا انظر التفاسير البيضاوية المسيحية على الرسالة المذكورة .
٢) متى ١٨ : ١٩ — ٢٠
٣) متى ١١ : ٢٧

الا الابن ومن اراد الابن ان يعلن له " وما من شك فيأن الرسل والانبياء هم أعلم الناس بربهم بما لهم من خصائص اختصهم الله بها ،ثم ان قوله : " ... ومن اراد الابن ان يعلن له " ،يدل على ان لمن اراد المسيح اعلامه بتلك المعرفة ، حصل له ذلك العلم بالله وصفاته وأحكام شريعته التى اطلع الله عليها المسيح عليه السلام .

ولا شك أن هذه المعرفة معرفة خاصة بأمور الدين ، أما المعارف غير الدينية فغير داخلة في معنى هذا النص ،الا ما اراد الله ان يكون عونا على تبليغ الرسالة ، كعلم المسيح بما يأكل قومه وما يدخرونه في بيوتهم واخباره اياهم بذلك ، ليكونوا على بينة من صدقه فى رسالته ، اما ان يفهم من هذا النص غير هذا المعنى ،فأمر لا يتحمله النص ،وذلك كفهم من قال ان الابن يعرف الآب عن طريق الاتحاد وكذلك الآب يعرف الابن عن طريق الاتحاد "١" اذ يرد على هذا قوله : " ومن اراد الابن ان يعلن له " لانه لو كانت هذه المعرفة عن طريق الاتحاد بين الآب والابن ،لكانت معرفة من اراد الابن ان يعلن له بالآب والابن ، عن طريق الاتحاد بهما ايضا ، ثم ان المسيح عليه السلام يقول : " أيها الآب البار ان العالم لم يعرفك ، أما انا فعرفتك ، وهؤلاء عرفوا انك ارسلتنى " "٢"

وهذا النص يدل على ان المؤمنين برسالته يشاركون المسيح فى معرفتهم بالله ، لانهم عرفوا ان الله هو الذى ارسله .

٤ — ومما يستدلون به على الوهيته ، احياؤه للموتى كما جاء فى انجيل يوحنا قوله : " ... فانزعج يسوع أيضا فى نفسه وجاء الى القبر ... قال يسوع : ارفعوا الحجر ... فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينيه الى فوق وقال ايها الآب اشكرك لانك سمعت لى وانا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك ارسلتنى ، ولما قال هذا

---

١) راجع يسوع المسيح فى ناسوته والوهيته ص ١٧٤ وما بعدها

٢) انجيل يوحنا ١٧ : ٢٥

صرخ بصوت عظيم : لعازر هلم خارجا "(١)، فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب "(٢).

هذا النص الانجيلى الذى افادنا أن المسيح احيا هذا الميت واقامه من قبره ، افادنا كذلك ان المسيح لم يفعل هذا الا باذن الله تعالى ، وذلك فى قوله مخاطبا ربه : " أيها الآب اشكرك لأنك سمعت لى وانا علمت انك فى كل حين تسمع لى " وافادتنا هذا النص ايضا بأن المسيح ما احيا هذا الميت الا بعد دعائه وتضرعه الى الله ، وان الله يستجيب له كلما دعاه وتضرع اليه •

ثم انه عليه السلام بين الغرض من احياء هذا الميت ، وهو ان يعلم الذين اجتمعوا حوله من اليهود ان الله عز وجل هو الذى ارسله فيصدقوه ويؤمنوا به ، وذلك حين يقول : " ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك ارسلتنى " •

ومع هذا البيان الواضح من المسيح عليه السلام الذى صرح فيه بأنه مافعل هذا الا باذن الله ، وليؤمن اليهود برسالته ، أبى مؤلهو المسيح الا ان يقولوا ان هذه القضية تدل على ان المسيح اله ، وبذلك خيبوا امل المسيح الذى هو الايمان برسالته وصدق نبوته استنادا الى هذه الواقعة ، وحرفوا معنى النص المراد منه مع بقاء الفاظه شاهدة عليهم •

٥ — ومن ادلتهم على الوهيته ، وصفه بالقدرة على كل شىء فى الرسالة الى العبرانيين بقول كاتبه : " الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديما بانواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثا لكل شىء الذى به ايضا عمل العالمين ، الذى هو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته ، بعد ما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى "(٣)

وليس فى هذا النص ما يدل على ان المسيح قادر على كل شىء ، وماجاء فيه من أنه جعله الله وارثا لكل شىء ، لا يدل على اكثر من انه اوتى من العلم

---

١) لعازر اسم الميت الذى احياه المسيح باذن الله
٢) انجيل يوحنا ١١ : ٣٨ — ٤٤
٣) عبرانيين ١ : ١ — ٣

بالشريعة ما جعله وارثا لكل شيء من تراث الانبياء الذين سبقوه . وقوله : " وحامل كل الاشياء بكلمة قدرته " ، لا يدل أيضا على ان هذه القدرة هي القدرة الالهية الشاملة لأن حمل المسيح كل الاشياء بكلمة قدرته ، يراد منه أنه حامل كل الاشياء التي اورثه الله تعالى من العلم بالشريعة والوحي الالهي بقدرة الله تعالى لا بقدرته هو .

ومما يدل على نفي قدرة المسيح على كل شيء قول المسيح عليه السلام في ذلك : " الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن على ان يعمل من نفسه شيئا الا ما ينظر الآب يعمل "(١)

وقال ايضا : " أنا لا اقدر ان افعل من نفسي شيئا كما اسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا اطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي ارسلني "(٢)

كيف يوصف المسيح بالقدرة على كل شيء ، وهو يصدع بأنه لا يقدر على ما يقدر عليه الآب ، وفضلا عن ذلك ، فانه لا يقدر ان يعمل شيئا الا بقدرة الله؟

أين تلك النصوص التي يستدلون بها على انه قادر على كل شيء وعليم بكل شيء قدرة الآب وعلمه بكل شيء من هذه النصوص الواردة على لسان المسيح عليه السلام ؟

ان رسالة المسيح عليه السلام واضحة جلية ، ولم تختف آثارها الباقية في الاناجيل حتى يومنا هذا . ولكن المسيحيين عطلوا تلك الآثار الباقية وتجاهلوا معانيها رغم وضوحها وصراحتها ، ولم يكن اعراضهم عن هذه النصوص العيسوية لغموض فيها ووجود ما هو اوضح وأصرح منها ، ولكنها المؤامرة قد حيكت ضد المسيح ورسالته وهي لم تزل في مهدها ، ولا تزال تحاك بالاعراض عما بقي من تعاليم المسيح الدالة على رسالته وشريعته المحضه ، وها هي الاناجيل قد اشتملت على كثير من اقواله التي تدحض حجج المؤهلين له ، متجاهلين تعاليمه ، وضاربين بها عرض الحائط ، ولم يكن ذلك الاعراض كله الا لغرض في نفوس الذين مكروا برسالة المسيح ، ومرض في قلوب الذين كفروا بها .

---

١) يوحنا ٥ : ١٦
٢) يوحنا ٥ : ٣٠

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

وقد ورد في النص السابق من الرسالة الى العبرانيين قوله : " وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته " .

ما هذه الكلمة الواردة في هذا النص ؟ أهي الكلمة المسيح كما يقول المسيحيون ، أم هي الكلمة الالهية التي بها يتم تكوين الأشياء ، وهي كلمة " كن " كما يفهمها المسلمون ، وكما وردت في نصوص العهد القديم ؟

ان هذا النص يدل على أن المراد بالكلمة هنا ، غير ما يفهمه المسيحيون من لفظة الكلمة وهي كلمة الله التامة التي يتم بها تكوين جميع الأشياء بقوله : " كن " فيكون . وهذا ما دلت عليه التعاليم السماوية ، وفهمه المسلمون من القرآن الكريم ، واليهود من اسفار العهد القديم .

هذه المناقشات جرت على ضوء تلك الأدلة الواردة في مبحث التثليث والتي يستدل المسيحيون بها على الوهية المسيح عليه السلام ، ويلي هذه المناقشات مناقشات أخرى على ضوء الأدلة الانجيلية التي تنافي القول بالوهية المسيح عليه السلام .

الاناجيل وبشرية المسيح

ورد في الاناجيل الأربعة نصوص على لسان المسيح عليه السلام ، تدل على أنه بشر أرسله الله عز وجل ، وتنافي القول بالوهيته منافاة لو القى المسيحيون لها سمعا لوجدوها تدعو الى وحدانية الله تعالى ، وتجهر ببشرية المسيح وعبوديته لله عز وجل .

من ذلك ، ماجاء في انجيل متى من أن الشيطان أخذ المسيح الى المدينة المقدسة واوقفه على جناح الهيكل وقال له : " ان كنت الله فاطرح نفسك الى اسفل لأنه مكتوب انه يوصي ملائكته بك فعلى ايديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر " " ١ "

وأقول ، كيف يجرؤ الشيطان على حمل المسيح الى المدينة المقدسة ، وايقافه

١) متى ٤ : ٥ـ٦

على جناح الهيكل وهو اله ؟ بل كيف يقدر على حمل الاله الى المدينة المقدسة وهو الذى يقول سليمان فى حقه : " هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك فكم بالاقل هذا البيت الذى بنيت " "١"

هذه القصة الانجيلية تدل على ان المسيح انسان ، ولاحظ له من الالوهية مطلقا ، وقد اكد المسيح هذا المعنى بقوله فى رده على الشيطان : " مكتوب ايضا لا تجرب الرب الهك " وهو فى هذا النص يعترف بالوهية الله الحقة ، وعبوديته له .

ثم ان ابليس اخذه عليه السلام مرة أخرى الى جبل عال وأراه ممالك الدنيا ومجدها ، ووعده باعطائها له ان هو اطاعه وسجد له ، فقال له عليه السلام " اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد " "٢"

وهذا النص لا يترك مجالا للقول بألوهية المسيح ، وذلك لتصريحه عليه السلام بأنه الله وحده يسجد واياه وحده يعبد ، فلا يمكن ان يسجد للشيطان ، كما لا يمكن ان يكون هو الها يعبد ، ولكنه عبد من عباد الله يلتزم بشريعة الله وتعاليمه ، وبهذا يبطل القول بالوهيته .

هذه كلمات المسيح لا تزال تشهد ببطلان عقيدة التثليث ، والمسيح عليه السلام لم يضع لهم منهج التثليث ، بل وضع لهم منهج التوحيد الخالص ، الذى دعا اليه كل نبى مرسل من قبل الله عز وجل ، وسيتبرأ المسيح عليه السلام مما ينسب اليه المسيحيون ظلما ، من تعاليم مخالفة لمنهج الرسل والأنبياء وقد بين ذلك فى انجيل متى بقوله : " كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يا رب يا رب اليس باسمك تنبأنا وباسمك اخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ اصرح لهم انى لم اعرفهم قط اذهبوا عنى يا فاعلى الاثم " "٣"

هكذا يتبرأ المسيح ممن يعبدونه ويؤلهونه ، وقد اعلمهم بهذا قبل ان يكونوا بين يدى الله ، ليكونوا على بينة من امرهم فى شأن المسيح ، ولكنه الهوى والتقليد المتوارث بلا تحقق قد شوه رسالة المسيح النيرة ، وصورتها المشرقة حتى استحالت وثنية وظلمات بعضها فوق بعض .

---

١) اخبار الايام الثانى ٦ : ١٨

٢) متى ٤ : ١٠ ٣) متى ٧ : ٢١

ولقد اكد القرآن الكريم براءة المسيح ممن ينسبون اليه الالوهية فى قوله تعالى : (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى ان اقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب• ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شىء شهيد) "١"

وجاء فى انجيل يوحنا قوله المسيح عليه السلام : " وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك انت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى ارسلته" "٢"

فبين عليه السلام أن الالوهية الحقة والوحدانية فيها ثابتتان لله تعالى ، وأن المسيح رسوله ، وجعل توحيد الله الخالص فى الوهيته ، الحياة الابدية مع الايمان برسالته عليه السلام ، ولم يترك لاحد من دعاة التثليث القول بالوهية المسيح لو كانوا ينصفون ويتجردون من اتباع الهوى وتقليد من سبقهم ممن اشربوا فى قلوبهم حب الوثنية الرومانية والافلاطونية الحديثة •

وجاء فى انجيل يوحنا أيضا قوله عليه السلام : "والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى ارسلنى بهذا كلمتكم وأنا عندكم " "٣"

فدل على ان كلامه فى الدين موحى اليه من قبل الله عز وجل وليس له فى ذلك أمر سوى التبليغ للرسالة الالهية ، كما دل على التفريق بينه وبين الله دلالة واضحة ، وهذا ايضا ينافى الوهيته ومساواته لله تعالى •

وقال ايضا : " بهذا كلمتكم وانا عندكم " ، ليقطع الطريق على رسل الوثنية الذين يأتون بعده لافساد رسالته ، وليكون اتباعه على حذر ممن يتربص برسالة المسيح من الوثنيين واليهود ، فقد انذر بذلك وأعذر •

وعنه ايضا انه قال : " •• لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى الى الآب لأن ابى اعظم منى " "٤"

---

١) ه سورة المائدة ١١٦ ـ ١١٧
٢) انجيل يوحنا ٧ : ٤
٣) " " ١٧ : ٢٤ ـ ٢٥
٤) " " ١٤ : ٢٨

وهذا النص من اوضح الادلة الانجيلية على ان الله أعظم من المسيح ، وان المسيح لايساويه ولا يدانيه ، وهو رد قاطع على من يزعم أن المسيح مساو للآب في كل شيء .

وجاء في انجيل مرقس مانصه : " وأما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعلم بهما احد ولا الملائكة الذين في السموات ولا الابن الا الآب " " ١ "

وفي انجيل متى ورد هذا النص هكذا : " وأما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعلم بهما احد ولا ملائكة السموات الا ابي وحده " " ٢ "

وهذان النصان دلا على أن علم المسيح دون علم الله تعالى ، وأنه عليه السلام لاعلم له الا ما علمه الله تعالى ، وبهما يبطل قول المسيحيين ان المسيح عالم بكل شيء ، ولو كان المسيح عالما بكل شيء كما يقولون ، لما خفي عليه علم تلك الساعة وأوانها ، وخاصة على رأي من قال من المسيحيين بأن الفكر الالهي أو علمه تعالى قد تجسد في بطن مريم ، لأن العلم الالهي ، لايخفى عليه شيء مما كان وما سيكون ، وهو العلم المحيط بكل شيء ، فكيف خفي على هذا العلم المتجسد في نظرهم موعد تلك الساعة ؟

يقول الشيخ رحمة الله الهندي معلقا على النص الأول الوارد في انجيل مرقس: " وهذا القول ينادي على بطلان التثليث ، لأن المسيح عليه السلام ، خصص علم القيامة بالله ونفى نفسه كما نفى عن عباد الله الآخرين ، وسوى بينه وبينهم في هذا ، ولا يمكن هذا في صورة كونه الها ، سيما اذا لاحظنا أن الكلمة واقنوم الابن عبارتان عن علم الله وفرضنا اتحادهما بالمسيح ... " " ٣ "

وهناك نصوص أخرى من العهد القديم يستدلون بها على الوهية المسيح عليه السلام ، من ذلك ، ما ورد في سفر اشعياء " في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته ، خلصهم بمحبته ورأفته ... " " ٤ " ويرى المسيحيون ان المراد بقوله : " وملاك

---

١) مرقس ١٣ : ٣٢
٢) متى ٢٤ : ٣٦
٣) اظهار الحق جـ ٢ ص ٥
٤) اشعياء ٦٣ : ٩

حضرته " ، هو المسيح عليه السلام ، وحيث انه هو المخلص لهم ، فيكون الها ، ولكن ليس في النص ما يدل على ان ملاك حضرته هذا ، هو المسيح ، وحتى لو صح ان المراد به هو المسيح ، لما كان فيه دليل على الوهيته ، لأن كونه ملاك حضرة الله ، يدل على خلاف ما يعتقدون ، لأن الملاك هو غير الله قطعا ، ولا يقول احد ان كل ملاك اله .

ومن ذلك ايضا ، ما ورد في اشعياء " لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنـــا وتكون الرياسة على كتفه ، ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا ابا ابديا رئيـــس السلام "م " ١ "

وبما ورد فيه ايضا من قوله : " هذه العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانويل زبدا وعسلا يأكل ... " " ٢ "

وبما جاء في المزامير من قول داود عليه السلام : " قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اضع اعداءك موطئا لقدميك " " ٣ "

وبما ورد في سفر الامثال مما ينسب الى سليمان عليه السلام حيث يقـول : " انى ابلد من كل مخلوق وليس لي فهم انسان ولم اتعلم الحكمة ولم اعرف معرفة القدوس من صعد السموات ونزل ، من جمع الريح في حفنتيه ، من صر الرياح فـى ثوب ، من ثبت جميع اطراف الأرض ما اسمه وما اسم ابنه ان عرفت " " ٤ "

وبما جاء في ميخا أيضا من قوله : " أما انت يا بيت لحم أفراتة وانت صغيرة ان تكون بين الوف يهوذا ، افمنك يخرج الذى يكون متسلطا على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ ايام الأزل " " ٥ "

وهذه النصوص التى يستدل بها المسيحيون على اخطر قضية دينية ، لا تعدو ان تكون رموزا في دلالتها على المسيح ، فضلا عن ان تكون دليلا قاطعا على الوهيته ، ولو فرضنا انها تدل على المسيح بلا غموض ، فان دلالتها على الالوهية ، أمر فـى

---

١) اشعياء ٩ : ٦
٢) " ٧ : ١٤ — ١٥
٣) مزامير ١١٠ — ١
٤) امثال ٣٠ : ٢ — ٤
٥) ميخا ٥ : ٢

غاية البعد ، اللهم الا ذلك اللفظ الوارد فى اشعياء عند قوله : " ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا " ٠

ولكن الالوهية الوارد فى العهد القديم لم تكن مقصورة على الله تعالى بل استعملت فى غيره تعالى ، واطلقت على بعض الأنبياء بمعنى السيادة والامامة فى الدين ، ولا نذهب بعيدا فى الاستدلال على هذا المعنى ، وعندما ورد فى شرح اصول الايمان وهو :

" هل من تناقض بين وحدانية الله ، وبين تسمية بعض الخلائق آلهة فى الكتاب المقدس كموسى والقضاة وما اشبه ؟ " ج " كلا ، لأن موسى تسمى الها من الله ذاته دلالة على نيابته عن البارى لدى فرعون ، وليس لكونه اتصف بصفات الهية ٠٠٠ وكذلك القضاة تسموا آلهة ، لكونهم ينفذون مقاصد الله ٠٠ " " ١ "

وبعد : فما المانع من تخريج معنى الالوهية الواردة فى اشعياء على هذا النحو فى حق المسيح مع ان كون هذا النص دالا على المسيح ، لا يمكن القطع به ٠

ومما يؤكد هذا المعنى من العهد الجديد ، ما جاء فى انجيل يوحنا ان المسيح عليه السلام قال لليهود حينما حاولوا رجمه بالحجارة : " ٠٠ اعمالا كثيرة حسنة اريتكم من عند ابى ، بسبب اى عمل منها ترجموننى ؟ اجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل حسن ، بل لأجل تجديف ، فانك وانت انسان تجعل نفسك الها ٠ اجابهم يسوع : أليس مكتوبا فى ناموسكم انا قلت انكم آلهة ؟ ان قال آلهة لاولئك الذين صارت اليهم كلمة الله ، ولا يمكن ان ينقض المكتوب، فالذى قدسه الآب وارسله الى العالم ، اتقولون له انك تجدف لانى قلت انى ابن الله ؟ " " ٢ "

لقد بين المسيح عليه السلام فى هذا النص ، أن المراد بالالوهية او البنوة المنسوبتين اليه ، كالالوهية المنسوبة الى الانبياء الاقدمين الذين صارت اليهم كلمة الله ، وهو اذن ، ليس الها حقيقيا كما هم ليسوا آلهة حقيقيين ،

---

١) شرح اصول الايمان جـ ١ ص ٤٤
٢) يوحنا ١٠ : ٣٢ ـ ٣٦

وهذا يدحض رأى القائلين بالوهيته على وجه الحقيقة على الرغم من نفيه ذلك عن نفســه ٠

واما قول داود عليه السلام ، قال الرب لربى ، فلا يدل على الوهيته ايضا لأن الرب فى حق البشر ، معناه السيد والمربى ، ومنه قول يوسف عليه السلام فى حق العزيز الذى احسن مثواه وتولى تربيته لما دعته امرأة العزيز الى نفسها : " ٠٠ قال معاذ الله انه ربى احسن مثواى ٠٠ " ١ " فتبين بهذا ان النـــص غير دال على الالوهية مطلقا ٠

وأما النص الوارد فى سفر الأمثال على لسان سليمان عليه السلام فهو غيــر صريح ايضا فى دلالته لأن الصفات الواردة فيه من صعود ونزول ، وجمع للريـــح وصر للمياه ، وتثبيت لجميع اطراف الأرض ، ليست من صفات الابن المذكور فى ختام النص بدليل قوله : " ماأسمه " أى صاحب هذه الصفات " وما اسم ابنه " اى اسم ابن صاحب هذه الصفات ٠ وهذا يدل على المغايرة ، والبنوة لا تدل علــى الالوهية ، كما سبق البحث حولها فى مبحث الأبوة والبنوة ٠

بهذه النصوص وامثالها يستدل المسيحيون على الوهية المسيح ، وقد تبين لنا من خلال مناقشتها عدم دلالتها على ذلك ولو دلالة بعيدة ، كما لا توجد فــى النصوص الواردة فى العهدين كلمة اقنوم التى تعتبر الركن الركين فى المسيحية ٠

مناقشة اقنومية الروح القدس :ـ

ان النص الأول الذى سبق عرضه عند استدلال المسيحيين على اقنوميــة الروح القدس ، ليس فيه مايدل على اقنوميته ، لأن قول صاحب النص : " ان اقنومية الروح القدس تثبت من استعمال الضمائر انا وانت وهو حين تكلم المسيح عن نفسه وعن الآب والروح القدس الخ " ، لا يدل على كونه احد الاقانيم الثلاثة ، لأن تعبير المسيح عن نفسه بقوله انا وعن الآب بقوله : انت وعن الروح القدس بقوله : هــو ، ليس فيه ان هذه الضمائر تشكل ثالوثا واحدا ، كما لا تدل على اولوية الآب بضميــر أنت عن الروح القدس ، كما لا يدل على اولوية الروح القدس بضمير هو من الآب ٠

---

١) ١٢ سورة يوسف ٢٣

ان اى شخص من الأشخاص يعبر عن نفسه بنفس العبارة ويعبر عن غيره عند الخطاب بأنت ، وعند الغيبة بـ (هو) وهذا تعبير طبعى لا يخالف عرف التخاطب وسنته فى المجتمع البشرى ، وأى شخص من الأشخاص اما ان يتكلم عن نفسه أو عن غيره ، وعند الكلام عن نفسه يتحتم عليه استعمال ضمير المتكلم وهو انا ، وعند الكلام عن غيره ، اما ان يكون ذلك الغير حاضرا أو غائبا ، فاذا كان حاضرا فيستعمل فى حقه ضمير الخطاب وهو انت ، واذا كان غائبا فيستعمل فى حقه ضمير الغيبة وهو : هو • وهذه الحالات الثلاث لا يخلو منها اى تعبير فى المجتمع الانسانى • وعليه فلا يمكننا ان نقول ان البشر الذين يملأون الأرض ثلاثة فقط ،كما لا يمكننا ان نقول ان استعمال هذه الضمائر من المسيح ، دل على ذوات ثلاث • وبهذا يبطل ما استدلوا به من الضمائر على اقنومية الروح القدس •

اما استدلالهم بالمرسل والمرسل منه ، والشاهد والمشهود له ،على اقنوميته ، فامر فى غاية البعد والغرابة ، فالمرسل الذى هو الآب فى نظرهم غير المرسل الذى هو الروح القدس ، وهذا لا يدل على الاقنومية بل يدحضها ، لأن الاقنومية كما سبق ان علمنا ، لا تعنى الاستقلال الذاتى ، والانفصال بين هذه الاقانيم ، فاستدلالهم بالمرسل والمرسل منه على الاقنومية ،استدلال خال من الدلالة ، بل يدل هذا الكلام على ان المرسل مستقل ذاتا عن الرسل ، وكذلك الشاهد والمشهود له كالمرسل والمرسل منه •

ثم ان النص الوارد فى انجيل يوحنا لم يدل ايضا على اقنوميته ، بل دل على استقلاله الذاتى عن الآب والابن ، لدلالته على طالب هو المسيح ، ومطلوب هو الروح القدس ، ومطلوب منه هو الآب ،وذلك عند قول المسيح عليه السلام " وانا اطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الابد • • • " "١"
هذا على فرض كون المراد بالمعزى المذكور فى الاناجيل هو الروح القدس ، والا فليس فى هذا النص دليل على اقنومية الروح القدس ، والروح القدس كان ينزل بالوحى على الأنبياء قبل المسيح وهو الذى بشر زكريا بالولد وبشر مريم بحمل المسيح ،

---

١) يوحنا ١٤ : ١٦

وذلك قبل ان يولد المسيح ، فكيف يطلب المسيح ارسال الروح القدس وهو يرسل باستمرار الى الانبياء باعتراف المسيحيين أنفسهم ؟ وهذا يؤكد ما قاله كثير من علماء المسلمين من أن هذا النص يدل على البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم "١"

وكذلك النص الذى جاء بعده ، لا يدل على اقنومية الروح القدس ، وفضلا عن ذلك ، فانه لا يدل على ان المراد بالمعزى المذكور فيه ، هو الروح القدس .

وقول المسيح عليه السلام فى هذا النص ، " ان لم انطلق لا يأتيكم المعزى " "٢" ، يدل على ان المعزى لم يأتهم عند كلامه عليه السلام ، ويدل هذا على أن المعزى غير الروح القدس قطعا ، وذلك ، لمجىء الروح القدس قبل ولادة المسيح ، وظهوره فى عدة مناسبات ، كما تبين لنا ذلك مما سبق .

واما النصان الواردان فى رسالتى بولس الى اهل كورنثوس ورومية ، فانهما لا يدلان أيضا على ذلك مع ما يكتنفهما من غموض فى المعنى وركاكة فى اللفظ .

وعلى وجه العموم فان النصوص التى سبقت مناقشاتها ، لم تدل على الاقنومية المنسوبة للروح القدس من قريب أو بعيد .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية — رحمه الله تعالى — بعد ايراده لقوله تعالى فى سورة مريم عليها السلام (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) وقوله حكاية عن مريم (قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) يقول : " ثم قال : (انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا) ، وفى القراءة الاخرى "٣" (ولأهب لك غلاما زكيا) ، فأخبر هذا الروح الذى تمثل لها بشرا سويا انه رسول ربها ، فدل الكلام على ان هذا الروح عين قائمة بنفسها ليست صفة لغيرها ، وأنه رسول من الله ليس صفة من صفات الله ، ولهذا قال جماهير العلماء : انه

---

١) راجع اظهار الحق جـ٢ ص ٢٧٨ والجواب الصحيح جـ ٤ ص ٦ — ٧

٢) يوحنا ١٦ : ٧

٣) قرأ ورش وابو عمرو " ليهب لك " بالياء المثناه وكذلك يعقوب وروى هذا ايضا عن قالون انظر تفسير فتح القدير للشوكانى جـ٣ ص ٣٢٨ وكتاب التيسير فى القراءات السبع للامام ابى عمرو عثمان بن سعيد الدانى طبع الاصل =

جبريل عليه السلام ، فان الله سماه الروح الأمين وسماه روح القدس ، وسماه جبريل ، وهكذا عند اهل الكتاب انه تجسد من مريم ومن روح القدس . لكن ضلالهم حيث يظنون ان روح القدس حياة الله ، وأنه اله يخلق ويرزق ويعبد ، وليس في شيء من الكتب الالهية ، ولا في كلام الانبياء ان الله سمى صفته القائمة به ، روح القدس ، ولا سمى كلامه ولا شيئا من صفاته ابنا ، وهذا احد ما تبين به ضلال النصارى " "١" .

ثم انطلق شيخ الاسلام ويبن المراد بالروح القدس الوارد ذكره في كتب النصارى فقال : " وروح القدس ، يراد به الروح التي تنزل على الأنبياء كما نزلت على داود وغيره ، وأن المسيح قال لهم : " ابي وابيكم والهي والهكم " فسماه ابا للجميع ، لم يكن المسيح مخصوصا عندهم باسم الابن ، ولا يوجد عندهم لفظ الابن الا اسما للمصطفى المكرم ، لا اسما لشيء من صفات الله القديمة حتى يكون الابن صفة الله تولدت منه . واذا كان كذلك ، كان في هذا ما يبين انه ليس المراد بالابن كلمة الله القديمة الأزلية التي يقولون انها تولدت من الله عندهم مع كونها أزلية ، ولا بروح القدس حياة الله ، بل المراد بالابن ناسوت المسيح ، وبروح القدس ما انزل عليه من الوحي والملك الذي نزل به فيكون قد امرهم بالايمان بالله وبرسوله وبما انزل على رسوله والملك الذي نزل به " "٢"

والمراد بقول ابن تيمية : " فيكون قد امرهم الخ هو ما ورد في انجيل متى منسوبا الى المسيح عليه السلام : " فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس " "٣" ، ويفترض ابن تيمية صحة ورود هذا الكلام عن المسيح عليه السلام ، ثم يذكر المعنى الصحيح الذي يدل عليه النص بلا تكلف ولا تحريف ، خلافا لما يراه النصارى من أن المراد به الأمر بالدعوة الى عقيدة التثليث .

= في استانبول بمطبعة الدولة سنة ١٩٣٠ م واعادت طبعه بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد ص ١٤٨

١) الجواب الصحيح ج ١ ص ٢٣٩ — ٢٤٠ مطبعة المدني بالقاهره

٢) نفس المصدر ص ٢٤٠ — ٢٤١

٣) متى ٢٨ : ١٩

وبذلك نكون قد فرغنا من مناقشة ما يستدلون به على اقنومية الروح القدس.
ولما كانت الاقنومية وحدها لا تدل على الالوهية ، فإن المسيحيين يستدلون على الوهية الروح القدس بنصوص نورد مناقشتها فيما يلى :

مناقشة ادلتهم على الوهية الروح القدس

أما النصوص التى سبق عرضها فى معرض استدلال المسيحيين على الوهية الروح القدس فهى ايضا غير دالة على الوهية الروح القدس ، وذلك لأن قول بطرس لحنانيا : " يا حنانيا لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل ... فما بالك وضعت فى قلبك هذا الأمر انت لم تكذب على الناس بل على الله " (١) لا يدل على ان الروح القدس اله ، وانما دل على ان حنانيا يكذبه ، قد كذب على الروح القدس وكذب على الله تعالى باختلاسه ثمن الحقل ، ولا شك ان حنانيا كذب على الناس ولكن بطرس شفع عليه كذبه عليه وبالغ فى التشنيع حتى قال انه لم يكذب على الناس ولكنه كذب على الله ، وذلك بعد ان ذكر انه كذب على الروح القدس ، وهو امر لا يدل على الالوهية مطلقا كما هو واضح .

وأما ما جاء فى الرسالة الى العبرانيين من قول كاتبه " لذلك كما يقول الروح القدس اليوم ان سمعتم صوته فلا تقسو قلوبكم الخ " (٢) فلم يدل ايضا على الوهية الروح القدس ، لعدم ورود ما يدل على الالوهية فيه ، وليس فى الاكثار من مناقشة هذه النصوص سوى التطويل وهو امر ينبغى تحاشيه فى مثل هذه النصوص الخاوية من الدلالة على المراد .

---

١) أعمال ٥ : ٣ — ٤
٢) عبرانيين ٣ : ٧

البـــــاب الثانـــــى

الـــذات الالـهيـــة فـــى الاســــلام

وفيـــه فصـــلان :

الفصـــل الأول :

- الايمان بوجود الله
- الادلة على وجوده
- صفات الله تعالى فى الاسلام والمقارنة بينها وبين صفاته فى المسيحية
- صلة الله تعالى بمخلوقاته

الايمـان بوجـود الله

ان الايمان بوجود الله تعالى يعتبر الأساس الأول للعقيدة الاسلاميـة وعلى هذه القاعدة تلتقى جميع الأديان السماوية ، اليهودية ، والمسيحيـة ، والاسلام • وماكان بين هذه الأديان من اختلاف ،فمنشوه تصور هذا الوجـود الالـهى كيف يكون ؟ وعلى اى وجه يكون حصوله ؟ • •

ان الايمان بوجود الله والدعوة اليه فى الاسلام لم يأخذ حيزا كبيـرا فى كتاب الله الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأن البشـر فى تاريخهم الطويل لم يكن بينهم من لا يؤمن بأن هناك مدبرا لهذا الكون الفسيح سوى قلة قليلة منهم تمردت على منطق العقل ، وتنكرت للفطرة السليمة ، لذلـك بدأ الاسلام رسالته بالدعوة الى افراد الله تعالى بالعبادة وتوحيده فيها •

لقد كان العرب الذين بعث فيهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يؤمنون بوجود الله تعالى وبأنه الخالق الرازق المحى المميت ، ولا ينازعون فى شىء من هذا ، ولكنهم مع ايمانهم هذا يؤمنون بآلهة أخرى ، ويتقربون اليها بأنـواع العبادات ، اعتقادا منهم بأن تلك الآلهة تقربهم الى الله زلفى •

اذن ، فليس فى كتاب الاسلام الأول نقاش وجدل مع من ينكرون وجود اللـه تعالى لقلتهم من جهة ، ولتضافر الأدلة على وجوده من جهة أخرى •

والآية الوحيدة التى اشارت الى من ينكرون وجود الله هى آية سورة الجاثية قال تعالى : " وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا الا الدهـر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون " "١"

وكذلك الآية التى ناقشت المنكرين لوجود الله هى آية سورة الطـور • قال تعالى : " أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون • أم خلقوا السمـوات والأرض بل لا يوقنون " "٢"

---

١) الجاثية ٤٥

٢) الطور ٣٥ ـ ٣٦

٥ هذا رأى الغالبية العظمى ولا ينافى ذلك أن هناك بعض من شذ فانكـر وجود الخالق

واولئك الذين ينكرون وجود الله سبحانه هم الذين يقولون ان تقلب الليل والنهار وتعاقبهما هما سبب الحياة والموت والهلاك من غير ان يكون للكون خالق ومدبر .

وأما الايمان والاعتراف بوجود الخالق المدبر لهذا الكون فهو ما يدين به العرب قاطبة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وحتى مبعثه ، والقليل منهم هم الذين لا يعترفون بوجود الله ، وليس ادل على قلتهم من اغفال القرآن الكريم ذكرهم سوى ما ورد فى تلك الآية السابقة من سورة الجاثية .

ولايمان الكثير منهم بوجود الله ، سلك القرآن الكريم معهم مسلك الالزام بتوحيد الربوبية الذى يقرون به على توحيد الالوهية الذى ينكرونه ويؤفكون عنه . وقد وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تدل على انهم ما كانوا ينكرون وجود الله ، بل كانوا يقرون بربوبيته الشاملة ، ولكنهم يجحدون انفراده بالالوهية . قال تعالى : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون " "١" . وقال تعالى : " ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله ، قل الحمد لله ، بل اكثرهم لا يعقلون " "٢"

وعلى ضوء هذه الآيات نرى أن قضية الاعتراف بوجود خالق مدبر لهذا الكون قضية لا نزاع فيها بين المشركين الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذلك كان القرآن الكريم يناقشهم ويحاجهم فى توحيد الألوهية .

وما من نبى الا وكان دعوته لقومه الى عبادة الله وحده ، وليس فى تاريخ الأمم وانبيائهم ما يدل على ان فيهم من ينكرون وجود الله ، لأن هذه القضية قضية لا يشك فيها عاقل ، ولذلك قالت لهم رسلهم : أفى الله شك ؟ .. وكل واحد

---

١) العنكبوت ٦١
٢) " ٦٣

وانظر بهذا المعنى الآيات من سورة : لقمان آية ٢٥ وسورة الزمر آية : ٣٨ وسورة الزخرف آية : ٩ وسورة الزخرف آية : ٨٧ . وكلها تدل على ان المشركين يقرون بربوبية الله تعالى .

يدرك انه لم يوجده احد ابويه او كلاهما ، وأنه لم يوجد نفسه على هذه الصنعة العجيبة والصفات الدقيقة ، وهذا أمر تستوى فى ادراكه العقول البشرية وتتعانق عليه الفطر الانسانية فى جميع الأمكنة والازمنه .

اذا فقضية الربوبية لم تكن موضع نزاع بين الرسل واممهم ، وانما النزاع كان فى قضية الالوهية ، لذلك يقول تعالى : " ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " "١" . ويقول تعالى : " وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا انا فاعبدون " "٢" .

وواضح من هاتين الآيتين أن كل رسول أرسل الى قومه انما كان يدعوهم الى عبادة الله تعالى الذى يعترفون — بما فطروا عليه — بربوبيته وتدبيره للكون .

والاسلام الذى هو خاتم الأديان السماوية وطراز دعوة الرسل ، لم يكن بدعا من تلك الأديان السابقة والدعوات الخالية ، واعتراف الدين الاسلامى بوجود الله أصل من تلك الأصول الدينية التى تلتقى عليه الأديان الالهية مع احتفاظ كل دين بعلامح تميزه عن غيره فى الشرعة والمنهاج اللذين لا صلة لهما بالذات الالهية . واما الذات الالهية وما يتعلق بها من صفات ، فليس موضع خلاف بين تلك الشرائع مهما تعددت واختلفت مناهجها ، ولذلك كان الاسلام بمفهومه العام ينتظم دعوة الرسل جميعا وان كان بمعناه الخاص يطلق على دين محمد صلى الله عليه وسلم .

فكلمة التوحيد التى هى الركن الأول من أركان الاسلام ، تنفى ان يكون لله شريك فى الوهيته وتثبت الالوهية الحقه لله وحده ، وهذه الكلمة هى التى دعت الى تحقيق معناها الرسل ، من أول رسول الى البشر الى آخر رسول اليهم ، وآية سورة الأنبياء هذه خير دليل على أن كل رسول كانت دعوته الى تحقيق توحيد الألوهية فى أمته ، لاعترافهم واقرارهم بوحدانية الله فى الربوبية ، واليها دعا نوح فى قوله تعالى : " ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون " "٣"

---

١) النحل ٣٦
٢) سورة الانبياء آية ٢٥
٣) سورة المؤمنين ٢٣

واليها دعا ابراهيم عليه السلام في قوله تعالى : " قال افتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون " "١"

وبها وصى يعقوب بنيه قال : " ماتعبدون من بعدى ، قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون "٢" .

وبها خوطب موسى في قوله تعالى : " انني انا الله لا اله الا انا فاعبدون واقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية أكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى " "٣" .

واليها دعا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام في قوله عز وجل :
" ... وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار " "٤"

وأخيرا ، هي دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وأساس دينه ، وهي سبب النزاع بينه وبين قومه عند مبعثه .

وبهذه النصوص القرآنية يتبين أن توحيد الالوهية فقط هو موضع النزاع بين كل رسول وقومه ، ولم يكن ثم خلاف بينهم على توحيد الربوبية ، لهذا يخاطب كل رسول أمته بقوله : " اعبدوا الله مالكم من اله غيره " .

وبما أن هذا المبحث يدور على المقارنة بين عقيدة المسيحيين وعقيدة المسلمين في الذات الالهية فان المبحث الأول من الباب الأول يشابه هذا المبحث الأول من الباب الثاني ، وليس بين المسيحيين والمسلمين اختلاف في هذا المبحث من حيث الشكل والصورة ، ولكن الاختلاف في الحقيقة والمعاني التي تحت تلك المباني .

فالمسلمون يؤمنون بوجود الله ، وكذلك المسيحيون يؤمنون بوجود الله ، ولكن الفرق بين الايمانين يكمن في ان المسلمين يؤمنون باله واحد في ربوبيته والوهيته

---

١) سورة المؤمنين ٢٣
٢) سورة الانبياء ٦٦ ــ ٦٧
٣) سورة البقرة ١٣٣
٤) سورة طه ١٤ ــ ١٥

لا شريك له في ذاته وصفاته •

بينما المسيحيون يؤمنون بإله واحد في ثلاثة اقانيم وهي : الآب والابن والروح القدس •

واذا كان الفريقان يلتقيان في مبدأ الايمان بوجود مدبر لهذا الكون ، فان موضوع ايمانهما لا يلتقي ولا يكاد يتفق ، فالاقانيم الثلاثة في عقيدة المسيحيين هي ، الله الذي يؤمنون بوجوده على هذا النحو ، والله الذي يؤمن به المسلمون ، هو الذي لا اله الا هو " لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا •

وهذه العقيدة وتلك — وان كانت ملامحهما متشابهة في الايمان بوجود الله ، فان الهوة السحيقة التي تفصل بينهما ستبدو واضحة جلية في المباحث الاتية من هذا الباب عند مقارنتها بمباحث الفصل الثاني والفصول التي تليه من الباب الأول •

والذي يحاول التوفيق بين العقيدتين ، مثله ، مثل الذي يريد ان يجمع بين النجمين سهيل وثريا ، مع استحالة هذا الجمع ، وفي ذلك يقول الشاعر : "١"

أيها المنكح الثريا سهيلا　　عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استهلت　　وسهيل اذا استهل يماني

الأدلة على وجود الله

ان استعراض البراهين الدالة على وجود الله ، لا يمكن أن يكون على وجه الاستقصاء ، سواء كان ذلك استعراضا للأدلة النقلية ، أو العقلية ، أو الكونية •

فالقرآن الكريم قد جمع بين هذه الأنواع من الأدلة • وفي اقامة الادلة على وجود الله هنا ، أجد لزاما على أن اقتصر على ادلة القرآن الكريم التي جمعت بين الدلائل العقلية والكونية والنقلية ، وهي من أظهر الادلة وأوضحها على وجود الله تعالى ، وذلك ، لأن الآيات الكونية مشاهدة ومحسوسة ، فهي تدل بحركة ذواتها وتقلبات أعراضها على أنها حادثة ، وكل حادث لابد له من محدث •

---

١) قائل هذين البيتين عمر ابن ابي ربيعه

أ ـ الدلائل النقلية على وجود الله :

لقد قص الله تعالى علينا في كتابه العزيز كيف أن الأمم كانوا يعترفون بوجود الله ، ومع ذلك ، ضلوا السبيل فأشركوا مع الله غيره في العبادة ، مع أن مقتضى ايمانهم بوجود الله ، هو عبادة الله وحده لا شريك له ، فتناقضوا في ايمانهم بوجوده ، وعبادتهم لغيره تعالى ؛ فألزمهم القرآن الكريم مالا يعترفون به عن طريق ما يعترفون به • وقال تعالى : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ، قل الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعقلون " "١" وقال جل وعلا : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم " "٢" • ويقول الامام الشوكاني "٣" في تفسير هذه الآية " أي لئن سألت هؤلاء الكفار من قومك من خلق هذه الأجرام العلوية والسفلية ، أقروا بأن الله خالقهن ولم ينكروا " "٤".

ويقول تعالى : " قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون • قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم • سيقولون لله قل افلا تتقون • قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون • سيقولون لله قل فأنى تسحرون " "٥"

ب ـ الدلائل العقلية والكونية على وجود الله :

ان من اجل نعم الله على الجنس البشري ، تجهيزهم بالعقل الذى به يدركون ويميزون بين ما هو صالح وما هو غير صالح ، تلك المنحة الالهية والهبة الربانية التى يتجلى فيها اكرام الله تعالى للبشر حيث لم يتركهم يتخبطون في ظلمات بعضها فوق بعض كالبهائم السائمة اذ لا مانع ولا ضابط ، ولا حدود ولا قيود لدى تلك البهائم ، ولولا ان من الله تعالى على الانسان بنور العقل لماكان هناك فرق بينه وبين بقية الحيوانات •

---

١) سورة لقمان ٢٥

٢) سورة الزمر ٩

٣) الامام الشوكاني هو محمد بن على بن عبدالله الشوكاني ثم الصنعاني ولد سنة ١١٧٣ هـ في بلدة هجرة شوكان وتوفى سنة ١٢٥٠ هـ • راجع ترجمته في الجزء الأول من تفسيره •

٤) فتح القدير جـ ٤ ص ٥٤٨ طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٨٣ هـ الطبعة الثانية •

٥) سورة المؤمنين ٨٤ ـ ٨٩

والعقل البشري الذي من الله به عليه ، لم يزل يؤمن بوجود خالق مدبر لهذه الخليقة ، فالجبال الراسيات ، والنجوم الزاهرات ، والشمس والقمر والأرض والسموات ، دلائل واضحات ، وبراهين ساطعات ، لمن استعمل عقله من البشر على وجود الله عز وجل .

يقول الله تعالى : " ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الألباب " "١"

ويقول الامام الشوكانى : " ... والمراد باولى الألباب : أهل العقول الصحيحة الخالصة عن شوائب النقص ، فان مجرد التفكير فيما قصه الله في هذه الآية ، يكفي العاقل ويوصله الى الايمان الذى لا تزلزله الشبه ، ولا تدفعه التشكيكات " . "٢"

ويقول جار الله الزمخشرى : " (لآيات) لأدلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته ، وباهر حكمته (لاولى الألباب) للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ، ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر " . "٣"

والعقل الانسانى هو الذى يدرك التناسب والتناسق بين مخلوقات الله فينطلق من هذا الادراك الى ادراك ما هو اسمى وأعظم ، وهو ادراك موجد لهذا الكون على شكل بديع يبهر العقل بدقته وتناسبه ، بحيث لا يوجد فيه تفاوت ولا اختلال ، اذ لا يمكن أن يوجد هذا الكون على هذا الشكل البديع والتناسب العجيب بمحض الصدفة ، بل لا بد له من خالق حكيم قادر .

ذلك أن الوجود الالهى ، يدل عليه كل شئ في هذا الكون من حيث تنظيماته العجيبه وترتيباته التى تصرخ بأن لها خالقا حكيما قادرا مريدا ، وخاصة الانسان ، فانه من اقوى الادلة على وجود الله .

---

١) سورة آل عمران ١٩٠
٢) فتح القدير ج ١ ص ٤١٠
٣) تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٨٧ طبع سنة ١٣٨٥ هـ بمطبعة مصطفى البابى الحلبى الطبعة الأخيرة .
هو جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى ولد سنة ٤٦٧ وتوفى سنة ٥٣٨ هـ (راجع الجزء الأول من تفسيره) .

يقول برنارد جلمسر "١" " لن تجد في هذا العالم ما هو اعجب من جسم الانسان ، وكلما زاد ما تدركه من اسراره ، زادت دهشتنا وعجبنا انك لا تدري بما يجري في جسمك من عمليات ، لأن معظمها يحدث في الخفاء بعيداً عن ناظريك .

فانت لا ترى قلبك يدق ، ولا رئتيك وهما تقومان بوظيفتهما ، كما أنك لا ترى غذاءك وهو يهضم ، أو كيف تساعدك العضلات في التحرك من مكان الى آخر ، ان هذا كله ، يحدث في الخفاء داخل جسمك ". "٢"

هذا جسم الانسان وخلاياه في دقة وتناسب وتناول حجم ، يشهد كل شيء فيه بوجود الله ، ويقود الى الايمان به ، والخضوع له ، وتلك الأفلاك في ضخامتها ومواقعها ، تشهد بوجود موجدها .

والآيات الكونية العلوية منها والسفلية في ضخامتها وترامي اطرافها واتقان صنعها ، لا تفتأ تدعو الى الايمان بوجود الله الذي احسن كل شيء خلقه .

وقد قارن الله تعالى آياته في الآفاق بآياته في النفوس البشرية ، فقال عز وجل : " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ". "٣"

وقد ذكر الشوكاني تفسيرا لهذه الآية عزاه الى عطاء فقال : " قال عطاء : في الآفاق : يعني أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغير ذلك . وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة كما في قوله : وفي انفسكم افلا تبصرون ". "٤"

ولئن كان فيما مضى من العصور لم تتضح آيات الله في الكون للبشر اتضاحها في هذه الأيام ، فقد وفق عطاء في تفسير الآية أيما توفيق .

---

١) ولد برنارد جلمسر في انجلترا ، واستوطن الولايات المتحدة الامريكية ، له قراءة واسعة في الطب انظر ترجمته في مقدمة كتابه .

٢) كتاب : " جسم الانسان " ترجمة الدكتور صلاح الدين سلامه ص ٩ طبع بدار المعارف الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٢ م

٣) سورة فصلت ٥٣

٤) ... ٥٢٣

وقد وعد الله سبحانه بأنه سيرى الكفار آياته في الكون ، وها هي الآيات تتجلى لهم ، يوما بعد يوم مما يدعو الكثيرين ممن اكتشفوا الأسرار الموضوعة في الكون ، الى الايمان بوجود الله ، والتوجه نحوه بالخضوع والاجلال .

وقال تعالى : " وفي الأرض آيات للموقنين . وفي انفسكم أفلا تبصرون " " ١ "

ويقول العلامة صديق حسن خان في تفسير هذه الآية :

" (وفي الأرض آيات) أي دلائل واضحة ، وعلامات ظاهرة ، من الجبال والبر والبحر والأشجار والأنهار والثمار ... (للموقنين) أي للموحدين الذين سلكوا الطريق البرهاني الموصل الى المعرفة ، فهم نظارون بعيون باصرة ، وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأويلها ، فازدادوا ايقانا على ايقانهم ... (وفي انفسكم) في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال ، آيات تدل على توحيد الله وصدق ما جاءت به الرسل ، فانه خلقهم نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظما الى أن ينفخ فيهم الروح ، ثم تختلف بعد ذلك صورهم وألوانهم وطبائعهم والسنتهم ، ثم نفس خلقهم على هذه الصفة العجيبة الشأن من لحم ودم وعظم وأعضاء وحواس ومجاري ومنافس ، وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطرة وبدائع الخلق ، ما تتحير فيه الأذهان ، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول ، وبالالسن والنطق ومخارج الحروف ، وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة ، والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها ، دع الأسماع والأبصار ، والأطراف ، وسائر الجوارح ، وتأتيها لما خلقت له ، وما سوى ذلك في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني ، فانه اذا جسا منها شيء جاء العجز ، واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين " . " ٢ "

هذه بعض آيات الله في الكون ، تدل عليه ، وتقود وترشد اليه ، وهي نقطة من بحر آيات الله الكثيرة في كونه الواسع الفسيح ، وأسراره الكامنة فيه ، وهي ترينا بوضوح ودقة وجمال صنع الله الذي اتقن كل شيء خلقه .

---

١) سورة الذاريات ٢٠ — ٢١

٢) فتح البيان جـ ٩ ص ١٢١ طبع بمطبعة العاصمة بشارع الفلكي بالقاهره

وبعد : فقد تبين لنا ان الدلائل على وجود الله ، لا تحد ولا تحصى ، والتي تم استعراضها هنا في هذه النقاط لم تكن على وجه الحصر بل كان على وجه الاشارة والايجاز فقط •

وبالمقارنة بين أدلة المسيحيين والأدلة الاسلامية على وجود الله ، يبدو جليا أن الفريقين لا يختلفان في تبني الأدلة الكونية على وجود الله ، الا أن الاستدلال بالآيات الكونية في الأناجيل أو ما قبلها من كتب العهد القديم ، لا نكاد نلمس له أثرا كما يتجلى واضحا في القرآن الكريم ، آياته وبراهينه التي تترى لاقامة الحجة على وجود الله •

ولا يعزب عن بالنا أن شقة الاختلاف بين المسيحية والاسلام في الذات الالهية تسمح لأحد أن يقول ، ان التقارب والتشابه بينهما في الاستدلال على وجود الله بالأدلة الكونية ، يقرب بين المسيحية والاسلام ، لأن هذه الشقة بعيدة جدا ، ولأن الله الذي يستدل الاسلام على وجوده بهذه الأدلة ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وأما الاله الذي يستدل المسيحيون على وجوده بتلك الأدلة فله ابن تجسد في بطن العذراء مريم فولد بشرا سويا ، وأن هذا الاله ذو ثلاثة أقانيم ، أقنوم الآب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم الروح القدس ، كما سيأتي بيان هذا كله في موضعه انشاء الله •

صفات الله تعالى في الاسلام

سبق ان ذكرنا في مبحث الصفات عند المسيحيين ، أن للصفات الالهية أهمية كبيرة في جميع الأديان السماوية ، والاسلام من بين هذه الديانات السماوية ، قد أعطى للصفات الالهية أهمية خاصة •

وفي مبحث الصفات هذا ، تظهر وجوه الاختلاف أو الائتلاف بين هذه الأديان كلها ، والصفات التي سبق عرضها في مبحث الصفات عند المسيحيين ، ليست هي كل الصفات التي يطلقها المسيحيون على الله تعالى ، وكذلك الصفات التي سيتم بحثها هنا ، لن تكون كل صفات الله في الاسلام ، بل ان هذه الصفات وتلك ، هي بعض ما لدى الفريقين من صفات الله تعالى •

ونرى لزاما علينا ان نكتفى هنا بعرض نماذج من صفات الله تعالى فى الاسلام ، على غرار تلك الصفات التى سبق البحث عنها عند المسيحيين ، وذلك ، لأن المقارنة تقتضى عدم الانطلاق فى اتجاهين لا تربط بينهما صلة ما ، بل لا بد ان يكون هناك ارتباط بين الأشياء التى تقصد المقارنة بينها •

وعلى وجه العموم ، فان الاسلام يرى أن الله تعالى له الصفات العلى ، لا يشاركه فيها أحد من مخلوقاته ، ولا يدرك كنهها أحد منهم ، وما كان منها موهما التشابه بين الله وبين عباده ، فهو اشتراك لفظى فقط ، دون أن يكون فى ذلك اشتراك فى المعنى الحقيقى ، والفرق بين تلك الصفات البشرية والصفات الالهية ، كالفرق بين الخالق والمخلوق •

والمبدأ الأساسى فى الاسلام فى صفات الله تعالى ، هو أنه عز وجل ليس كمثله شىء وهو السميع البصير •

وفى هذا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية — رحمه الله تعالى — : " والمسلمون وسط ، يصفون الله بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، يصفونه بصفات الكمال ، وينزهونه عن النقائص التى تمتنع على الخالق •••• فيصفونه بالحياة والقدرة والعدل والاحسان ، وينزهونه عن الموت والنوم والجهل والعجز والظلم والفناء ، ويعلمون مع ذلك أنه لا مثل له فى شىء من صفات الكمال ، فلا أحد يعلم كعلمه ، ولا يقدر كقدرته ، ولا يرحم كرحمته ، ولا يسمع كسمعه ، ولا يبصر كبصره ، ولا يخلق كخلقه ، ولا يستوى كاستوائه ، ولا يأتى كاتيانه ولا ينزل كنزوله كما قال تعالى : (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد) " سورة الاخلاص " ، ولا يصفون أحدا من المخلوقين بخصائص الخالق جل جلاله ، بل كل ما سواه من الملائكة والأنبياء وسائر الخلق فقير اليه ، عبد له ، وهو الصمد الذى يحتاج اليه كل شىء ، ويسأله كل احد ، وهو غنى بنفسه لا يحتاج الى أحد فى شىء من الأشياء كما قال تعالى ، (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ، أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ، ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا ، لقد احصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتيه يوم القيامة

فــرد !) " سورة مريم ٨٨ ــ ٩٥) " ١ " .

هذا هو المبدأ الأساسي في الاسلام في وصف الله عز وجل بما يليق بــه ، وتنزيهه عما لا يليق به ، وذلك على ضوء ما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله صلــى الله عليه وسلم .

ولكي تتضح صورة الايمان الاسلامي بصفات الله عز وجل ، نورد في هذا المبحث بعض الصفات التي يثبتها الاسلام لله عز وجل مع الأدلة المثبتة لها مــن القرآن الكريم ، ونلتزم بأن تكون هذه الصفات كتلك الصفات التي يؤمن بهـــا المسيحيون ، لتكون المقارنة بين ما يؤمن به الفريقان واضحة سهلة .

مقارنة بين صفات الله تعالى عند المسيحيين
وبين صفاته تعالى في الاســـلام

من صفاته تعالى عند المسيحيين ، أن الله تعالى غير محدود . ومعنــى أنه عز وجل غير محدود ، أن الله تعالى لا يحده شيء لا في ذاته ولا في صفاته ، وأنه حاضر في كل مكان بذاته ، ومنــزه عن التحيز والتركيب والتجزئة والاختلاط مــع غيره من المخلوقات . " ٢ "

ما موقف الاسلام من هذه الصفــة : ؟

ان الاسلام لا يمانع في وصفه تعالى بأنه غير محدود في ذاته وصفاته بمعنى انه لا يحده زمان ولا مكان ، وليس له صفات محددة ، بل يوضح ذلك القرآن الكريـــم بقولـــه :

" لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير " " ٣ " وبقولـــــه :
" يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما " " ٤ " .

قال الشيخ صديق حسن خان في تفسير هذه الآية : " لا تحيط علومهم بذاتـــه ولا بصفاته ولا بمعلوماته " . " ٥ "

---

١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ١ ص ٢٣٤ مطبعة المدني
٢) انظر شرح اصول الايمان ج ١ ص ٢٩ ــ ٣٠
٣) سورة الانعام ١٠٣
٤) سوره طه ١١٠
٥) تفسير فتح البيان ج ٦ ص ١١٩

وقال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير آية " لن تراني " من سورة الأعراف بعد أن جاء بآية سورة الأنعام السابقة : " ونظيره قوله تعالى : (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) ، أي هو يحيط بهم علما ، لأنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم " والله من ورائهم محيط " ، وهم لا يحيطون به علما لأن احاطة المحاط بالمحيط محال ...

ثم ذكر الشيخ محمد رشيد رضا تفسيرا لابن تيمية حيث قال : " ... فالمعنى اذن ، أنه يرى ، ولا يدرك ، ولا يحاط به ... فقوله ، " لا تدركه الأبصار " ، يدل على غاية عظمته ، وأنه اكبر من كل شيء ، وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به " . "١"

ولكن الاسلام مع عدم ممانعته في وصف الله تعالى بأنه غير محدود في ذاته وصفاته ، ومع موافقته على بعض معاني هذه الصفة ، فانه لا يرى المسيحيين ملتزمين بمقتضى هذه الصفة ، وسنرى ذلك جليا في هذه المناقشة .

معنى الصفة مرة أخرى ، " أن الله تعالى غير محدود في ذاته " .
وأول نقاش يدور هنا ، لا يتعلق بمعنى هذه الصفة ، وانما يتعلق بصفات أخرى مناقضة لهذه الصفة ، وتلك الصفة المناقضة ، هي صفة التجسد الالهي الذي يقولون به بجانب قولهم بهذه الصفة ، والتجسد معناه — كما مر ذلك — أن يظهر الله للبشر في صورة ما من صور المخلوقات .

أفلا يناقض هذا التجسد وصفه تعالى بأنه غير محدود في ذاته ؟ بل انه يناقض تلك الصفة غاية المناقضة .

وبيان ذلك أن الاله الذي ظهر لابراهيم ومعه رجلان وهو ثالثهم ، والذي ظهر لزوجته هاجر ، وظهر لحفيده يعقوب بتلك الصفات المحدودة ، لم يكن سوى اله محدود في ذاته وصفاته ، محدود في ذاته لأنه جلس تحت الشجرة مع الرجلين ، ومحدود في صفاته لأنه أكل وشرب ، فالأكل والشرب صفتان من صفات المخلوقين لا من صفات الخالق .

---

١) تفسير المنار جـ ٩ ص ١٣٣ — ١٣٤ الطبعة الثانية لدار المنار سنة ١٣٦٧هـ

ومن معانى هذه الصفة ، أن الله تعالى حاضر فى كل مكان بذاته ،كما ذهب الى ذلك شارح الصفة . "١"

كيف يكون الله موجودا فى كل مكان بذاته ،وهو قد تجسد وظهر فى بعض الأجساد ،وفى بعض الامكنه دون غيرها ؟

ومن معانيها كذلك ، أن الله تعالى منزه عن التحيز والتركيب والتجزئة والاختلاط مع غيره من المخلوقات .

كيف يستقيم معنى هذه الصفة مع دعوى التجسد الالهى ؟ أو ليس التجسد هو نفس التحيز ؟ أو لم يتجسد هذا الاله فى بطن مريم بعد ان تجسد على عهد ابراهيم ويعقوب وموسى ؟ وكيف ينسجم كلامهم فى نفى التركيب مع دعوى التجسد ؟ أو لم يتحد اللاهوت بالناسوت فى بطن العذراء ؟ أو ليس المسيح فى نظرهم مركبا من اللاهوت والناسوت ؟ وهو ما ينفونه بهذه الصفة . وما جدوى نفى اختلاط الله مع غيره من المخلوقات — وهو قد اختلط حسب قولهم — بعظم ولحم ودم فى تجسده الأخير وظهوره فى المسيح ؟

وهذا كله مما يتناقض تناقضا عجيبا ، ويتنافر تنافرا غريبا . والاسلام وهو يصف الله تعالى بصفات الكمال التى من بينها عدم محدوديته فى ذاته وصفاته ،يرى فى المسيحية هذا التناقض الذى لا يمكن ان يتفق بحال من الأحوال .

ولعل القرآن الكريم يشير الى هذا التناقض فى قوله تعالى : (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون . "٢"

فالذى من صفاته أكل الطعام ، لاشك أنه محدود فى ذاته وصفاته ، وماكان لاله غير محدود به حياة كل شىء ،أن يعتمد فى حياته على الطعام ، فاعتماده على الطعام فى حياته دليل على أنه مفتقر الى غيره ، ومحدود فى ذاته وصفاته .

---

١) راجع شرح اصول الايمان جـ ١ ص ٣٠

٢) سورة المائدة ٧٥

يقول الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسير هذه الآية من سورة المائدة :

" ... وكل من يأكل الطعام فهو مفتقر الى ما يقيم بنيته ويمد حياته ، لئلا ينحل بدنه ، وتضعف قواه فيهلك بعدم ما يستلزمه أكل الطعام من الحاجة الى دفع الفضلات — وكل مفتقر الى غيره ، فهو ممكن مساو لسائر الممكنات المخلوقة فى حاجتها الى غيرها ، فلا يمكن أن يكون ربا خالقا ، ولا ينبغى أن يكون ربا معبودا ... " "١"

وهذا التناقض الذى تبين لنا هنا بكل وضوح وجلاء ، ليس مقتصرا على هذه الصفة فحسب ، بل يطرد فى جميع الصفات التى سبق عرضها فى مبحث الصفات من الباب الأول ، كما سنرى فى مناقشاتها التالية ، على ضوء تناقضها مع نفسها ، ومناقضة القرآن الكريم لها .

ومن صفاته تعالى عندهم "القدرة على كل شىء"

والاسلام أيضا يرى أن الله قادر على كل شىء ، وليس شىء يعجزه فى الأرض ولا فى السماء خلقا وحفظا واعداما ، وما من قدرة فى الكون الا وقدرة الله فوقها ، وهو يخلق ويحفظ ويحى ويميت بقدرته .

يقول الله تعالى : (ولله ملك السموات والأرض والله على كل شىء قدير) "٢"

وقال عز وجل : (وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض انه كان عليما قديرا) "٣"

والاسلام — وهو يصف الله تعالى بالقدرة على كل شىء — لا يختلف مع المسيحية فى وصفه تعالى بهذه الصفة ، ولكننا نناقش المسيحية على ضوء ايمانهم بهذه الصفة .

هل القدرة على كل شىء تتناسب مع فلسفة الفداء التى تعنى ان الله تعالى

---

١) تفسير المنار ج ٦ ص ٤٨٩
٢) سورة آل عمران ١٨٩
٣) سورة فاطر ٤٤

ضحى بابنه الوحيد للتكفير عن خطيئة آدم التى تسربت الى ذ ريته عن طريق الوراثة ؟

لماذا لم يتجاوز الله عن خطيئة آدم بلا تضحية ؟ وهل تجاوز الله عن خطيئة آدم من غير ان يضحى بابنه — كما يقولون — ، أمر يعجز الله تعالى ، وهو الذى من صفاته القدرة على كل شىء ؟

لقد اتضح لنا من قبل ان المسيحيين يصفون المسيح بالقدرة على كل شىء ، وهل يتناسب مع قدرته على كل شىء هربه مع امه مريم الى مصر من الملك الرومانى هيرودس ؟ "١"

وورد فى انجيل متى ان المسيح صام اربعين يوما وجاع "٢" فأين القدرة على كل شىء مع الحاجة الى الطعام والشراب ؟ أولا يستطيع البقاء بلا طعام ولا شراب طول حياته ؟ وأين القدرة على كل شىء ، وهو قد أسلم الى ايدى الرومان الذين صلبوه رغم حزنه العميق ، ومحاولته الهرب من ملاحقتهم ؟ "٣"

ثم اين القدرة على كل شىء ، وهو لم يستطع مقاومة اليهود ، وعداءهم له مع الرومان ، وذلك حينما وشى به اليهود عند الحكام الرومان ، وسعوا فى القبض عليه واعدامه صلبا كما يقولون ؟ "٤"

ومن صفاته تعالى عندهم "العدل"

والاسلام ايضا يصف الله تعالى بالعدل ، وبأنه لا يظلم احدا من خلقه وانه يجازى كلا بحسب عمله ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، وذلك منتهى العدالة.

يقول الله تعالى : (ان الله لا يظلم مثقال ذرة ، وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) "٥"

---

١) انظر انجيل متى ٢ : ١٣ — ١٥
٢) راجع انجيل متى ٤ : ٢
٣) انظر انجيل متى ٢٦ : ٣٦ — ٤٦
٤) راجع انجيل متى ٢٦ : ٣ — ٥ و ٢٧ : ١ — ٢
٥) سورة النساء ٤٠

ويقول عز وجل : (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) "١"

هذه بعض دلائل الكتاب المجيد على العدالة الالهية ، والاسلام يؤمن بها فى اجلى صورها ، وأسمى معانيها .

ويتبين من هذا أن العدل الالهى ليس موضع خلاف بين الاسلام والمسيحية ، ولكن هل من عدل الله أن يؤاخذ احدا بذنب لم يعمله ؟

يقول المسيحيون ان البشر جميعا مذنبون بذنب ابيهم آدم حينما أكل من الشجرة باغراء من ابليس .

كيف يصح هذا والله عز وجل من صفاته العدل ، ومن عدالته ألا يؤاخذ غير الجانى ؟ وعلى هذا دلت الكتب السماوية ، يقول سفر التكوين على لسان ابراهيم عليه السلام حينما جاء امر الله لاهلاك قرية قوم لوط : " ... حاشا لك ان تفعل مثل هذا الأمر أن تميت البار مع الأثيم فيكون البار كالاثيم حاشا لك أديان كلا الأرض لا يصنع عدلا " "٢" . والى ذلك يشير القرآن بقوله : (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى ، وابراهيم الذى وفى . الا تزر وازرة وزر أخرى) . "٣"

ان العدالة الالهية لا تقتضى معاقبة غير الجانى ، ولكنها تقتضى براءة الأبرياء فى كل وقت وحين ، ولا تؤاخذ الأبناء بذنوب الآباء ، كما تقتضى براءة المسيح من خطيئة آدم مع سائر ذريته " ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى " "٤"

اذا كانت عدالة المسيحيين قد حكمت فى القرن العشرين بتبرئة اليهود من دم المسيح بحجة أن الآباء الاقدمين هم الذين قتلوه ، وأبناؤهم من بعدهم لا دخل لهم فى ذلك ، فكيف لا تحكم العدالة الربانية ببراءة البشر من خطيئة آدم لنفس السبب ؟ ..

---

١) سورة فصلت ٤٦
٢) سفر التكوين ١٧ : ٢٥
٣) سورة النجم ٣٦ — ٣٨
٤) سورة الأنعام ١٦٤

هذا على فرض بقاء آدم مذنبا ، أما وقد تاب الله عليه بتوبته وندامته فليس لأحد أن يقول بأن اثر الذنب باق ، وأن آدم مذنب ، فضلا عن أن يعتقد بأن ذريته أذنبت بذنبه •

ومن صفاته تعالى عندهم " الرحمه "

ولهذه الصفة عند المسيحيين أهمية كبيرة نظرا لارتباطها — فى نظرهم — بفلسفة الفداء النابع عن الرحمة الالهية •

وكما سبق عند بحث هذه الصفة فى مبحث الصفات من الباب الأول ، فان المسيحيين يرون أن هذه الصفة تنفرد بها المسيحية عن غيرها من الأديان فى وصف الله تعالى بها ، لأن صفة الرحمة هذه عندهم ، قربت الاله البعيد المتعالى فى الديانات الأخرى الى البشر حتى كان رحيما بهم وقريبا منهم فى المسيحية ، بأن ارسل ابنه الوحيد فداء لهم •

وعلى الرغم من أن المسيحية ترى لنفسها الاختصاص فى وصفه تعالى بالرحمة ، فان هذا ادعاء لا يمكن ان يسلم به الاسلام ، لأن الاسلام ايضا يؤمن بصفة الرحمة ، ولكن بطريقة تخالف الطريقة المسيحية •

فبينما ترى المسيحية أن من مظاهر تلك الرحمة ، ارسال ابنه الوحيد فداء وخلاصا للبشر ، فان الاسلام يرى أن من مظاهر تلك الرحمة أن يغفر الله الذنوب ، ويستر العورات والعيوب ، وأن لا يؤاخذ أحدا بذنب لم يرتكبه •

يقول الله تعالى : (قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم) "١"

ومن رحمته أن جعل القنوط من رحمته ضلالا عن الهدى ، وما ذلك الا

---

١) سورة الزمر ٥٣

مظهرا من مظاهر الرحمة ،بمعناها الواسع • قال الله عز وجل : (قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) "١" •

وآيات الرحمة فى القرآن الكريم لا تكاد تحصى ، وليس فى الكتاب المقدس بعهديه : القديم ، والجديد ، ما يمكن أن يجارى كتاب الاسلام فى ابراز صفة الرحمة الالهية ، وليس الله فى الاسلام ،بل وفى كل دين له من الحق نصيب ، سوى اله قريب مجيب رحيم ودود •

قال الله تعالى : (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان) "٢" • وقال : (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود) "٣"

وبعد هذه الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، فليس للمسيحيين أن يقولوا ان صفة الرحمة مما تختص بها المسيحية من بين الأديان •

ما مقتضى المحبة والرحمة ؟

مقتضى المحبة والرحمة ، التجاوز عن السيئات حينما يتوب المسىء ،فقد عصى آدم ربه وتاب ، فمن مقتضى محبته ورحمته تعالى ،ان لا يبقى مع التوبة ذنب هذا فيمن أذنب وتاب •

أما من لم يذنب ، فمقتضى الرحمة فى حقه ،أن لا يؤاخذ على مالم يرتكبه ، فقد عصى آدم ،وما بال ذريته يؤاخذون بذنب ابيهم ، وهم لم يشهدوا وقوع الذنب ، وبريئون منه براءة الكف من الشعر ،وبراءة الذئب من دم يوسف ؟ هذا مقتضى الرحمة ، ولكن المسيحية ترى خلاف ما تقتضيه الرحمة الالهية ،والرحمة الالهية ، هى التى اخرجت بنى اسرائيل من مصر ،وأنجتهم من العذاب المهين ، وهى التى خصتهم بارسال عدد كثير من الأنبياء منهم ،وهى التى اقتضت تجاوز الله تعالى وتوبته عليهم رغم ما وقع منهم من عصيان لرسله ،وقتل لأنبيائه •

---

١) سورة الحجر ٥٦
٢) سورة البقره ١٧٦
٣) سورة هود ٩٠

ومع هذا ، فكيف تكون المسيحية مختصة بصفة الرحمة ، والاسرائيليون أنفسهم لمسوا آثار تلك الرحمة الالهية ؟

ومـن صفاته تعالى عندهم " الحكمـة "

والحكمة التى تعنى وضع كل شىء فى مكانه اللائق به ،هى صفة مـن صفاته تعالى فى الاسلام أيضا ،ولا خلاف بين الاسلام والمسيحية فى وصف الله تعالى بهذه الصفة .

وقد وردت فى القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على أن الله تعالى حكيـم يتصف بالحكمة فى كل مايفعل ، حكيم فى تقديره ، حكيم فى خلقه ،حكيم فى قضائـه ، حكيم فى رزقه واحيائه واماتته ،وترتيبه للكون حتى ظهر فى شكله البديع من التناسق والتناسب .

قال الله تعالى : (هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا اله الا هـو العزيز الحكيم) "١" . وقال عز وجل : (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكـة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) "٢"

وقال سبحانه : (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما) "٣" .

هذه هى عقيدة الاسلام فى حكمة الله تعالى ،وليس فى المسيحية ما يقارب أو يدانى الأدلة الاسلامية على حكمة الله تعالى ، ومع توافق المسيحية والاسـلام فى اثبات هذه الصفة لله ،فان التناقض الذى يطرد فى المسيحية فى كل مسألة من مسائل العقيدة ، يجعل هذه الصفة بعيدة عن المفهوم الاسلامى لها .

<u>ما التناقض الذى فى هذه الصفة ؟</u>

ان أول تناقض فى المسيحية فى اثبات هذه الصفة ،يتضح فى مسألة ادانـة

---

١) سورة آل عمران ٦
٢) " " ١٨
٣) سورة الفتح ٤

البشر بسبب خطيئة ابيهم آدم حسب قولهم •

والحكمة تقتضى مؤاخذة الجانى ، وبقاء غيره على ما كان عليه من البراءة طالما لم يرتكب ذنبا يستحق عليه العقوبة ، ولكن المسيحية ترى أن الله عز وجل يؤاخذ الابرياء بما لم يرتكبوه من ذنب ، ذلك مع ايمانهم بالحكمة الالهية •

تقول المسيحية ، ان البشر جميعا خطاة يستحقون غضب الله عليهم بسبب خطيئة أبيهم آدم •

فأين الحكمة الالهية التى يثبتونها من هذه العقيدة ؟ كيف يستحق الناس جميعا غضب الله وهم لم يرتكبوا الذنب ، بل ولا شهدوه ؟

وتقول المسيحية أيضا ، ان المسيح عليه السلام يعتبر أول برئ من خطيئة آدم لولادته بعد تجسده من الله فى بطن العذراء مريم ، ولبراءته وعدم تسرب الخطيئة اليه من البشر ، قدم نفسه للصلب تخليصا لهم ، وتكفيرا لخطاياهم المتوارثة عن ابيهم الأول •

ان براءة المسيح من ذنب آدم ، يقتضى فى منطق الحكمة ، ان لا يصلح لتكفير خطيئة المذنبين طالما هو برئ من تلك الخطيئة ، ثم ان اولئك الخطاه فى نظر المسيحية ، هم الذين قدموا المسيح للصلب وأهانوه ضربا وسبا ، وقضوا على حياته ظلما وعدوانا ، وهذه خطيئة كبرى ارتكبها اولئك الذين تآمروا عليه ، فكيف تمحو الخطيئة الكبرى خطيئة أخرى هى دونها فى القبح ؟ ان الحكمة الالهية التى اثبتها المسيحيون ، تناقض هذه العقيدة ، لأنها تقتضى أن لا يؤاخذ أحد الا بما كسبت يداه • ألا ترى أن من قتل نفسا بغير حق ، تقتضى الحكمة فى حقه أن يعاقب هو فقط ، لا أن يؤاخذ ابنه أو قريبه أو صديقه للقصاص ، ومن فعل ذلك من البشر ، يعتبر ظالما أحمق ، فكيف يليق هذا بالله جل شأنه ؟ وهذا فى منطق الحكمة ومقتضاها ، أما فى المسيحية فان الحكمة عارية عن هذا المعنى •

ثم على فرض مؤاخذة ذرية آدم بذنب ابيهم ، فان الحكمة تقتضى ان يتوب الله على من تاب منهم ، من غير حاجة الى الكفارة بضحية بريئة كالمسيح •

الحكمة الالهية تقتضى عكس ما تعتقده المسيحية فى خطيئة آدم وما ترتب عليها فى نظرها من استحقاق البشر للهلاك والموت الابديين وما تلا ذلك من الفداء والصلب من اجل الكفارة .

واذا كان البشر — وهم بشر — لا يستسيغون فيما بينهم مؤاخذة البرئ ومعاقبته على ما جناه غيره ، فما بال المسيحيين يستسيغون هذا بالنسبة لله تبارك وتعالى الموصوف لديهم بالحكمة ؟ وما جدوى اثبات هذه الحكمة ما لم تتجلى مقتضياتها وآثارها فى مثل هذه الأمور ؟

هذا تناقض فى المسيحية فى اثبات صفة الحكمة ، مع ايمان اصحابها بأن البشر جميعا مذنبون بذنب آدم . وسنرى تناقضا آخر فى اثباتهم لصفة العلم ، مع اعتقاد آخر ينافى صفة العلم فى المسيحية .

ومن صفات الله تعالى عندهم "العلم"

وكذلك الاسلام يرى اتصاف الله تعالى بالعلم الكامل ، والله عز وجل فى الاسلام محيط بكل شئ علما ، وأنه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، والقرآن الكريم أعطى جانبا عظيما لهذه الصفة الالهية فى كثير من سوره وآياته البينات .

قال الله تعالى : (ان الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء) "١"
وقال : (ان تبدو شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما) "٢"
وقال : (ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شئ فى الأرض ولا فى السماء) "٣" . وقال سبحانه : (وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) "٤"

هذه الآيات البينات تدلنا على علمه تعالى بدقائق الأمور وجلائلها ، وأن الله تعالى يعلم ما يخفى الانسان فى صدره ، بل وما لا يعلمه المرء عن نفسه ، وليس هناك من ظلمة ولا من حاجز مكانى أو زمانى يحول بين الله وبين العلم الدقيق بكل شئ ، ولننظر فى هذه الآية من القرآن حيث يقول عز وجل : (وعنده مفاتح

---

١) سورة آل عمران ٤
٢) سورة الاحزاب ٥٤
٣) سورة ابراهيم ٣٨
٤) سورة طه ٧

الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين) "١"

هذه صفة علم الله تعالى فى الاسلام وهذه ادلته البينات ، وهى أدلة لا يوجد ما يدانيها فى العهدين : القديم والجديد ، سواء كان ذلك من حيث كثرتها ، أو من حيث دلالتها وصراحتها .

فما مدى انسجام هذه الصفة فى المسيحية مع عقيدتها فى الذات الالهية ؟

ان اول ما يلاحظ من عدم الانسجام فى هذه الصفة مع المعتقد المسيحى ، تلك النصوص الواردة فى سفر التكوين ، والتى تدل على أن الله لم يعلم بمكان وجود آدم فى الجنة لاختبائه حتى ناداه قائلا : " أين انت " "٢" .

أين صفة علمه تعالى مع هذا النص من التوراة ؟ كيف لم يعلم الله بمكان وجود آدم بعد اختبائه ؟ وما ورد فى سفر الخروج أيضا من أن الله تعالى طلب من موسى أن يتخذ بنو اسرائيل علامة تميزهم عن المصريين عندما اراد اهلاكهم حتى لا يهلكوا مع من يهلكهم من المصريين فيعبر عنهم ، وذلك بأن أمرهم بوضع الدم على البيوت الاسرائيلية : " ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى انتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربه للهلاك حين أضرب أرض مصر " "٣" .

أليس هذا النص مناقضا لعلمه تعالى ؟ كيف يطلب الله من بنى اسرائيل أن يضعوا علامة على بيوتهم خشية أن يهلكهم مع الهالكين بلا علم منه تعالى أنهم اسرائيليون ؟

وفى نص آخر من سفر التكوين يقول ان ثلاثة رجال ومن بينهم الله سألوا ابراهيم عليه السلام عن مكان وجود امرأته ساره قائلين له : " أين سارة امرأتك فقال ها هى فى الخيمه " "٤"

---

١) سورة الأنعام ٥٩
٢) سفر التكوين ٣ : ١٠
٣) سفر الخروج ١٢ : ١٣
٤) سفر التكوين ١٨ : ٩

أين صفة العلم من هذا النص وهو ينسب الى الله الجهل بمكان وجود سارة امرأة ابراهيم عليه السلام ؟

هذا مما يناقض صفة العلم مناقضة لا يبقى لها أثرا ٠

وفى نص آخر فى الانجيل سئل المسيح عن الساعة فأجاب بأن موعدها لا يعلمه هو ولا ملك وانما يختص الله تعالى بمعرفة ميعادها بلا مشاركة من خلقه :

" وأما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات الا أبى وحده " (١) .

أو ليس المسيح هو الله فى نظرهم وأنه يعلم كل شىء وهو فى ذلك مثل الآب ؟ كيف يختص الآب بعلم الساعة دون الابن ، والمسيحية ترى انه لا فرق بين علم الآب وعلم الابن لأن كلا منهما عليم بكل شىء فى نظرهم ؟

وفى نص آخر جاء أن المسيح كان يجأر بالدعاء الى الله فى صلاته طالبا منه أن ينجيه من الموت على يد المتآمرين عليه قبل القبض عليه بساعات — كما يقولون — وهو نص ينافى علمه بما سيحدث له من صلب وموت على الصليب :

" ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلى قائلا يا ابتاه ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ، ولكن ليس كما أريد انا بل كما تريد أنت " (٢)

يدلنا هذا النص على أن علم المسيح بكل شىء ليس صحيحا ، لأنه لو يعلم أن موته على الصليب لا مناص منه لما جأر الى الله بالدعاء ، لأن علمه بكل شىء يقتضى الاحاطة بكل ما سيؤول اليه أمره ٠

فبطل بهذا علمه بكل شىء ، وبالتالى ألوهيته وبنوته لله تعالى ٠ والا فما معنى هذا الدعاء المسيحى فى تلك اللحظة الحرجة من حياته فى نظرهم ؟ ٠

---

(١) انجيل متى ٢٤ : ٣٦
(٢) متى ٢٦ : ٣٩

ومن صفاته تعالى عندهم " الارادة "

والارادة التي تعني أن الله تعالى يفعل كل شيء بمشيئته لا اعتراض لأحد على ما يفعل ، مما يؤمن الاسلام أيضا بثبوتها لله تعالى ،وهو سبحانه فعال لما يريد ويحكم حسب ارادته ولا معقب لحكمه .

قال الله تعالى : (انما امره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) " ١ " وقال سبحانه (انما أمرنا لشيء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون) " ٢ " . وقال عز وجل : (ذو العرش المجيد فعال لما يريد) " ٣ " .

هذه آي الذكر الحكيم واضحة في دلالتها على ثبوت صفة الارادة لله عز وجل ،وهي مما تثبت المسيحية لله أيضا من صفات .

وهل من تناقض في اثبات هذه الصفة مع معتقد آخر من المعتقدات في المسيحية ؟ . في النص السابق من انجيل متى جاء قول المسيح : " .. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت "

وهذا النص يغاير بين ارادة الله وارادة المسيح مما يدلنا على ان ارادة الله هي التي غلبت ارادة المسيح ،وعلى قولهم بألوهية المسيح فينبغي ان لا يكون فرق بين الارادتين بل ينبغي ان لا تكون هناك ارادتان .

وعليه فاين الارادة النافذة الالهية في المسيح ؟ لقد اراد الله ان يصلب واراد المسيح أن ينجو من الصلب ،فغلبت ارادة الله وصلب. اذن فأين في المسيح صفة الارادة الالهية ؟ .

والحق أن الله اراد ان لا يصلب واراد ابن مريم أن لا يصلب ،وجأر بالدعاء الى الله لانقاذه من شر اعدائه ،فأنجاه الله بارادته وقدرته مستجيبا

---

١) سورة يس ٨٢
٢) سورة النحل ٤٠
٣) سورة البروج ١٦

لدعائـــه •

وبذلك صرح المسيح بقوله : " ولكن ليس كما اريد انا بل كما تريـــد انـــت " ولم يكن لارادة المسيح تأثير فى ارادة الله تعالى ، وليست ارادتــه عين ارادة الله كما هو واضح من كلام المسيح ، بل صادفت ارادة المسيح ارادة الله تعالى فتحققت ارادته بارادة الله •

صلة الله تعالى بالعالم

ان صلة الله تعالى بالعالم لا تقتصر على خلقه له ، وايجاده اياه من العدم وانما هى صلة حفظ وعناية لا يمكن أن تنقطع أو تفتر طرفة عين .

قال الله تعالى : " ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا " "١"

هكذا تتجلى صلته بالعالم بحفظه من الزوال والاختلال ، لأن زوال جرم من تلك الأجرام العلوية أو السفلية ، واختلال نظامه ، يسبب دمار العالم ونهايته . وهو سبحانه قد جعل الشمس نورا والقمر ضياء والنجوم معالم فى ظلمات البر والبحر وقدر لها منازل ومدارات تسبح فيها ، ولا تحيد عنها قيد انمله ، لأنه يحفظها فى بقائها وفى مسيرها ومنازلها .

وقال جل ذكره : (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وماكنا عن الخلق غافلين) "٢" . يقول الشوكانى عند تفسير هذه الآية (وماكنا عن الخلق غافلين) المراد بالخلق هنا ، المخلوق : أى ، وما كنا عن هذه السبع الطرائق وحفظها عن أن تقع على الأرض بغافلين . وقال أكثر المفسرين : المراد : الخلق كلهم ، بغافلين ، بل حفظنا السموات عن أن تسقط ، وحفظنا من فى الأرض أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم ، أو تميد بهم الأرض ، أو يهلكون بسبب من الأسباب المستأصلة لهم ، ويجوز أن يراد نفى الغفلة عن القيام بمصالحهم ، وما يعيشون به ، ونفى الغفلة عن حفظهم "٣" .

وقال عز وجل : (وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم) "٤" .

---

١) سورة فاطر ٤١
٢) سورة المؤمنون ١٧
٣) فتح القدير جـ ٣ ص ٤٧٧
٤) سورة البقرة ٢٥٥

هذه علاقة الله سبحانه بالعالم ، وهى علاقة حفظ ورعاية ، وفى حفظه للسموات والأرض حفظ لكل ما فى الكون من حيوان وجماد ، وهذه صلته العامه بخلقه .

وأما صلته بالانسان ، فهى صلة خاصة تتجلى فيها عنايته بالانسان ، ورحمته به ، وهى ليست صلة أب بابنائه — كما يرى ذلك المسيحيون — ولكنها صلة خالق بخلقه ، صلة رب كريم رحيم بعباده ، تتقاصر العبارات والألفاظ عن التعبير عن عمقها وعظمتها . والله فى الاسلام ، هو البر الرحيم ، والجواد الكريم ، الذى يفتقر كل شئ الى حفظه وعنايته ورحمته ، فى وجوده واستمراره فى البقاء .

وهو الذى خلق الانسان واصطفاه للحياة على هذه البسيطة ، وجعله خليفة فيها ، ويسر له جميع اسباب الحياة والسعادة على وجهها ، وسخر له من مخلوقاته العلوية والسفلية ما جعلها دائبة فى مصلحته واسعاده ، وليس فى امكان احد ان يحصى نعم الله عدا وحصرا . قال تعالى : (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار) "١" . وقال : (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس . ان ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون) "٢" .

وقال عز وجل : (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا الوانه ، ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . والقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون) "٣" .

---

١) سورة ابراهيم ٣٤
٢) سورة النحل ٥ — ٨
٣) " " ١٠ — ١٦

وهو سبحانه قد خلق الليل راحة للبشر ،وخلق النهار معاشا يسعون فيه فيما يسر لهم من كسب المعيشة ، وقال فى ذلك سبحانه : (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) " ١ " ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) " ٢ " . فسبحان ربى العظيم الذى حفظ العالم بقدرته ،وأمد الانسان برزقه ورحمته ، ولم يتخل عن حفظه والعناية به طرفة عين ،ولا ادنى من ذلك ،ثم انه تعالى مع تيسير اسباب السعادة للبشر فى أرضه وسمائه لم يتركهم سدى ،لانه لم يخلقهم عبثا ،بل بعث الى كل أمة من البشر رسولا يدعوهم الى السعادة الروحية بالايمان بالله تعالى ،واتباع صراطه المستقيم ،ونهجه الواضح ،حتى يجمعوا بين السعادة الجسمانية والسعادة الروحية بالايمان بالله تعالى والعمل الصالح فى هذه الدار .

أضف الى ذلك ما وعدهم به على ألسنة رسله وأنبيائه من سعادة عظمى فى الدار الآخرة ، ان هم أطاعوا الرسل ، واتبعوا سبيله الذى مهده لهم بواسطة رسله الاطهار .

فأعظم بهذه الصلة الربانية من صلة ،وأكرم بها من رب كريم بر رحيم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ،وهو الحى القيوم الذى تقوم به حياة كل حى ،وبقاء كل ذرة من ذرات الكون فى كل لمحة ونفس ... !

يقول عز وجل : (يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن) " ٣ " يقول الشوكانى فى تفسيره لهذه الآية : " ... ومن جملة شئونه سبحانه ،اعطاء أهل السموات والأرض ما يطلبونه منه على اختلاف حاجاتهم وتباين أغراضهم ،قال المفسرون : من شأنه انه يحى ويميت ، ويرزق ويفقر ،ويعز ويذل ،ويمرض ويشفى ويعطى ويمنع ،ويغفر ويعاقب الى غير ذلك مما لا يحصى " " ٤ "

وفى هذه الآية تتجلى صلته تعالى بالعالم فى كل لحظة فى الوجود ،

---

١) سورة غافر ٦١
٢) سورة القصص ٧٣
٣) سورة الرحمن ٢٩
٤) فتح القدير جـ ٥ ص ١٣٦

وكل ما في الوجود مفتقر اليه ، وهو الغني الحميد جل جلاله •

هذه هي الصلة الربانية بخلقه وهي تتجلى في حياة كل حيوان اذ " ما من دابة في الأرض الا على الله رزقها ، " وتتجلى في بقاء كل موجود محتفظا بنظامه البديع الذي وضعه عليه الخالق المبدع سبحانه •

وهذه هي نظرة العقيدة الاسلامية في هذه الصلة ، ولنعد الى مناقشة نظرة المسيحية فيها •

ترى المسيحية — كما سبق في الباب الأول — أن صلة الله تعالى بالكون عامة صلة خلق وايجاد وحفظ • أما صلته بالانسان خاصة فترى أنها صلة أب بابنائه وقد تجلت هذه الصلة في نظرهم — في أجلى صورها ، حينما أرسل الآب ابنه الوحيد فداء وتخليصا للبشر •

ولكن صلة الرحمة والرأفة من الله تعالى بالانسان ، أوضح وأجل من هذه الصلة التي تتصورها المسيحية •

والمسيحية في معتقداتها ، تحاول ان تعيد كل ضمير الى المسيح ، والمسيح في المسيحية هو مرجع الضمير حتى ولو كان الضمير مذكورا في العهد القديم من غير أن تسبق الضمير اشارة ما الى المرجع ، والمسيح في العهد الجديد ، هو مرجع الضمائر وصلة الموصولات ، وهو الرابط بين جمل العهدين ، القديم والجديد •

وهنا تذكر المسيحية أن المسيح هو الرابط بين الله وبين البشر ، لا لأنه رسول أوحى اليه وجاء برسالة من رب العالمين ، بل لأنه — عندهم — اله وابن اله تجسد في بطن العذراء مريم ، ليبني القنطرة المفقودة بين الله وبين الانسان منذ خطيئة آدم • "١"

والاسلام — بالاضافة الى ما سبق — يرى أنه ليس بين الله وبين احد من خلقه قرابة نسب ، وليس يقرب الانسان شيء غير العمل الصالح الذي يحبه الله ويرضاه •

---

١) راجع يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص٧٤ وقد سبق النص في مبحث صلة الله بالعالم من الباب الأول •

الفصـــل الثانـــــــى

* وحدانية الله تعالى فى الاسلام
* الدلائل الكونية على وحدانيته تعالى
* المراد بالروح القدس فى الاسلام
* مناقشة مسألة الاقانيم

وحدانية الله في الاسلام

اذا كانت المسيحية الحالية قد تميزت من بين الأديان السماوية بتمسكها بالاقانيم الثلاثة في ايمانها ، فان الدين الاسلامي ينفرد باحتفاظه بتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته .

ولسنا ندعى أن الدين الاسلامي لم يكن له نظير في الأديان السماوية قبل ان تمتد اليها أيدى التحريف ، ولكنا نقول ان الاسلام هو الذى بقى محتفظا بقواعده وأركانه سماوية صافية ، لم تنلها يد التغيير والتبديل مثلما نالت من سابقتيه اليهودية والمسيحية .

كيف لا وقد ختم الله به الرسالات وتكفل بحفظه وذلك بحفظ القرآن الكريم كتابه الخالد ، الذى أرسى قواعد التوحيد ، وأوضح معالمه ، وبين حدوده بيانا لا يحتاج أحد بعده الى تفسير أو ايضاح .

والوحدانية في الاسلام لم تكن رموزا غير مفهومة المعنى ، ولكنها وحدانية بينها القرآن الكريم ، وقبلتها الفطر السليمة ، وأكدها العقل المتجرد عن قيود الهوى والتعصب للافكار السقيمة ، ودلت عليها الأنظمة الكونية في ترابطها وتناسقها البديع .

وأول باب يدخل منه المرء الى الاسلام هو ، شهادة ان لا اله الا الله . يقول شارح العقيدة الطحاوية " اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك الى الله عز وجل " . " ١ "

قال الله عز وجل : (والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) " ٢ " . وهذا المبدأ الذى دلت عليه هذه الآية من توحيد الله عز وجل في الوهيته ، لم يتركه القرآن خلوا من دليل يدعمه ، وبرهان يعضده ، ولذلك يقول الله تعالى :

---

١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢ الطبعة الثالثة منشورات المكتب الاسلامي بدمشق

٢) سورة البقرة ١٦٣

(ما اتخذ الله من ولد وماكان معه من اله ،اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) "١" . ويقول شارح العقيدة الطحاوية بعد استدلاله بهذه الآية : " فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر . فان الاله الحق لا بد أن يكون خالقا فاعلا يوصل الى عابده النفع ، ويدفع عنه الضر ،فلو كان معه سبحانه اله آخر يشركه فى ملكه لكان له خلق وفعل ،وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة ، بل ان قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والالهية دونه فعل ، وان لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق ،كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه ، اذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه فلا بد من أحد ثلاثة أمور :

اما أن يذهب كل اله بخلقه وسلطانه

واما ان يعلو بعضهم على بعض

واما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ، ولا يتصرفون فيه ، بل يكون وحده هو الاله ،وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه . وانتظام أمر العالم كله واحكام امره ،من أدل دليل على أن مدبره اله واحد ،وملك واحد ،ورب واحد ، لا اله للخلق غيره ،ولا رب لهم سواه " "٢" .

ويقول امام الحرمين الجوينى : " لو أثبتنا الهين قديمين ،حيين ، قادرين ، واراد أحدهما حركة جوهر فى وقت معين ، وأراد الثانى سكونه فى ذلك الوقت ،وقصد كل واحد منهما الى تنفيذ مراده ،فلا يخلو : اما ان يقدر حصول المرادين ، واما ان يقدر انتفاؤهما ،واما ان يقدر حصول احدهما وانتفاء الآخر . فان قدر حصول المرادين ،كان ذلك محالا ،ولزم من تقديره تجويز اجتماع الضدين . وان قدر انتفاء المرادين ،كان ذلك محالا لاستحالة عرو الجوهر القابل للحركة والسكون عنهما ،... على أنه لو قدر امتناع المرادين

---

١) سورة المؤمنون ٩٢

٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣ — ٢٤

لدل ذلك على نقص كل واحد من القديمين وخروجهما من الالهية . وان قدر نفوذ مراد أحدهما دون الثانى ، فالذى نفذ مراده (هو) الغالب ، والذى لم ينفذ مراده مع قصده تنفيذه ، هو الممنوع الضعيف المهين ، والممنوع المنعوت بالنقص ، لا يستوجب صفة الالهية " . " ١ "

هذه وحدانية الله فى الاسلام ، فهى ليست معقدة ولا غامضة ، كما يشاهد ذلك جليا فى أدلتها من القرآن الكريم ، وهى ادلة لم تضع أمام العقل البشرى عقبة تجعل من العسير فهم العقيدة ، بل وضحت السبيل وأنارت الطريق أمامه .

والملحوظ فى العقيدة المسيحية ، خلاف ما فى الاسلام من سهولة ويسر وخضوع للفهم ، وذلك لتعارضها مع العقل واستعصاء فهمها عليه ، حتى قال أصحابها ان العقيدة المسيحية فوق العقل ، ولم يعلموا أن ما فوق العقل لا يمكن أن يكون محل تكليف .

والله فى الاسلام ، ليس مؤلفا من أشخاص أو أقانيم ، أو أسرة تشكل الثالوث الاقدس كما نرى ذلك فى المسيحية ، ولكنه اله واحد فى ذاته ، لا شبيه ولا شريك له فى صفاته وأفعاله ، وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى : (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد) " ٢ "

وهو تعالى بائن عن خلقه ، عالم بكل شىء فيه ، مدبر لشئونه ، قادر على كل شىء ، لا يعجزه شىء فى الكون ، ولا يخفى عليه من شىء .

وهذه هى الوحدانية فى أجلى صورها ، وأوضح معانيها ، كما دلت عليه الكتب السماوية ، وصدقتها العقول السليمة .

---

١) الشامل فى أصول الدين لامام الحرمين ص ٣٥٢ طبع بشركة الاسكندرية للطباعة والنشر عام ١٩٦٩ م والجوينى هو : ابوالمعالى عبد الملك ابن الشيخ ابى محمد عبدالله ابن ابى يعقوب المعروف بامام الحرمين ، ونسب الى جوين قرية من قرى نيسابور . توفى سنة ٤٧٨ هـ . انظر ترجمته للنشار فى مقدمة كتابه هذا ص ٩٩ ومابعدها .

٢) سورة الاخلاص ١ — ٤

وهذه العقيدة فى موافقتها للعقل السليم ، وعدم وجود ما يعقدها ويصعب فهمها ، بحيث لو عرضت مع المسيحية على شخص لا يدين بدين ما ، لاختارها على المسيحية بلا تردد ، وذلك لأنها عقيدة توافق الفطرة الانسانية التى فطر الله الناس عليها . وفى ذلك يقول الله عز وجل : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . "١"

الدلائل الكونية على وحدانيته

ان الدين الاسلامى فى دعوته الى وحدانية الله تعالى ، لم يطلب من اتباعه التسليم والقبول لهذه العقيدة تاركين العقل جانبا ، ومنقادين انقيادا أعمى ، ولكنه قرن الدعوة الى التوحيد بالدلائل على صدقها .

وهذه الدلائل هى المخلوقات المبثوثة فى هذا الكون الفسيح الذى ينطق كل شىء فيه بأن موجدها اله واحد لا شريك له فى ربوبيته وألوهيته ، وذلك بالتناسق والتآلف اللذين يسودان جميع المخلوقات . لأنها لو لم تكن من اله واحد لما تناسقت وتآلفت بهذا الشكل الذى تبدو عليه ، بل لفسدت وتنافرت ، واستحال بقاؤها لحظة واحدة .

ولذلك يقول الله عز وجل : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) "٢"

يقول الزمخشرى فى تفسير هذه الآية : " والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذى هو فاطرها ، لفسدتا ، وفيه دلالة على أمرين : احدهما وجوب ألا يكون مدبرهما الا واحدا ، والثانى ، أن لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده : لقوله ، الا الله . فان قلت لم وجب الأمران ؟ قلت : لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف " . "٣"

---

١) سورة الروم ٣٠

٢) سورة الانبياء ٢٢

٣) الكشاف ج ٢ ص ٥٦٨

ويقول شارح العقيدة الطحاوية في توجيه معنى الآية :

" ... ودلت الآية على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة ، بل لا يكون الاله الا واحدا ، وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الاله الا الله سبحانه وتعالى وأن فساد السموات والأرض ، يلزم من كون الالهة فيهما متعددة ، ومن كون الاله الواحد غير الله ، وأنه لا صلاح لهما الا بأن يكون الاله فيهما هو الله وحده لا غيره " (١)

ومن تأمل في هذه الآية وأمثالها في القرآن الكريم ، وجدها تخاطب العقل وتضعه على الطريق التي لا عوج فيها ولا تعقيد . وليس بين الأدلة القرآنية والدلائل الكونية وبين العقل انفكاك ، لأن العقل هو الذى يستفيد من الدلائل النقلية والكونية ، ولولا العقل ، لما كان البشر مكلفين بالايمان .

والانسان ليس بدعا من الحيوانات في سمع المسموعات ، ورؤية المرئيات ، والاحساس بالمحسوسات ، ولكن الله تعالى فضله على سائر الحيوانات ، واصطفاه بالعقل ، لينطلق من الرؤية والسمع والاحساس الى ادراك ما وراءها من اسرار ومعان بما آتاه الله من نعمة العقل ، ولهذا جعله الله خليفة في الأرض ، وأمده بالهداية .

فتبين من هذا أن العقل هو سر التكليف الانساني ومناطه ، وهو الذى يهتدى الى ادراك صدق الرسل عند سماع دعوتهم ، فيهتدى الى تصديقهم ، والايمان بوحدانية الله عند رؤية آياته المبثوثة في الكون .

وأن العقل هو الذى يدرك أن لهذه المخلوقات خالقا ، وأن هذا الخالق هو الذى يستحق أن يعبد وحده لا شريك له ، لأنه خالق كل شيء سبحانه .

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

ولتأكيد ما سبق من دلالة الآيات الكونية على وحدانية الله تعالى ، نسوق هذه الآيات البينات :

قال الله تعالى : (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، آلله خير أما يشركون . أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥

حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها ،أاله مع الله بل هم قوم يعدلون • أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا ،أاله مع الله ، بل اكثرهم لا يعلمون •أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ، أاله مع الله ، قليلا ما تذكرون • أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ، أاله مع الله ، تعالى الله عما يشركون • أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ، أاله مع الله ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) "١" •

لقد جمعت هذه الآيات من الأدلة على وحدانية الله تعالى ما لو بحث فى تفاصيله الباحثون لظهرت فى مجلدات ضخمة من الكتب ،ولقد ساقها القرآن وجمعها لا لمجرد كونها عجيبة تبهر العقول بتناسقها ، ولكن لاثبات الوحدانية لمن خلق السموات والأرض ، وأبدع الكون والوجود •

وهذه الأمور التى وردت فى هذه الآيات ، يجدها الانسان ليلا ونهارا ، ويراها فى البر والبحر والجو ،وهى تنطق بعظمة خالقها ،وتسبح بحمده ،وترشد العقل السليم الى اثبات الوحدانية لله عز وجل •

الروح القدس فى الاسلام

كلمة "روح القدس" موجودة فى الاسلام كما هى موجودة فى المسيحية أيضا ،ولكن روح القدس فى الاسلام ، غير الروح القدس فى المسيحية ، فروح القدس فى الاسلام هو الملك المكلف بالوحى ،وبانزال الكتب على الرسل والأنبياء وهو جبريل عليه السلام ، وفى المسيحية ، هو ثالث الثلاثة من الأقانيم ، وهو كما سبق البحث حوله فى الفصل الثالث من الباب الأول ، ذات الله وشخصه "٢" أو هو الرب المحى المنبثق من الآب الذى مع الآب والابن يسجد له ويمجد الناطق بالأنبياء "٣" كما نصت على هذا أمانتهم الملحقة عام ٣٨١ م بأمانة مجمع نيقية الأول •

---

١) سورة النمل ٥٩ ــ ٦٤
٢) راجع كتاب ايمانى أو قضايا المسيحية الكبرى ص ١٨١
٣) أنظر : تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ٢٢

وروح القدس في الاسلام هو السفير بين الله وبين انبيائه على مر الأجيال وهو الذى أيد الله به المسيح عليه السلام ، وهذا اللقب اطلق على جبريل في عدة مواضع من القرآن الكريم ، ولكن الوارد فيه ، هو " روح القدس" باضافة روح " الى " القدس " وكذلك لقب جبريل في القرآن بالروح الأمين واليك بعض الآيات التى ورد فيها هذا اللقب ، قال الله تعالى :
(وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) "١" . (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا) . "٢" (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) "٣" .

هذا هو روح القدس في الاسلام ، وهو ملك من الملائكة المقربين ذ وقداسة وشرف وأمانة ، وهو الذى بشر مريم بحمل المسيح كما صرح بذلك القرآن في سورة مريم بقوله تعالى : (... فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا .... قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا) "٤"

ولعل ما ورد في الأناجيل في شخصية الروح القدس ، يؤيد كون الروح القدس فيها ملكا رسولا من قبل الله عز وجل ، لأن هذه الاناجيل أوردت هذا اللقب في مناسبات مختلفة ، مصرحة تارة باسم جبريل ، ومكتفية تارة أخرى باسم الروح القدس .

جاء في انجيل متى قوله : " أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا : لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل ان يجتمعا ، وجدت حبلى من الروح القدس" "٥"

---

١) سورة البقرة ٨٧ و ٢٥٣ . القدس في القرآن بضم الدال المهملة مخففا عند ابن كثير ، ومثقلا عند الباقين . راجع كتاب التيسير في القراءات السبع ص ٧٤ تأليف الامام ابى عمرو عثمان بن سعيد الدانى طبع باستانبول بمطبعة الدولة عام ١٩٣٠ م .
٢) سورة المائدة ١١٠
٣) سورة النحل ١٠٢
٤) سورة مريم ١٧ — ١٩
٥) متى ١ : ١٨

وفي انجيل لوقا جاء على لسان الملك الذى بشر زكريا بيحى قولــه وهو يشير الى المولود يحى : " ومن بطن أمه يمتلئ بالروح القدس " "١" كماجاء فيه أيضا قول الملك : " ••• أناجبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا " • "٢"

وجاء فيه كذلك قول كاتبه " وفى الشهر السادس أرسل جبرائيـل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجـل من بيت داود اسمه يوسف فدخل اليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعـم عليها ، الرب معك مباركة أنت فى النساء •••• وها أنت ستحبلين وتلديـن ابنا وتسمينه يسوع ••• فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعـرف رجلا ؟ فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك ••• " "٣" •

وأكتفى هنا بما ورد فى هذين الانجيلين ، لأن فى هذه النصــوص كفاية لادراك معنى الروح القدس كما دل عليه القرآن ، ولأنه لا يوجد أى تعارض بين هذه النصوص وبين المعنى الاسلامى المقصود من روح القدس •

ومما لا شك فيه أن الملك الذى بشر النبى زكريا عليه السلام هو نفســه الذى بشر مريم العذراء أيضا ، وأن الروح القدس الذى امتلأ منه يحيى فى بطن أمه ، هو الذى وجدت مريم حبلى منه ، وأن هذا الملك المبشر الذى ارسل الى زكريا ومريم ، هو جبرائيل كما نص على ذلك لوقا فى انجيله •

وعلى هذا فليس من الصواب تفسير معنى الروح القدس بالمعنى المسيحى الذى سبق بيانه فى بداية هذا المبحث •

ولو سلمنا جدلا أن معنى الروح القدس هو ماذهبوا اليه ، للزم ان يكون يوحنا الذى امتلأ بالروح القدس وهو فى بطن أمه الها وابنا لله لامتلائه

(١ لوقا ١ : ١٥

(٢ " ١ : ١٩

(٣ " ١ : ٢٦ — ٣٥

بالروح القدس الذى علمنا معناه • وكذلك لزم أن تكون اليصابات امرأة زكريا الهة لأنها امتلأت من الروح القدس حينما سلمت عليها مريم العذراء "١" •

وألوهية يوحنا وأمه وبنوتهما لله ،أمر لا يقول به المسيحيون رغم قولهم بألوهية الروح القدس "٢" ، وتفسيرهم لمعنى الروح القدس ،تفسير لا يستقيم بحال من الأحوال ، على أن المسيحيين أنفسهم ، لم يلتزموا بتفسير مستقر لمعنى الروح القدس •

يقول القس الياس مقار : " والروح القدس هو ذات الله وشخصه " "٣" •
وتقول الأمانة المسيحية " نؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب ... " "٤" •

وهذان النصان يتعارضان تعارضا بينا ، ذلك لأنه اذا كان الروح القدس هو ،ذات الله وشخصه فى النص الأول ، فيكيف يقال انه انبثق من الآب؟ وهل ينبثق الشيء من نفسه ؟

فالانبثاق يدل على أن هناك أصلا منبثقا عنه ، وفرعا منبثقا منه ،بينما تفسير القس الياس مقار يدل على أنه ليس هناك فرق بين الروح القدس ،وبين الله ، اذ يقول ان الروح القدس هو ذات الله وشخصه •

ويقول هذا القس فى موضع آخر : " ... ليس من السهل على المرء أن يتصور شخص هذا الروح كما يتصور شخص الآب أو شخص الابن .... " "٥" وهذا

---

١) لوقا ١ : ٤١
٢) وقولهم بالوهية الروح القدس هو الذى دعاهم الى تأكيد ألوهية المسيح لحلول الروح القدس فى بطن مريم وحملها منه ، وما دام القول بألوهية المسيح مبنيا على هذا فامتلاء يوحنا وامه منه لا يختلف عن هذا •
٣) ايمانى أو قضايا المسيحية الكبرى ص ١٨١
٤) تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ٢٢
٥) ايمانى أو قضايا المسيحية الكبرى ص ١٨١

الكلام منه ، لا يتفق مع تعريفه الأول لمعنى الروح القدس ،فهناك قال ان الروح القدس هو ذات الله وشخصه ، وهنا يقول : ان شخص الروح القدس غير شخص الآب ، ويرى أن من الصعب تصور شخصية الروح القدس كتصور الآب والابن •

ويقول أيضا : " أما الروح القدس فلعل من الصعب تصوره بذات السهولة واليسر سواء فى شخصه أو فى أعماله ، ومن ثم جنح الخيال القاصر الأحمق لهذه الفئة "١" المتباعدة المتناثرة فى التاريخ الى تصور أنه اله من دون الله ،أو قوة من قوى الله ،أو صفة قائمة فى شخص الله ، أو ما شبه " "٢"

ويتبين لنا من هذا الكلام أن الروح القدس ، ليس صفة قائمة بالله "٣" ،أو قوة من قوى الله ، ولكنه شخصية ليس من السهل الوصول الى تصورها •

ولا شك أن منشأ هذا الاضطراب فى ايجاد معنى مقبول للروح القدس، هو التمسك بالثالوث فى الايمان المسيحى ،والمحاولة للابقاء على عقيدة التثليث ، والا فان من السهل تصور شخصية الروح القدس تصورا واضحا جليا ، ذلك التصور هو التصور الاسلامى الذى لا يترك الأفكار حائرة فى معرفة هويته ، اذ يقطع الاسلام بأن روح القدس هو جبريل عليه السلام •

ومن تصفح الاناجيل وكتب المسيحيين الأوائل ،يجد ما يؤكد هذا المعنى والكلمة الأخيرة عن الروح القدس فى الامانة المسيحية التى اجمعوا عليها ، تدلنا على أن الروح القدس هو الناطق بالانبياء ، وهذا الناطق بالأنبياء ما هو الا جبريل عليه السلام •

ثم ان الالقاب الواردة فى المسيحية للروح القدس ، تدلنا أيضا على أنه جبريل ،ومن القابه عندهم ، روح الالهام الذى يعنى أنه روح الوحى والاعلان للانبياء والرسل وكتاب الوحى ،وفى الاسلام ان الروح القدس هو أمين الوحى الالهى •

---

١) يشير الى فرق المسيحية التى رأت أن الروح القدس غير مساو لله الآب ، كالآريوسية وأتباع ماكيدونيوس القائل بأنه قوة الله وليس شخص الله •

٢) ايمانى أوقضايا المسيحية الكبرى ص ١٨١ ـ ١٨٢

٣) ولعل علماء المسلمين الذين ناقشوا المسيحيين على ضوء أنهم يفسرون الروح القدس بصفة من الصفات ،اطلعوا على رأى هؤلاء ،وهو كما يبدو رأى غير متفق عليه بين المسيحيين •

ومن ألقابه عندهم أيضا ، روح القوة ، وهذا لقب من ألقاب جبريل فى الاسلام بلفظ مغاير للكلمة الأولى وفى سورة النجم يقول تعالى : (علمه شديد القوى • ذو مرة ••) "١" •

ومع تضافر الأدلة على أن الروح القدس المذكور فى الأناجيل هو ملك الوحي جبريل ، فان المسيحيين — ولأمر ما — أبوا ان يفسروا معناه الا بتلك التفاسير المتعارضة التى لا تمت الى الواقع بصلة ، ولو بخيط العنكبوت •

وبجانب هذه التفسيرات ، هناك تفسيرات أخرى لمعنى الروح القدس تدل على أنه صفة علم أو حياة لله ، ولكن فضلت الاقتصار على ما اطلعت عليه فى كتبهم من تفسيرات ، ولم أجد فيما وقع تحت يدى من مصادر مسيحية تفسير معنى الروح القدس بالحياة أو العلم ، ولكنى وجدت هذين المعنيين فى الكتب الاسلامية التى ناقشت المسيحيين فى معنى الروح القدس "٢" كما وجدت فى نص كلام القس الياس مقار ايراده على سبيل المعارضة لرأى من يقول من فرق المسيحية بأن الروح القدس، عبارة عن صفة قائمة فى شخص الله ، ويقول صاحب تفسير المنار : " واعلم أن أمثال الزمخشرى والبيضاوى والرازى ؟ لا يعتد بما يعرفون عن النصارى ، فانهم لم يقرأوا كتبهم ، ولم يناظروهم فيها ، وفى عقائدهم الا قليلا ، وانما يأخذون ما فى كتب المسلمين عنهم قضايا مسلمة ، ومنها ما هو مشهور فيها من تفسير الآب والابن وروح القدس بأنها الوجود والعلم والحياة • فالقول بها لا ينافى وحدانية الخالق • وكان يقول مثل هذا بعض علماء النصارى لعلماء المسلمين ، والظاهر أن بعض المتقدمين كان يعتقد هذا ، كما أنه يوجد الآن فى نصارى أوربه وغيرهم كثير من الموحدين الذين يعتقدون أن المسيح نبى رسول لا اله ، ولعله لم يبق فيها لنصارى من يقول بتلك الفلسفة لأنهم فى كل عصر يغيرون فى دينهم ما شاءوا فى فلسفته وغير فلسفته " • "٣"

---

١) سورة النجم ٥ — ٦ وفى سورة التكوير : (انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين) •

٢) انظر الجواب الصحيح لابن تيمية ج ٢ ص ١٣٠ " مطبعة المدنى " سنة ١٩٦٠ م •

٣) تفسير المنار ج ٦ ص ٣٠٧ الطبعة الرابعة سنة ١٣٨٠ هـ مطبعة القاهره •

مناقشـة مايتعلـق بالأقانيـم

يعترض بعض المسيحيين على استعمال كلمة أقنوم في العقيدة المسيحية ومستنده في ذلك ، ان كلمة الأقنوم غير واردة في الكتاب المقدس ، لذلك رأى هذا البعض الاستعاضة عنها بالتعينات أو الظهورات أو الصور ، وفي هـذا يقول القس صموئيل مشرقي راعي كنيسة الخمسينية بالقاهره :

" وجدير بالذكر أن تجد في مختلف العصور الى وقتنا هذا من يحاول الهروب من لفظة الأقانيم بحجة أنها غير كتابية ، ويجب استبدالها بغيرهـا مثل : تعينات أو صور أو ظهورات ، رغم أن هذه الألفاظ هي الأخرى غير كتابية وهذا الاستبدال الخطير يعني في حقيقة الأمر أن الاقانيم مجرد اشكال أو تجليات أو مظاهر لجوهر واحد ، وهذه هي الوحدانية المطلقة تحت قناع المسيحيـة الزائفـة " "١"

وهذا النص مع دلالته على أن كلمة الاقانيم لم تكن مقبولة لدى بعـض المسيحيين على مر العصور ، فانه قد دل ايضا على أن تلك المحاولات التـي وجدناها لدى بعض الكتاب المسيحيين في جعل الاقانيم الثلاثة جوهرا واحدا له ثلاثة جوانب ، غير مقبولة أيضا لدى البعض الآخر ، لأنه يؤدي الى الايمـان بالوحدانية المطلقة التي لا تتناسب مع عقيدة التثليث ، وهذا القول الذي ورد على لسان القس صموئيل مشرقي ، هو الخط الواضح الذي يفهم من الديانـة المسيحية التي تتخذ التثليث قاعدة كبرى لعقيدتها .

وحينما تطلق كلمة التثليث لا يفهم منها غير الاعتقاد في ثلاث ذوات تستقل كل واحدة منها عن الأخرى ، كما اتضح لنا ذلك في مبحث الروح القدس من أن هناك مرسلا ومرسلا منه وشاهدا ومشهودا له ، مما يدل على انفصام هذه الأقانيم كل واحد منها عن الآخر .

---

١) وحدة الاقانيم ص ١١ للقس صموئيل مشرقي ، القاهره ، دار الطباعة العربية عام ١٩٦٣ ت ٣٣٧٩ الى ٣٣٨٣ . دار الكتب .

ويبدو أن من يقول ان هذه الاقانيم ماهى الا صفات أو تعينات لجوهر الهى واحد ، يريد التهرب من القول بأن هناك آلهة ثلاثة ، مع اعتقاده بذلك فى حقيقة الأمر ، ولم يلجأ الذين استعملوا كلمة الأقانيم الى استعمالها الا للتعمية والتلبيس ، حتى يبقى سر العقيدة غامضا ، لايمكن أن يدور النقاش حوله .

وبالعودة الى ما قاله عوض سمعان فى هذا الصدد ، نرى أنه يقول : " أما الأقانيم فهم ذات واحدة هى ذات الله " ويقول أيضا : " اما الاقانيم ، فمع تميز أحدهم عن الآخر فى الأقنومية ، هم واحد فى الجوهر بكل صفاته وخواصه ومميزاته لأنهم ذات الله الواحد " "١" .

وهذا يعنى أن الاقانيم ليست الا صفات لذات واحده ، وكلام القس صموئيل السالف ذكره ، يدل على أن الاقانيم ليست كذلك ، لأن القول بأنها صفات لذات واحدة ، يؤدى الى القول بالوحدانية .

ان القس صموئيل لايريد أن يتناقض كلامه مع ما يعتقده ، فالتزم بما دلت عليه عقيدة التثليث ، ولو كانت الاقانيم مجرد صفات أو تعينات لذات واحدة ، لما كان هناك اختلاف بيننا وبين المسيحيين ، ولكنهم لا يتفقون على هذا القول ، كما أن القائلين بأنها صفات يرون أن هذه الصفات قد تجسدت وظهرت فى ذوات ، وانتقلت من موصوفها ، مع أن الصفات لا تنتقل عن موصوفها فضلا عن أن تتجسد ، وهذا مالا يمكن أن نتفق عليه معهم ، ثم ان الصفات الالهية أكثر من أن تحصر فى ثلاثة أقانيم ، وقد سبق ان عرضنا فى مبحث الصفات أن المسيحيين يؤمنون بأن لله صفات كثيرة ، منها الرحمة والعدل ، والحكمة والسرمدية والقدرة الخ ، وعليه فلا يصح أن تفسر هذه الاقانيم بصفات ثلاث ، بعد أن علمنا انها ذوات ثلاث ، وان صفات الله أكثر من ثلاثة ، ثم انه لو كان الأمر كما يقولون ، لماكان المسيح اولى بالبنوة من الروح القدس ، ولتساوى الاثنان فى ذلك ، ولقد ذهب أحدهم الى اكثر من هذا ، فسمى الاقانيم الثلاثة ، بالأسرة ، وهو الأب بولس الياس اليسوعى وذلك بقوله : " ليس الله اذا كائنا تائها فى الفضاء ، منعزلا فى السماء ، لكنه اسرة مؤلفة من ثلاثة تسودها المحبة ، ويفيض منها على الكون بره ، وهكذا يمكننا ان نقول ، ان كنه الله يفرض فيه التثليث " "٢"

---

١) الله ذاته ونوع وحدانيته ص١٣٢
٢) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٨٠

أين ايمانهم بأن الله غير مركب ، وهم يقولون هنا بأنه مؤلف من ثلاثة أقانيم تشكل اسرة تسودها المحبة ؟ • وأين مايصرحون به من أنهم يؤمنون باله واحد ذى ثلاثة أقانيم ؟ • ولو كانوا يؤمنون باله واحد لما كانت هناك حاجة الى القول بالثالوث •

يقول القرطبى فى رده على كتاب تثليث الوحدانية فى معرفة الله : " أما قوله تثليث الوحدانية فكلام متناقض لفظا وفاسد معنى ، بيان ذلك أن قوله تثليث الوحدانية كلام مركب من مضاف ومضاف اليه • ولا يفهم المضاف مالم يفهم المضاف اليه • فاقول ، لفظ الوحدانية مأخوذ من الوحده ، ومعناه راجع الى نفى التعدد والكثرة ، فهى اذا من أسماء السلوب ، فاذا وصفنا بها موجودا فقد نفينا عنه التعدد والكثرة • والتثليث معناه تعدد وكثرة ، فاذا اضاف هذا القائل التثليث للوحدة فكأنه قال ، تكثير ما لا يتكثر ، وتكثير ما لا يتكثر باطل بالضرورة ، فأول كلمة تكلم بها هذا السائل متناقضة وباطلة بالضرورة " "١"

ان العقيدة المسيحية فى تمسكها بالاقانيم عقيدة متداعية يدفع بعضها بعضا ، وبيان ذلك أنهم يقولون : " بحكم وحدانية الاقانيم فى الجوهر ، نؤمن بأن ما يعمله أقنوم لا يكون بالانفراد عن الاقنومين الآخرين ، وكذلك الحال مرجعها المشيئة والقدرة والفعل " "٢"

وجاء فى انجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام " انا لا اقدر أن افعل من نفسى شيئا كما اسمع أدين ودينونتى عادلة لانى لا اطلب مشيئتى بل مشيئة الأب الذى أرسلنى " "٣" •

فدل هذا النص على المغايرة بين المشيئتين ، ودفع ما قاله القس صموئيل من وحدة المشيئة ، والعمل •

---

١) الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٣ – ٤ مخطوط بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية • توحيد رقم ٢٩ وهو رد على كتاب بعث به احد النصارى من طليطلة الى مدينة قرطبة فرغ منه بالكرك المحروس سنة ٦٨٤ •

٢) وحدة الاقانيم للقس صموئيل مشرقى ص ١٦

٣) انجيل يوحنا ٥ : ٣٠

وفي انجيل متى جاء على لسان المسيح قوله مخاطبا ربه : " يا أبتاه ان امكن فلتعبر عني هذه الكاس ولكن ليس كما اريد انا بل كما تريد أنت " "١"

وفي هذا النص دليل على تغاير الارادتين ، مما يدحض القول بأن ما يحمله أقنوم لا يمكن ان يكون بالانفراد عن الاقنوم الآخر .

ثم ان العهد القديم ليس فيه ما يدل على الاقانيم لا من قريب ولا من بعيد ، بل كل ما في أسفاره تصريح بالوحدانية لا التثليث ، والمسيح عليه السلام قد صرح بأنه ما جاء لينقض الناموس ولكنه جاء ليكمل ، وليس فيما نقل عن المسيح في الأناجيل الأربعة — رغم ما بينها وبين العهد القديم من بون شاسع — ما يدل على أن في الكون ثلاثة أقانيم ، وأنه أحد تلك الاقانيم الالهية كما رأينا ذلك جليا في النصوص السابقة .

ونعود مرة أخرى الى ما قاله القس صموئيل مشرقي في الاقانيم لنقارن كلامه مع كلام غيره من المسيحيين في هذا الصدد ، يقول هذا القس :

" ... فقد ضل من حسب الاقانيم صفات مجردة أو أسماء معاني أو القابا لمراكز في الله ، لأن الاقنوم يدل على كائن حي متميز ، يوصف بالصفات الشخصية وتسند الضمائر العاقلة اليه ، ومن خصائصه العقل والارادة ، فهو يستطيع ان يتكلم عن نفسه ، ويخاطب غيره ، ومن ثم ، فقد وجدنا أن الاقنوم الواحد ، يخاطب الأقنوم الآخر ، فيتكلم معه ، وعنه ، كما يرسل الواحد منهم الآخر ، ومن المعلوم ان الصفات المجردة ، وأسماء المعاني ، والالقاب ، لا يمكن ان يخاطب بعضها بعضا ، أو يتكلم أحدها عن الآخر ، ولا أن يرسل أحدها الآخر " "٢"

ويقول عوض سمعان في الاقانيم : " أما الاقانيم فمع تميز احدهم عن الآخر في الاقنومية ، هم واحد في الجوهر بكل صفاته ، وخواصه ومميزاته ، لانهم ذات الله الواحد " "٣"

---

١) انجيل متى ٢٦ : ٣٩ .
٢) وحدة الاقانيم ص ١٢
٣) الله ذاته ونوع وحدانيته ص ١٣٢

هذان النصان بينهما من التدافع مالا يمكن معه الاعتقاد بأنهما صادران من كاتبين يدين كل واحد منهما بعقيدة الآخر .

وبيان ذلك أن النص الأول ورد فيه قول كاتبه : " ... لأن الاقنوم يدل على كائن حى متميز يوصف بالصفات الشخصية الخ .. " فدل على أن كل اقنوم متميز عن الآخر فى شخصيته ، وأنه كائن حى له من الصفات مايميزه عن الآخر ، كما نفى ان يكون الأقنوم صفة من الصفات أو اسما من أسماء المعانى ، بدليل أن كل واحد من الاقانيم يتكلم مع الآخر ، ويرسل بعضها بعضا .

والنص الثانى ورد فيه أن الاقانيم واحد فى الجوهر بكل صفاته ومميزاته ، وانها ذات الله الواحد ، فدل على أن الاقانيم صفات أو معانى لذات واحدة ، وهو أمر يخالف ظاهره باطنه ، والعقيدة ينبغى أن يتوافق فيها الظاهر مع الباطن .

واننا لنحكم بالضلال على من يزعم بأن الاقانيم صفات ومعانى ، ونوافق القس صموئيل مشرقى فى حكمه بالضلال على من يحسب الاقانيم مجرد صفات ، لما فى ذلك من تناقض صريح ، اذ لو كانت كذلك ، لما امكن أن يخاطب بعضها بعضا ، او يرسل احدهما الآخر ، والقس صموئيل رأى هذا التناقض فهرب منه ، ولكنه وقع فيما هو أوهى وأمر ، وهو القول بوجود آلهة ثلاثة فى المسيحية ، وهو أمر يفر من الوقوع فيه بقوله : " تدين المسيحية بوحدانية فريدة هى التى تجمع الثلاثة أقانيم فى جوهر واحد لاانشقاق فيه ولا تركيب ، ومن ثم ، فليس الاقانيم أشخاصا منفصلين ، والا فهم ثلاثة آلهة ، وحاشا لنا من الايمان بثلاثة آلهة " "١"

وقد رأينا فى النص الأول كيف أن القس صموئيل ذهب الى القول بأن الاقنوم كائن حى متميز ، يوصف بالصفات الشخصية ، وأن الاقانيم يرسل بعضها بعضا ، ويخاطب أحدها الآخر ، وهو كلام يدل على أن كل أقنوم منفصل عن الآخر ، وفى هذا النص يصرح بخلاف ذلك اذ يقول : " فليس الاقانيم اشخاصا منفصلين الخ " وذلك

---

١) وحدة الاقانيم ص ١٣

هربا من القول بآلهة ثلاثة ، وهو أمر لا مناص منه مهما حاول المسيحيون التهرب منه ، وسواء فى ذلك القول بأن الاقانيم صفات ، لأن الصفات لا تنتقل من الموصوف ، ولا يخاطب بعضها البعض ، ولا يرسل أحدها الآخر ، أو انها ذوات ينفصل بعضها عن البعض ، فان النتيجة التى يوصل القولان اليها واحدة ، وهى الشرك بالله تعالى •

(البـــاب الثالـث)

المســيح كما يتصوره المسيحيون ووصفته الأناجيل - ويتنــاول البحث فـي هــذا البــاب أربعـــة فصـــول :

الفصــل الأول :

* تمهيــد .
* الحمل بالمسيح عليــه الســلام .
* ولادتــــه .
* نشأتـــــه .
* صفاته كما وردت في الأناجيــل .

تمهيـــد :

كان اليهود يعتقدون بأن فى آخر الزمان نبيا يبعث فى بنى اسرائيل يدعـــى مسيحا ، وكانوا يرون أن ذلك المسيح المنتظر سيكون ملكا على بنى اسرائيـــل ، فقد وردت الاشارات الى ذلك فى أسفار العهد القديم .

ومما جاء فيها ما ورد فى سفـر التثنية " يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطـك من اخوتك مثلى له تسمعون " (١) . *

ولا يزال اليهود ينتظرون ذلك المسيح ، ويرون فى مجيئه خلاصا لهم وتحريـرا من الامم التى تستبد بهم وتستعبدهم ،

يقول القس منيس عبد النور : " كان اليهود ينتظرون مجئ المسيح ... وكان انتظارهم للمسيح انتظارا ماديا . كان معظمهم يظنون أن المسيح سيحرر بلادهـم ويجعل أورشليم عاصمة العالم كله ، ويجعلهم يعيشون فى خير كثير ومال وفيـر .... ولا زال اليهود ينتظرون مجئ المسيـح " (٢) .

وجاء المسيح عليه السلام ، ولكنه لم يكن ملكا وانما كان رسولا الى بنى اسرائيـل يدعوهم الى عبادة الله وحده لا شـريك له ، ولما جاءهم بهذه الصفة التى لـــم تتفق مع رغباتهم السياسية ، كفروا به ، وقاوموا دعوته مقاومة أدت الى اختفائه فـــى آخـــر الأمـــر ، وسيتضح لنا فى المباحث التالية ما يتعلق بذلك كله على ضـــوء ما ورد فى الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم والتى تعتبر المصدر الأول فـــى الحديث عن المسيح منذ حمله وحتى اختفائه مقتولا على الصليب ، كما يـــرى المسيحيون .

---

* وفى رسالة أعمال الرسل يقول كاتبها : " هذا هو موسى الذى قال لبنى .... اسرائيل نبيا مثلى سيقيم لكم الرب الهكم من اخوتكم له تسمعون " (اعمـــال ٧ : ٣٧) وهذا النص والذى فى سفـر التثنية يدلان على رسالة محمد صلـــى الله عليه وسلم وبشارة موسى به وذلك لقوله مخاطبا لبنى اسرائيل : نبيا مثلى سيقيم لكم الرب الهكم من اخوتكم " واخوة بنى اسرائيل هم العرب.

(١) سفـر التثنية ١٨ : ١٥ (٢) ألقاب المسيح ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ .

وسأكتفى فى عرض ما يتعلق بحمل المسيح وولادته بالنصوص الواردة فى الأناجيل ، وذلك لأولويتها وكونها المصدر الأول من مصادر المسيحية التى ذكرت القصص التفصيلية لحمل المسيح وولادته .

الحمل بالمسيح :

تحدثت الأناجيل الاربعة عن المسيح كثيرا فى جميع شئونه ، ولم تترك شيئا مما حصل منه أو حصل له الا وتحدثت عنه ، وكان حديثها عنه يتسم بالاتفاق تارة وبالاختلاف تارة أخرى ، كما انفرد بعضها بالحديث عن بعض الامور دون بعض وكان حديث الاناجيل عن حمل المسيح وولادته حديثا لم تتفق على ايراده .

فقد وردت قصة حمل المسيح وولادته فى انجيلين ، هما انجيل متى ولوقا ، وهنا يمكن أن نجد الاتفاق أو الاختلاف بين رواية الانجيلين فى حديثهما عن قصة واحدة ، وهى قصة حمل المسيح وولادته وما صحب ذلك من أمور .

استفتح متى انجيله بذكر نسب المسيح فنسبه الى يوسف بن يعقوب بن متان الذى تذكر المصادر المسيحية أنه تزوج مريم عليها السلام ، وقال فى ذلك :

" كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن ابراهيم ابراهيم ولد اسحاق واسحاق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا واخوته ..." الى أن قال : —

" واليعازر ولد متان ومتان ولد يعقوب ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح " (١)

أما لوقا فقد ذكر للمسيح نسبا آخر اذ يقول : " ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنه وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالى بن متثات بن لاوى بن ملكى الخ " (٢) فأوصل نسبه الى آدم . وأول خلاف يلاحظ هنا ، نسبة يوسف فى متى الى يعقوب وفى لوقا الى هالى وقد أورد ذلك متى على سبيل الجزم ، ولكن لوقا ذكره بصيغة التمريض والشك ، وكأن نسب المسيح آنذاك لم يكن واضحا .

---

(١) متى ١ : ١ـ١٦
(٢) لوقا ٣ : ٢٣ـ٢٤

وأما قصة حمله فقد وردت فى كلا الانجيلين أيضا ولكن متى تحدث عن ذلك ـ بايجاز ، ولم يذكر بعض الامور التى ذكرها لوقا فى حديثه الطويل عن قصة حمل المسيح ، وقال متى بعد ذكره لنسب المسيح كما فى النص السابق : " أما ولادة يسوع المسيح ، فكانت هكذا ، لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف ، قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس ، فيوسف رجلها اذ كان بارا ـ ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا ، ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور اذ ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لان الذى حبل به فيها هو من الروح القدس ، فستلد ابنا وتدعوا اسمه يسوع لانه يخلص شعبه من خطاياهم ... ولما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب ، وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ، ودعا اسمه يسوع " (١)

أما لوقا فقد أورد هذه القصة بعد أن مهد لها بذكر قصة تفصيلية عن زكريا عليه السلام وامرأته اليصابات ، وأنهما كانا متقدمين فى السن ولم يرزقا ولدا ، وأن ملاك الرب وهو جبريل بشر زكريا بولد اسمه يوحنا ، وأن زكريا تعجب من ذلك لكبر سنه وسن زوجته ، وأن الله ابتلاه بالصمت بسبب ذلك ،وأن امرأته حملت بيوحنا من ذلك اليوم ، ثم بدأ يذكر قصة حمل المسيح قائلا :

" وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم فدخل اليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها ، ـ الرب معك ، مباركة أنت فى النساء ، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية ، فقال لها الملاك : لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ، ويعطيه الرب كرسى داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية " (٢)

(١) متى ١ : ١٨ ـ ٢١ و ٢٤
(٢) لوقا ١ : ٢٦ ـ ٣٢ ويلاحظ هنا أن المسيح يعطى كرسى داود أبيه وهو وعد لم يتحقق مما يدل على أن هذا الكلام موضوع اذ لو كان وعدا الهيا لتحقق وتفسير الملك المذكور هنا بأنه ملك معنوى هرب من التناقض الى تناقض آخر وهو أن داود ملك ملكا حسيا وكون المسيح يعطى كرسيه يدل على أن المراد بالملك الموعود هنا هو الملك الحسى لا المعنوى .

ثم ذكر لوقا كيف أن مريم استبعدت حدوث الحمل مع أنها لم تخالط رجلا قط ، وقال :

" فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا ، فأجاب الملاك وقال لها ، الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك ، فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله ، وهوذا اليصابات نسيبتك هي أيضا حبلى بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله ، فقالت مريم ، هوذا أنا أمة الرب ليكن لي كقولك فمضى من عندها الملاك فقامت مريم في تلك الأيام وذهبت بسرعة الى الجبال الى مدينة يهوذا ودخلت بيت زكريا وسلمت على اليصابات فلما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها وامتلأت اليصابات من الروح القدس وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي الي ، فهوذا حين صار صوت سلامك في أذني ارتكض الجنين بابتهاج في بطني " (١)

هذه قصة حمل المسيح كما رواها لوقا وهي قصة مستفيضة ليس في انجيل متى ما يضاهيها سواء من الناحية التفصيلية ، أو الطريقة التي تم ذكر القصة بها حيث ربط بين قصتين عجيبتين ، هما ، قصة حمل المرأة العاقر وهي في شيخوختها من زوج بلغ من الكبر عتيا ، وقصة حمل العذراء من الروح القدس ، وقد ربط بين القصتين ربطا زمانيا ومكانيا ، فذكر أن مريم حملت بالمسيح بعد ستة أشهر من حمل أمرأة زكريا بيوحنا ، كما ذكر أن حمل مريم بالمسيح كان في الجليل بمدينة اسمها ناصرة ، وأن زكريا وامرأته كانا يقيمان في مدينة يهوذا عند حمل اليصابات بيوحنا ، وهذه التفاصيل ليس لها وجود في انجيل متى كما سبق بيان رواية متى لقصة حمل المسيح .

---

(١) لوقا ١ : ٢٤ ـ ٤٥

ولادتـــــه

أما ولادة المسيح فقد ذكرها متى على النحو التالى :

" ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك ، اذا مجوس من المشرق قد جاءوا الى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود فاننـــا رأينا نجمــه فى المشرق وأتينا لنسجـــد له ، فلما سمع هيرودس الملك اضطرب ـ وجميع أورشليم معه فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولـــد المسيح ، فقالوا له فى بيت لحم اليهوديـــة ،لانه هكذا مكتوب بالنبى وأنـــت يا بيت لحم أرض يهوذ لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لان منك يخـــرج مدبـــر يرعى شعبى اسرائيـــل " . (١)

ثم ذكر متى أن هيرودس الملك دعا المجوس سرا وعلم منهم زمان النجم الـــذى شاهدوه وأرسلهم الى بيت لحم ليتأكدوا من وجود صاحب النجم بها فيخبـــروه ليسجـــد له هو أيضـــا ، وأن المجوس انطلقوا الى بيت لحم حيث يتقدمهم النجـم الذى شاهدوه حتـــى وقف فوق مكان الصبى ،وأنهم فرحوا برؤية النجم فرحـــا عظيما ، وأتوا الى البيت ورأوا الصبى مع أمه فسجدوا له ، وقدموا له هدايـــا ذهبا ولبنا ومـــرا ، ثم ذكر متى أنهم أوحى اليهم فى الحلم بأن لا يرجعوا الـــى الملك هيرودس وأمروا بالانصــــراف الى بلادهم . (٢)

هذه خلاصة رواية متى لولادة المسيح عليه السلام وهى لا تتفق مع رواية لوقـــا التى سأذكرها فيما سيأتى .

يقول لوقا فى روايته لقصة ولادة المسيح بعد أن ذكر أن يوسف صعد مـــن مدينة الناصرة الى اليهودية مع أمرأته المخطوبة مريم وهى حبلى .

" وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد ، فولدت ابنها البكر وقمطته واضجعته فى المذود اذ لم يكن لهما موضع فى المنزل ، وكان فى تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم ، واذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهـــم

---

(١) متى ٢ : ١ ـ ٦

(٢) أنظـر متى ٢ : ٧ ـ ١٢

فخافوا خوفا عظيما فقال لهم الملاك لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم ، انه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب ، وهذه لكم العلامة تجدون طفلا مقمطا مضجعا فى مذود ، وذهب بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين ، المجد لله فى الأعالى وعلى الارض السلام ، وبالناس المسرة ، ولما مضت عنهم الملائكة الى السماء ، قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض ، لنذهب الان الى بيت لحم وننظر هذا الامر الواقع الذى أعلمنا به الرب ، فجاءوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعا فى المذود ، فلما رأوه ، أخبروا بالكلام الذى قيل لهم عن هذا الصبى ، وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة" . (١)

هذه رواية لوقا لقصة ولادة المسيح عليه السلام ، وكما بدا واضحا ، فان لوقا ومتى اختلفا فى ذكر بعض الأمور .

من ذلك أن متى انفرد بذكر قصة المجوس ، ولم يرد فى انجيل لوقا ذكر لها .

ومنها أن لوقا انفرد بذكر قصة الرعاة مع أن متى لم يذكرها فى انجيله . واذا نظرنا الى قصة المجوس ، فاننا نجد فى روايتها مالايتفق وواقع المسيح ، ذلك أنه ورد فيها أن المجوس قالوا " أين هو المولود ملك اليهود " . ولم يكن المسيح ملكا لليهود ولو ساعة من نهار مما يشكك فى صحة وقوع القصة المجوسية على الصورة التى رويت بها فى انجيل متى .

---

(١) لوقا ٢ : ٦ ـ ١٨ .

نشأة المسيـح عليـــه السـلام

ان الكلام عن نشأة المسيح عليه السلام ، قاصر على انجيل لوقا ومتى من بين الأناجيل الأربعة ، اذ ليس فى انجيل مرقس وانجيل يوحنا ذكر لنشأته عليــه السلام.

وبناء عليه ، فاننا سنعتمد فى كلامنا عن نشأة المسيح عليه السلام على ما ورد فى انجيلى متى ولوقـا .

يذكر متى بعد أن أنتهى من ذكر قصة المجوس التى سبق عرضها ، أن هيرودس الملك غضب ، ورأى أن المجوس سخروا منه لعدم اخبارهم اياه بموضع الصبى ،حيث عادوا الى بلادهم خفية ، فأرسل الى بيت لحم وقتل جميع الصبيان الذين فيها وفى تخومها ابتداء من ابن سنتين فما دونه ،وقبل ذلك ذكر متى أن ملاك الرب ظهر ليوسف فى حلم بعد انصراف المجوس فقال له :

" قم وخذ الصبى وأمه واهرب الى مصر وكن هناك حتى أقول لك ، لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه ، فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف الى مصــــر ، وكان هناك الى وفاة هيرودس " (١)

ثم ذكر متى أن ملاك الرب ظهر ليوسف فى الحلم مرة ثانية وهو فى مصر فأخبره بوفاة هيرودس ، وأمره بالعودة بالصبى من مصر ، فعاد يوسف بالصبى وأمه ، وانصرف الى نواحى الجليل ، وسكن مدينة الناصرة . ولم يذكر متى كم كانت مدة اقامـــة المسيح بمصر ، وان كانت بعض المصادر ذكرت ،أن تلك المدة كانت نحو سبع سنين (٢)

وهنا يقف متى فى حديثه عن طفولة المسيح وأخبار نشأته ، ويبدأ بذكر اعتماد المسيح على يد يوحنا المعمدان وهذه القصة مما انفرد بها متى أيضا ، اذ انها لم ترد فى بقية الأناجيـل .

---

(١) متى ٢ : ١٣ — ١٤

(٢) راجع الفصل العاشر من انجيل برنابا الآية ٣ المطبوع بمطبعة محمد علــى صبيح بالقاهرة سنة ١٩٥٨ م ترجمة الدكتور خليل سعادة.

ومع أن متى ذكر هذه القصة وعقبها بقصة اعتماد المسيح على يد يوحنا ، فانـه لم يذكر شيئا عن الفترة التى تخللت عودة المسيح من مصر واعتماده من يوحنا ، ولـم تكن الفترة وجيزة تستحق الاغفال لانهـا أكثر من عشـرين عاما ، وكان عمر المسيـح ثلاثين عاما عند اعتماده وسبعة عند عودته من مصـر .

أما لوقا ، فقد أورد رواية أخرى عن نشأة المسيح حيث يقول بعد روايته لقصتـه الرعاة التى سبق عرضها :

" ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبى ، سمى يسوع كما تسمى من الملاك قبـل أن حبل به فى البطن ، ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا به الـى أورشليم ليقدموه للرب ، كما هو مكتوب فى ناموس الرب أن كل ذكر فاتح رحم يدعـى قدوسا للرب " (١)

ثم ذكر لوقا أن رجلا اسمه سمعان كان بأورشليم ، وهو رجل تقى بار ، كان قـد أوحى اليه أنه لن يموت حتى يرى مسيح الرب ، وقد حضر هذا الرجل بوحى مـن الروح الى الهيكل ، وعندما دخل بالصبى الى الهيكل ليصنع به حسب عادة الناموس أخذه ذلك الرجل على ذراعيه وبارك الله وقال " الآن تطلق عبدك يا سيد حسـب قولك بسلام لأن عينى قد أبصرتا خلاصك الذى أعدته قدام وجه جميع الشعوب ، نور اعلان للأمم ومجدا لشعبك اسرائيل " (٢)

وذكر لوقا أن يوسف ومريم كانا يتعجبان مما قيل فى الصبى ، ثم ان سمعان بارك يوسف ومريم ، وقال لمريم ، " ها ان هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين فى اسرائيل" (٣) وذكر أيضا أنه كانت فى الهيكل امرأة اسمها حنة وهى نبية متقدمة فى السن تتعبـد فى الهيكل منذ أربع وثمانين سنة ولم تفارقه وكانت فى تلك الساعة : وقفت تسبـح الرب وتتكلم عن الصبى مع جميع المنتظرين فداء فى أورشليم ، وقال :

" ولما أكملوا كل شىء حسب ناموس الرب رجعوا الى الجليل الى مدينتهم الناصرة وكان الصبى ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة وكانت نعمة الله عليه ، وكان أبواه يذهبان كل سنة الى أورشليم فى عيد الفصح ، ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا الى أورشليم كعادة العيد " (٤)

---

(١) لوقا ٢ : ٢١ — ٢٣ (٢) لوقا ٢ : ٢٩ — ٣٢ (٣) لوقا ٢ : ٣٤
(٤) = ٢ : ٣٩ — ٤٢ .

ويروى لوقا أن الصبى يسوع بقى فى أورشليم بغير علم من أبويه عند صعوده اليها معهما ، وكانا يظنان أنه مع الرفقة ولم يفتقداه الا بعد مسيرة يوم ، وبعد بحث طويل عنه بين الأقرباء والمعارف عادا الى أورشليم فوجداه بعد ثلاثة أيام جالسا فى وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم حتى تعجب الحاضرون من فهمه وأجوبته واندهش والده عند مشاهدته هناك ، وعاتبته أمه على غيابه ذلك بتلك الطريقة قائلة له ،

" يا بنى لماذا فعلت بنا هكذا هوذا أبوك وأنا كنا نطلب معذبين فقال لهما لماذا كنتما تطلبانني ، ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فيما لأبى ، فلم يفهما الكلام الذى قاله لهما ، ثم نزل معهما وجاء الى الناصرة ، وكان خاضعا لهما ، وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور فى قلبها ، وأما يسوع ، فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس " (١)

وبهذا ينتهى لوقا من روايته عن نشأة المسيح ، ويبدأ بالحديث عن دعوة يوحنا ابن زكريا وبشارته بالمسيح ، وتعميده للناس ، ودعوتهم الى التوبة ، ثم ينتهى لوقا بالحديث عن لقائه للمسيح وتعميده اياه مع جميع الشعب فيقول ،

" ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا واذ كان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة ، وكان صوت من السماء قائلا ، أنت ابنى الحبيب بك سررت " (٢)

ويذكر لوقا أن يوحنا بن زكريا كانت دعوته فى السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر ، كما يذكر أن يوحنا قد سجن ، وأن المسيح بدأ بالدعوة فيما بعد .

ويتفق مع لوقا فى ذكر قصة تعميد يوحنا للمسيح مرقس وقد بدأ انجيله بذكر بشارة يوحنا وتعميده للمسيح ، يقول مرقس :

" كان يوحنا يعمد فى البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا ، وخرج اليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم واعتمدوا جميعهم منه فى نهر الأردن معترفين

---

(١) لوقا ٢ : ٤٨ ـ ٥٢
(٢) = ٣ : ٢١ ـ ٢٢

بخطاياهم ... وكان يكرز قائلا ، يأتى بعدى من هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أنحنى وأحل سيور حذائه ،أنا عمدتكم بالماء ، وأما هو ، فسيعمدكم بالروح القدس ، وفى تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا فى الأردن ، وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلا عليه وكان صوت من السموات ، أنت ابنى الحبيب الذى به سررت " (١)

وبعد ذكر مرقس لهذه القصة ، أورد أن يوحنا قد أسلم ، وأن المسيح خرج الى البرية وبقى بها أربعين يوما مع الوحوش يجرب من الشيطان ، والملائكة تخدمه ،ثم بدأ الحديث عن دعوته .

وقد اتفق متى مع لوقا ومرقس فى ذكر قصة يوحنا وتعميده للناس والمسيح حيث قال بعد ذكر دعوته للناس الى التوبة ،

" أنا أعمدكم بماء للتوبة ، ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه ، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار ... حينئذ جاء يسوع من الجليل الى الأردن الى يوحنا ليعتمد منه ، ولكن يوحنا منعه قائلا : أنا محتاج أن اعتمد منك وأنت تأتى الى ؟ فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر ، حينئذ سمح له فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء واذا السموات قد انفتحت له ، فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه وصوت من السموات قائلا ، هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت " (٢)

وعقب متى بعد ذلك بالحديث عن خروج المسيح الى البرية وصومه بها أربعين يوما وتجربة الشيطان له ، كما ذكر أن يوحنا قد أسلم بعد ذلك ، وذكر متى أن المسيح حينما علم بأن يوحنا قد قبض عليه خرج من الجليل وترك الناصرة ، فسكن كفرنا حوم على ساحل البحر ، ثم عقب ذلك بالحديث عن بدء دعوة المسيح الى التوبة قائلا :

" من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات" (٣)

---

(١) مرقس ١ : ٤ـ ١١
(٢) متى ٣ : ١١ـ ١٧
(٣) متى ٤ : ١٧

أما انجيل يوحنا ، فقد خلا من ذكر قصة تعميد يوحنا للمسيح بطريقة واضحة مباشرة الا أنه ذكر أن المسيح لقى يوحنا وحينما شاهد يوحنا المسيح مقبلا اليه قال ،

" هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعدى رجل صار قدامى لأنه كان قبلى ، وأنا لم أكن أعرفه لكن ليظهر لاسرائيل لذلك جئت أعمد بالماء" (١) وشهد يوحنا قائلا انى قد رأيت الروح نازلا مثل حمامة فاستقر عليه ، وأنا لم أكن أعرفه ، لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء ذاك قال لى الذى ترى الروح نازلا ومستقرا عليه ، فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس ، وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله " (٢)

وكما يظهر من هذا النص ، فان حديث يوحنا كاتب الانجيل عن تعميد يوحنا للمسيح غير صريح ومع ذلك فمن الممكن القول ان المسيح قد اعتمد من يوحنا استنباطا من هذا النص بطريقة غير مباشرة ، ولكن الذى يلاحظ فى هذا الانجيل ، أن كاتبه لم يذكر خروج المسيح الى البرية وبقاءه بها أربعين يوما مع الوحوش يجرب من الشيطان .

وعلى كل حال ، فان الاختلاف بين كتاب الأناجيل فى حديثهم عن نشأة المسيح واقع لا محالة ، فقد اتضح لنا ذلك من النصوص التى سبق عرضها .

ويجدر بى أن ألاحظ هنا ، أن متى ومرقس ولوقا قد اتفقوا على أن صوتا من السماء قال مخاطبا للمسيح ، " أنت ابنى الحبيب الخ " الا أن لوقا روى قوله ، " بك سررت " ، ومرقس روى قوله : " الذى به سررت " ، كما أورد متى ذلك بقوله : " هذا هو ابني الحبيب الذى به سررت " وكلهم ــ كما يبدو من النصوص ، قد اتفقوا على أن القائل لذلك الكلام ، هو صوت من السماء .

ولكن يوحنا يخالفهم ويذكر أن يوحنا أخبر بأن الروح الذى أرسله ليعمد بالماء قال له ، ان الذى ترى الروح نازلا عليه ، هو الذى يعمد بالروح القدس ، ثم شهد يوحنا قائلا :

" وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله "

---

(١) فى كلامه هذا احتمال أن يكون المسيح هو المقصود بالتعميد كما يحتمل أن يكون تعميدا عاما .

(٢) يوحنا ١ : ٣٠ ــ ٣٤ .

وقد سبق عرض هذا النص بطوله ، وتبين لنا من خلال عرضه أن الذى رأى الروح على شكل حمامة نازلا على المسيح ومستقرا عليه ، هو يوحنا ، وبناء على ما شاهده من نزول الروح عليه شهد يوحنا بأن المسيح ، هو ابن الله.

أما الأناجيل الأخرى فقد ذكرت ، أن الصوت هو القائل بأن المسيح ابن الله وأن الذى رأى الروح نازلا هو المسيح ، غير أن لوقا لم يذكر من الذى رأى الروح نازلا على المسيح ، واكتفى بقوله ،" واذا كان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسيمة مثل حمامة " الا أنه انفرد أيضا بقوله : ان الروح نزل عليه وهو يصلى ، مع أن متى ومرقس ذكرا أن الروح نزل عليه وهو صاعد من الماء بعد تعميده ، أما يوحنا فلم يبين فى روايته متى شاهد يوحنا بن زكريا الروح نازلا على المسيح ، أقبل الاعتماد ، أم بعده وهو صاعد ، أو هو يصلى.

وعلى كل ، فالاختلاف بين كتبة الأناجيل واقع فى هذه القصة ، كما تبين لنا اختلافهم فى قصص أخرى سبق أن أشرنا الى ذلك فى مواضعها . (١)

ثم ان متى خالف أصحاب الأناجيل الثلاثة بذكره قصة هرب المسيح الى مصر ، كما سبق أن بينا ذلك ، وفى روايته لتلك القصة ، ذكر متى أن المسيح عاد من مصر بعد أن مات هيرودس الملك بأمر من الملاك الذى ظهر ليوسف فى الحلم وأخبره بهلاك الذين يطلبون الصبى . ولم يذكر متى الذى انفرد بذكر رحيل المسيح الى مصر ، كم كانت المدة الفاصلة بين عودة المسيح من مصر ، وبين اعتماده على يد يوحنا المعمدان ، أو كيف كانت حياة المسيح من عودته حتى اعتماده مع أن المسيح لم يعتمد من يوحنا الا عندما كان عمره ثلاثين عاما ، كما أشار الى ذلك لوقا فى انجيله قائلا : " ولما ابتدأ يسوع ، كان له نحو ثلاثين سنة " (٢) . ويؤيد برنابا هذا القول فى الفصل العاشر من انجيله.

---

(١) ولكننا نجد فى الأنجيل المنسوب الى برنابا كل هذه الروايات مجتمعة ، كما ذكرتها بقية الأناجيل ، وذلك ابتداء بقصة الرعاة فالمجوس ، وحتى رحيل المسيح الى مصر وعودته منها وهو ابن سبع سنين.

(٢) لوقا ٣ : ٢٣ .

صفات المسيح كما وردت في الأناجيل

ان ابرز صفات المسيح لدى المسيحيين هى صفة الألوهية ، وقد سبق أن تكلمنا عن تلك الصفة وأدلتها عند المسيحيين وناقشناها بعقد المقارنة بينها وبين صفات أخرى للمسيح وردت عن المسيحيين فى كتب العقيدة . وذلك فى فصول الباب الأول .

وما دمنا قد ناقشنا تلك الصفة وأدلتها فى ذلك الباب ، فلا حاجة لاعادتها ، ولكننا نكتب هنا عن صفات المسيح الواردة فى الأناجيل الأربعة وهى الصفات التى ـ تمكن كل قارئ وباحث من الحكم على شخصية المسيح بغض النظر عن الاعتقاد العام لدى المسيحيين فى المسيح ، وصفات المسيح الواردة فى الأناجيل ، جلها من صفات الأنبياء .

وكما سبقت الاشارة هنا الى أن أبرز صفات المسيح لدى المسيحيين هى صفة الألوهية ، فان أبرز صفاته فى الأناجيل الأربعة ، هى الانسانية المحضة ، وقد بينت تلك النصوص الواردة فى الأناجيل التى ذكرت على لسان المسيح ووصفته بأنه ابن الانسان فى أكثر من ثمانين موضعا منها ، وذلك فى الفصل الثالث من الباب الأول ، وحيث أننا قد ذكرنا ذلك على سبيل الاجمال فى الباب المذكور ، فاننا نرى من المستحسن ايراد بعض تلك النصوص على سبيل المثال لا على سبيل الاستيعاب واليك بعض تلك النصوص :

جاء فى انجيل متى قوله : " ولما جاء يسوع الى نواحى قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلا : من يقول الناس انى أنا ابن الانسان فقالوا : قوم يوحنا المعمدان وآخرون ايليا وآخرون ارميا أو واحد من الأنبياء " (١)

وصفات المسيح الواردة فى الأناجيل الأربعة تنقسم الى قسمين :

١ـ قسم أطلقه المسيح على نفسه فى مواضع كثيرة فيها .

٢ـ وقسم آخر أطلقه عليه الناس فى عصره فى مناسبات مختلفة .

ومن القسم الأول : صفة الرسالة : وهى صفة أطلقها المسيح على نفسه كثيرا وما جاء فى الأناجيل من هذه الصفة قول المسيح عليه السلام : " من يقبلكم يقبلنى

---

(١) متى ١٠ ـ ٤٠

ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى " (١) .

وجاء فى انجيل متى أيضا قوله عليه السلام " ... لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة " (٢) .

وفى انجيل مرقس جاء قوله عليه السلام : " ... ومن قبلنى فليس يقبلنى أنا بل الذى أرسلنى " (٣) .

وورد فى انجيل لوقا قوله : " ... انه ينبغى لى أن أبشر المدن الأخر أيضا بملكوت الله لأنى لهذا قد أرسلت فكان يكرز فى مجامع الجليل " (٤) .

وفيه أيضا يقول المسيح : " ... والذى يرذلنى يرذل الذى أرسلنى " (٥) .

وفى انجيل يوحنا يقول عليه السلام : " الحق الحق أقول لكم ان الذى يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية " (٦) .

وجاء فيه أيضا أن المسيح عليه السلام صعد الى الهيكل وعلم فتعجب اليهود من تعليمه قائلين كيف يعرف الكتب وهو لم يقرأها ؟ فأجابهم قائلا : " تعليمى ليس لى بل للذى أرسلنى " (٧) .

هذه هى النصوص الواردة فى الأناجيل الأربعة على لسان المسيح ، وهى ترينا صفة من صفاته البارزة التى يمتاز بها المسيح عليه السلام على سائر الناس ، ويشاركه فيها بقية اخوانه من الرسل عليهم الصلاة والسلام .

ففى النص الأول من انجيل متى يتضح أن المسيح ربط بينه وبين تلاميذه من جهة وربط بينه وبين مرسله من جهة أخرى ، فكما أن من يقبل تلاميذ المسيح كمن قبل المسيح نفسه ، فان من يقبل تعليمات المسيح ورسالته ، كمن يقبل مرسله وهو الله عز وجل ، لانه هو الذى أرسل المسيح ، ولم يأت المسيح بشئ من عنده

وفى النص الثانى ذكر المسيح أيضا أنه رسول وأن رسالته خاصة ببنى اسرائيل .

والنص الوارد فى انجيل مرقس يثبت صفة الرسالة للمسيح عليه السلام ، وهو يؤكد المعنى الوارد فى النص الأول من انجيل متى حيث ذكر عليه السلام أن من يقبله لا يقبله بل يقبل الذى أرسله لان الرسالة من عنده عز وجل والمسيح مجرد واسطة تبلغ رسالة الله .

وفى انجيل لوقا يذكر عليه السلام أنه ينبغى أن يبلغ رسالة الله الى مدن أخرلم

---

(١) متى ١٠ : ٤٠ (٢) متى ١٥ : ٢٤ (٣) مرقس ٩ : ٣٧ (٤) لوقا ٤ : ٤٣
(٥) لوقا ١٠ : ١٦ (٦) يوحنا ٥ : ٢٤ (٧) يوحنا ٧ : ١٦

يبلغها لأنه أرسل من عند الله لأجل ابلاغ الرسالة الى تلك المدن .

وفى النص الأول الوارد فى انجيل يوحنا يؤكد المسيح أنه رسول من عند الله فيذكر أن من يقبل كلامه ويؤمن بالذى أرسله فله حياة أبدية . وفى النص الثانى يقول عليه السلام ان ما ينشره بين الناس من تعليم ليس له ، وانما هو للذى أرسله .

وهذه النصوص الواردة على لسان المسيح تثبت أن المسيح رسول من قبل الله عز وجل وأنه لم يأت بشىء من عنده بل كل ما يدعو اليه ويعلمه هو من عند الله الذى أرسله . وهذه صفة الرسالة وهى تعتبر من أبرز صفاته عليه السلام .

وكما جاءت صفة الرسالة على لسانه فى الأناجيل الأربعة ، جاءت أيضا صفة النبوة على لسانه . يقول المسيح عليه السلام وهو يرد على من استخف به من اليهود حينما علمهم فى مجمعهم قائلين من أين لهذا هذه الحكمة والقواة : " ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وفى بيته " (١) .

وجاء فى انجيل مرقس قوله عليه السلام : " ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وبين اقربائه وفى بيته " (٢) .

وفى انجيل لوقا يقول عليه السلام : " بل ينبغى أن أسير اليوم وغدا وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبى خارجا عن أورشليم " (٣) .

فدلت هذه النصوص على أن المسيح نبى كسائر أنبياء الله ، ذلك لأنه عليه السلام يرد على من سخر به من اليهود بذكر سنن الأمم مع أنبيائهم حيث كانوا لا يكرمون نبيا من أنفسهم بل يهزأون ويسخرون منه مصداقا لقول الله عز وجل : (وكم أرسلنا من نبى فى الأولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزئون) (٤) .
والله عز وجل ما أرسل من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ما أرسل به اليهم ، والأمم كذلك ما جاءهم من رسول الا كانوا به يستهزئون ، وهذا ما حصل للمسيح من بنى اسرائيل ولذلك قال لهم المسيح عليه السلام : " ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وفى بيته " .

---

(١) متى ١٣ : ٥٧ (٢) مرقس ٦ : ٤ (٣) لوقا ١٣ : ٣٣
(٤) سورة الزخرف ٦ ـ ٧ .

وتستخلص من هذه النصوص أن المسيح عليه السلام له صفة النبوة ، وأنه نبى من الأنبياء له مالهم من فضل ، وعليه ما عليهم من واجب التبليغ وتبعاته من تكذيب واستهزاء ممن أرسل اليهم.

ومما وصف به المسيح نفسه ، الانسانية :-

والانسانية من الصفات الواردة على لسان المسيح عليه السلام وهو يصف بها نفسه فى مواضع عديدة من الأناجيل الأربعة ، وقد ذكرنا فيما سبق أن المسيح عليه السلام لقب نفسه بابن الانسان فى أكثر من ثمانين موضعا من الأناجيل الأربعة ، ولا بأس من أن نذكر هنا بعض النصوص الواردة فى ذلك. يقول المسيح عليه السلام:

" ... للثعالب أوجرة (٢) ولطيور السماء أوكار وأما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه (١) وقال : " من يقول الناس انى أنا ابن الانسان" (٢) — وقال أيضا : " جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون هوذا انسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة ، والحكمة تبررت من جميع بنيها " (٣)

هذه نماذج من النصوص التى أطلق فيها المسيح على نفسه كلمة ابن الانسان وهى تؤكد الصفة الانسانية للمسيح وكونه عليه السلام يحب هذا اللقب أكثر من أى لقب آخر ، دليل على بشريته المحضة وبنوته للانسان فقط .

والمسيحيون يرون أن المسيح أعظم من نبى ، ولذلك يقول القس منيس عبد النور فى كتابه ألقاب المسيح : " وتحدث بعض الناس عن المسيح بأنه نبى ، لأنهم رأوا عظمته ، لكنهم لم يدركوا أنه أعظم من كل الأنبياء ، فقد رأى الناس عظمته عندما أقام ابن أرملة نايين من الأموات ، فقالوا " قام بيننا نبى عظيم" ، وعندما سأل المسيح تلاميذه عن كلام الناس عنه ، قالوا ان الناس يقولون انه واحد من الانبياء وعندما دخل المسيح أورشليم دخول المنتصر هتف له الناس ، وسأل بعضهم عنه ، فكان الجواب : " هذا يسوع النبى ". (٤).

---

(١) متى ٨ : ٢٠
(٢) متى ١٦ : ١٣
(٣) لوقا ٧ : ٣٤—٣٥
(٤) ألقاب المسيح ص ٤٥

وكون المسيحين يرون أن المسيح أعظم من نبى دعوى مجردة عن الدليـــل بل الدليل قائم على نبوته وكونه واحدا من الأنبياء يدعو بدعوتهم ، ويقتدى بهدى من قبله منهم .

ومن القسم الثانى وهو ما أطلقه الناس على المسيح عليه السلام ، وصفه بالنبوة فى مواضع عديدة من الأناجيل .

ومن ذلك ما ورد فى انجيل متى حينما سأل المسيح تلاميذه قائلا :

" من يقول الناس انى أنا ابن الانسان ؟ فقالوا قوم يوحنا المعمدان وآخرون ايليا وآخرون ارميا أو واحد من الأنبياء " (١)

وفيه جاء أيضا قول كاتبه : " ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة من هذا ؟ فقالت الجموع هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل " (٢)

وفيه أيضا جاء قوله : " ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله ، عرفوا أنه تكلم عليهم ، واذا كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبى " (٣) .

وفى انجيل لوقا جاء قوله : " بعد أن ذكر قصة احياء المسيح للميت : " فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين ، قد قام فينا نبى عظيم وافتقد الله شعبه " (٤)

وقال لوقا أيضا بعد عرضه لقصة شفاء المسيح للمرضى : " فسمع هيرودس رئيس الربع بجميع ما كان منه وارتاب . لأن قوما كانوا يقولون ان يوحنا قد قام من الأموات وقوما ان ايليا ظهر ، وآخرين ان نبيا من القدماء قام " .

وذكر لوقا فى حديثه عن قيامة المسيح أن رجلين كانا يتحدثان عما حدث فى تلك الأيام من حوادث الصلب والقيامة اذ اقترب منهما المسيح وهما لا يدريان عن هويته فقال لهما : " ما هذا الكلام الذى تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين ؟ فأجاب أحدهما الذى اسمه كليوباس وقال له ، هل أنت متغرب وحدك فى أورشليم ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها فى هذه الأيام ؟ فقال لهما وما هى ؟ فقالا المختص

---

(١) متى ١٦ : ١٣ ـ ١٤ وانظر انجيل مرقس ٨ : ٢٧ ـ ٢٨
(٢) متى ٢١ : ١٠ ـ ١١ (٣) متى ٢١ : ٤٥ ـ ٤٦ (٤) لوقا ٧ : ١٦ ـ ١٧
(٥) لوقا ٩ : ٧ ـ ٨

يسوع الناصرى الذى كان انسانا نبيا مقتدرا فى العقل والقول أمام اللـــــه وجميـــع الشعب " (١) .

وفى انجيل يوحنا ورد قوله :" قالت له المرأة يا سيدى انك نبى" (٢) .وفيه أيضا جاء قوله " فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع ، قالوا ان هـــــذا هو بالحقيقــة النبى الآتــى الى العالم " (٣).

وقوله :" فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هـــــو النبى " (٤).

وفيه أيضا جاء قول الأعمى الذى فتح عينيه حينما : سأله الناس عن المسيح بقولهم :" ماذا تقول أنت عنه من حيث انه فتح عينيك فقال انه نبى" (٥)

هذا هو رأى الناس المعاصرين للمسيح فى هويته وهم حينما شاهدوا أعمالـه وسمعوا أقواله شهدوا بنبوته ،لان تلك الاعمال والأقوال معروفة لديهم لكونهـــا تجرى على أيدى الرسل والأنبياء الذين توالت بعثاتهم فى بنى اسرائيل .

هذه هى أبرز صفات المسيح الواردة فى الأناجيل وهى النبوة الحقه التـــــى لا تختلف مع النبوات السابقة ، ولم تكن بدعا منها ، وهى صفات امتاز بهـــــا على معاصريه حتى استحق منهم الاعتـــراف بنبوته ورسالته.

وبالاضافة الى هذه الصفة ،هناك صفات أخرى للمسيح ، وهى الصفات الخلقية التى جعلته يتبوأ مكانة عالية فى قلوب معاصريه .

ومن تلك الصفات التواضع ، فقد كان عليه السلام يخالط الصغار والكبار .... ويجالسهم ويحادثهم مما جعله يؤثر فى دعوته على كثير من بنى اسرائيل ، ما عــدا أولئك الذيــن أعماهم الحقد ولم يقبلوا دعوته بسبب ذلك.

---

(١) لوقا ٢٤ : ١٧ ـ ١٩
(٢) يوحنا ٤ : ١٩
(٣) يوحنا ٦ : ١٤
(٤) يوحنا ٧ : ٤٠
(٥) يوحنا ٩ : ١٧

الفصل الثاني

* دعوة المسيح ومميزاتها
* المعارضون لدعوته
* نماذج من الآيات التي ظهرت على يديه.

دعوة المسيح عليه السلام ومعجزاتهـــــــا

بدأ المسيح دعوته وهو فى الثلاثين من عمره ، وذلك بعد ما اعتمد من يوحنا المعمدان بالأردن (١) والذى عرف عن أخبار المسيح لم يكـــن الا ما كان من أمر ولادته وذهابه الى مصر وعودته منها ،ثم ما بعد هذه الفترة عندما بدأ دعوته . وأما أخباره الواقعة ما بين عودته من مصر وبلوغه ســـن الثلاثين ، فقد خلت الأناجيل من ذكرها سوى النزر القليل .

ولعل هذا راجع الى أن الذى لفت أنظار الناس فى عهد المسيح أمران هما :

١ـ ميلاده من غير أب وما لابس ذلك من آيات ورؤى دلت على مكانته

٢ـ معجزاته التى دعم المسيح بها دعوته بعد الثلاثين من عمره.

ولما كانت الفترة الواقعة بين هاتين الفترتين فترة الولادة ، وفترة ما بعـــد الثلاثين من عمره ـ لما كانت عادية ، لم يهتم كتاب الأناجيل وغيرهم بتلـــك الفترة ، وذكر ما وقع فيها من أخبار المسيح ، ولو كانت تلك الفترة فترة غير عادية وتميزت بوقوع المعجزات والخوارق فيها لتحدث الكتاب عن ذلك لا محالـــــة ولكن الخوارق لا تكون الا لتأييد دعوة أو دفع شبهة ،وقد دفعت الشبهـــــة بظهور المعجزات أثناء حمله وولادته ، وأيدت الدعوة بعد بلوغه سن الثلاثـــين ودعوته الى الله عز وجـــل .

ومنهج المسيح فى دعوته ليس منهجا مستقلا عن منهج التوراة ، ولكنــــه منهج اصلاحى قصد منه اصلاح شريعة موسى عليه السلام ولذلك يقول المسيح عليه السلام :

" لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمـــل فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحـــــد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل " (٢)

وهو عليه السلام يدعو الناس فى عصره الى التوبة ونبذ المعاصى ويقول لهـــم :

" قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالأنجيـــل " (٣)

---

(١) راجع لوقا ٣ : ٢٣ (٢) متى ٥ : ١٧ ـ ١٨

(٣) مرقس ١ : ١٥

ويدعوهم الى التمسك بشريعة موسى ، والتأدب بآدابها ، بل والى تعمق أكثر فى الالتزام بوصاياها ، ويقول عليه السلام فى ذلك:

" قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم وأما أنا فأقول لكم ان كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ، ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع . ومن قال أحمق يكون مستوجب نارجهنم فان قدمت قربانك الى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولا اصطلح مع أخيك ، وحينئذ تعال وقدم قربانك كن مراضيا لخصمك سريعا مادمت معه فى الطريق لئلا يسلمك الخصم الى القاضى ويسلمك القاضى الى الشرطى فتلقى فى السجن ، الحق أقول لك ، لاتخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير " (١)

ويتضح من هذا النص أن المسيح عليه السلام دعا بنى اسرائيل الى التعمق فى تطبيق الشريعة الموسوية ، ولم يأت بما يخالفها .

وفى موضع آخر يقول المسيح عليه السلام مبينا لمن سأله عن أولى الوصايا العشر التى أعطيها موسى فوق الجبل .

" تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك . هذه هى الوصية الأولى والعظمى " (٢)

وبهذا يتبين أن شريعة المسيح لا تخالف شريعة موسى وانما هى دعوة اصلاحية أزالت من اليهودية ما علق بها من الأثقال ، وأحيت ما اندثر منها بمرور الزمن وكيد المبطلين .

وتتميز دعوة المسيح بالدعوة الى التواضع والتواد ، والتسامح وملازمة اللين فى جميع شؤون الحياة ، والاعراض عن زخارف الدنيا وزينتها ، ويقول فى ذلك عليه السلام.

" .. سمعتم أنه قيل للقدماء ، لا تحنث ، بل أوف للرب أقسامك . وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسماء لانها كرسى الله ولا بالأرض لانها موطئ

---

(١) متى ٥: ٢١ — ٢٦ .

(٢) متى ٢٢: ٣٧—٣٨

قدميه ، ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم ، ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء ، بل ليكن كلامكم نعم نعم ، لا لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير . سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن . وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر ،بل من لطمك على خدك الأيمن ، فحول له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضا . ومن سخرك ميلا واحدا ،فاذهب معه اثنين من سألك فاعطه . ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده

سمعتم أنه قيل تحب قريبك تبغض عدوك . وأما أنا فأقول لكم ، أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات ، فانه يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والصالحين ، لأنه ان أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم" (١)

هكذا يحث المسيح معاصريه على التحلى بالأخلاق الكريمة والآداب الفاضلة وخفض جناح الذل للقاصى والدانى ، والصديق والعدو ، ويأمرهم بعزم الأمور ويأمرهم عليه السلام فى مواطن عديدة من الأناجيل بالابتعاد عن الرياء فى العبادات ،حتى انه ليأمرهم بالصلاة فى الخفاء والصدقة والصوم سرا ، بحيث لا يعلم أحد من الناس بذلك ، ويعلل ذلك بأن الذى يرى فى الخفاء وهو الله عز وجل يجازى علانية من عمل ذلك سرا فيقول عليه السلام :

" احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم . والا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات ، فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون فى المجامع وفى الأزقة لكى يمجدوا من الناس . . . وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك لكى تكون صدقتك فى الخفاء . . ومتى صليت فلا تكن كالمرائين فانهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع وفى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس . . . وأما أنت فمتى صليت فادخل الى مخدعك واغلق بابك وصل الى أبيك الذى فى الخفاء . . . . ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين فانهم يغيرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين ،الحق أقول لكم انهم قد استوفوا أجرهم وأما أنت فمتى صمت ، فادهن رأسك واغسل وجهك لكى لا تظهر للناس صائما بل لأبيك الذى فى الخفاء فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية " (٢)

---

(١) متى ٥ : ٣٣—٤٦
(٢) متى ٦ : ١—١٨

هذه هى معالم دعوة المسيح ومميزاتها ، وهى مع امتيازها وكونها ذات صبغة خاصة ، قوية الصلة بدعوة موسى عليه السلام.

ويكثر المسيح عليه السلام فى دعوته للناس من ضرب الأمثال والتشبيهات حتى لا يترك لأحد من المستمعين اليه مجالا للاستشكال والاستفسار . وفى ذلك يقول عليه السلام :

" . . . . يشبه ملكوت السموات شبكة مطروحة فى البحر وجامعة من كل نوع ، فلما امتلأت أصعدوها على الشاطىء ، وجلسوا وجمعوا الجياد الى أوعية ، وأما الأرديا ء ، فطرحوها خارجا ، هكذا يكون فى انقضاء العالم ، يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار ويطرحونهم فى أتون النار هناك يكون البكاء وصرير الأسنان " (١)

---

(١) متى ١٣ : ٤٧ — ٥٠

المعارضون لدعوة المسيح عليه السلام

بعث المسيح عليه السلام فى أمة أوتيت من الجدل ما أوتيت ، وقست قلوبها وهى كالحجارة فى ذلك أو أشد قسوة ، وذلك مع كثرة الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله فى تلك الأمة بحيث لم تخل فترة من الرسل والأنبياء منذ أيام أبى الأنبياء ابراهيم عليه السلام الذى انحدر بنو اسرائيل من نسله ، وكانوا يواجهون أنبياءهم بالعداوة والبغضاء وعدم الانصياع لأوامر الله التى تلقى اليهم بواسطة هؤلاء الرسل فكان جزاء أنبياء الله عندهم القتل لكثير منهم.

ولما كانت بعثة المسيح عليه السلام ودعوته فى أولئك القوم فقد كان جزاؤه منهم كجزاء اخوانه السابقين من الرسل والأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام.

وقد ذكرنا فى مقدمه هذا الباب أن اليهود قبل مجئ المسيح كانوا يرتقبون مجئ المسيح وكانوا ينتظرون أن يأتى فيكون ملكا لبنى اسرائيل ويسودون العالم فى زمانه وتحت لوائه ، ولما جاء المسيح نبيا رسولا لا ملكا ينتظرون الخلاص على يديه كفروا به وعارضوا دعوته مهما وجدوا منه عليه السلام من الآيات التى أجراها الله على يديه. طبعهم فى ذلك طبع أسلافهم مع موسى عليه السلام.

الا أن موسى حينما طلبوا منه الآيات استجاب لذلك وطلب من الله أن يريهم ما طلبوه من الآيات للدلالة على صدقه . أما المسيح فقد رفض قبول طلبهم حينما قالوا له :

" يا معلم نريد أن نرى منك آية فأجاب وقال لهم : جيل شرير يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبى" (١)

طلبوا منه آية ولو أعطوا آية ، لما آمنوا . لذلك وصفهم المسيح عليه السلام بأنهم جيل شرير لأنهم يطلبون تلك الآية مع ما يرون من شفاء المرضى من الأكمه والأبرص ، واحياء الموتى ولو كانت فى نيتهم الاستجابة لدعوته ، لكان ما يشاهدونه كافيا لمقبول دعوته والايمان برسالته ، وهم حينما سمعوا أقواله الحكيمة وأعماله العجيبه

---

(١) متى ١٢ : ٣٨ — ٣٩ .

قالوا كلاما يحط من شأنه فقد روى متى فى انجيله قوله :

" ولما جاء الى وطنه ، كان يعلمهم فى مجمعهم حتى بهتوا وقالوا من أين لهذا هذه الحكمة والقوات ؟ أليس هذا ابن النجار ؟ أليست أمه تدعى مريم واخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ؟ أو ليست أخواته جميعهن عندنا ؟ فمن أين لهذا هذه كلها ؟ فكانوا يعثرون به ، وأما يسوع فقال : لهم ليس نبى بلاكرامة الا فى وطنه وفى بيته ، ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم ايمانهم"(١)

ولما كان اليهود قد جبلوا على العناد ومقاومة الحق ، فقد تقدموا الى المسيح عليه السلام وهو يعلم فى الهيكل قائلين :

" بأى سلطان تفعل هذا ؟ ومن أعطاك هذا السلطان ؟ فأجاب يسوع وقال لهم ، وأنا أيضا أسألكم كلمة واحدة ، فان قلتم لى عنها أقول لكم أنا أيضا بأى سلطان أفعل هذا . معمودية يوحنا من أين كانت ؟ من السماء أم من الناس ؟ ففكروا فى أنفسهم قائلين ، ان قلنا من السماء ، يقول لنا ، فلماذا لم تؤمنوا به ؟ وان قلنا من الناس ، نخاف من الشعب . لأن يوحنا عند الجميع مثل نبى ،فأجابوا يسوع ، وقالوا لا نعلم ،فقال لهم هو أيضا ، ولا أنا أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا " (٢)

واذا كان اليهود قاوموا دعوة المسيح وعارضوها معارضة شديدة ،فان ذلك لم يكن الا من قبل رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب الاسرائيلى الذين يسيطرون على ارادة الضعفاء الذين لا يعلمون من اليهودية عدا ما يأمرهم به أولئك الرؤساء ولذلك خاطب المسيح جموع اليهود وتلاميذه قائلا :

" على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ،فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون فانهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ، ويضعونها على أكتاف الناس ، وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم ،وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس، فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم ويحبون المتكأ الأول فى الولائم والمجالس الأولى فى المجامع والتحيات فى الأسواق ، وأن يدعوهم الناس ، سيدى سيدى" (٣)

---

(١) متى ١٤:٥٤-٥٨ (٢) متى ٢١:٢٣-٢٧
(٣) متى ٢٣:٢-٧

هكذا يكشف المسيح عليه السلام حقيقة معارضيه من زعماء اليهود وعلمائهم لمن يستمع اليه من الشعب الاسرائيلي وتلاميذه ، ثم لم يكتف بفضح مافي نفوسهم من رياء ومكر وخداع ،بل واجه نفس الكتبة والفريسيين بقوله :

" لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت ... السموات قدام الناس ، فلا تدخلون أنتم ، ولا تدعون الداخلين يدخلون ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ، ولعلة تطيلون صلواتكم ،لذلك تأخذون دينونة أعظم ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا ، ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء ، ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم ومن حلف بالمذبح فليس بشيء ، ولكن من حلف بالقربان الذى عليه يلتزم .... ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبورا مبيضة لتظهر من خارج جميلة ، وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة ، هكذا أنتم أيضا من خارج تظهرون للناس أبرارا ولكنكم من داخل مشحونون رياء واثما ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تبنون قبور الأنبياء ومدافن الصديقين وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء . فاملأوا أنتم مكيال آبائكم . أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم لذلك ها أنا أرسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبة ، فمنهم تقتلون وتصلبون ، ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا ابن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح . الحق أقول لكم ان هذا كله يأتي على هذا الجيل " (١)

ثم أخذ عليه السلام يوبخ مدينة أورشليم مخاطبا لها وهو يقول :

" يا أورشليم يا أورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ، هوذا

---

(١) متى ٢٣ : ٢-٣٦ وفي انجيل لوقا جاء هنا قوله : " لذلك قالت حكمة الله انى أرسل اليهم أنبياء ورسلا فيقتلون منهم ويطردون لكي يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء من دم هابيل الى دم زكريا الخ " لوقا ١١ : ٤٩-٥١

" نماذج من الآيات التي ظهرت على يديه :

اقترنت دعوة المسيح عليه السلام بشفاء المرضى واحياء الموتى ، وكان ذلك آية من آيات الله الدالة على صدق نبوته ورسالته.

ولقد ذكرت الأناجيل الأربعة تلك الآيات التي جرت على يديه غير أن الطبيب لوقا صاحب أحد الأناجيل ، ذكر من ذلك الشيء الكثير وتوسع في ذكر هذه الآيات .

وأول شيء ذكره لوقا من الآيات هو شفاء المسيح عليه السلام لرجل به شيطان حينما كان يعلم في المجمع ،ويقول في ذلك :

" وانحدر الى كفرنا حوم مدينة من الجليل وكان يعلمهم في السبوت ، فبهتوا من تعليمه لان كلامه كان بسلطان ، وكان في المجمع رجل به روح شيطان نجس فصرخ بصوت عظيم قائلا ، مالنا ولك يا يسوع الناصرى أتيت لتهلكنا . أنا أعرفك من أنت قدوس الله فانتهره يسوع قائلا اخرس واخرج منه فصرعه الشيطان في الوسط وخرج منه ولم يضره شيئا " (١)

وفي قصة أخرى يقول لوقا :

" ولما قام من المجمع دخل بيت سمعان وكانت حماة سمعان قد أخذتها حمى شديدة فسألوه من أجلها فوقف فوقها وانتهر الحمى فتركتها . وفي الحال قامت ، وصارت تخدمهم وعند غروب الشمس جميع الذين كان عندهم سقماء بأمراض مختلفة قدموهم اليه فوضع يديه على كل واحد منهم وشفاهم ، وكانت شياطين أيضا تخرج من كثيرين وهي تصرخ وتقول أنت المسيح ابن الله ، فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح " (٢)

ويقول في موضع آخر ،

" ... وفي سبت آخر دخل المجمع وصار يعلم ،وكان هناك رجل يده اليمنى يابسة وكان الكتبة والفريسيون يراقبونه هل يشفي في السبت لكي يجدوا عليه شكية . أما هو فعلم أفكارهم وقال للرجل الذى يده يابسه ، قم وقف في الوسط فقام ووقف ثم قال لهم يسوع ،أسألكم شيئا ، هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر ؟ تخليص نفس أو اهلاكها ؟ ثم نظر حوله الى جميعهم

---

(١) لوقا ٤ : ٣١-٣٥

(٢) لوقا ٤ : ٣٨-٤١

وقال للرجل مد يدك ففعل هكذا فعادت يده صحيحه كالأخرى ، فامتلأوا حمقا وصاروا يتكالمون فيما بينهم ماذ يفعلون بيسوع " (١)

هذه آيات المسيح فى شفاء المرضى والتى تحدث عنها لوقا فى انجيلـه أما حديثه عن احياء المسيح للأموات ، فقد جاء فيه قوله ،

" فلما اقترب الى باب المدينة (٢) اذا ميت محمول ابن وحيد لأمه وهى أرملة ومعها جمع كثير من المدينة ، فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكى ، ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون ، فقال أيها الشاب لك أقول قم . فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه الى أمه ، فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين ، قد قام فينا نبى عظيم وافتقد الله شعبه " (٣)

ويروى يوحنا أن المسيح أقام من القبر رجلا مضت على وفاته أربعة أيام فيقول :

" ... فمريم لما أتت الى حيث كان يسوع ورأته خرت عند رجليه قائلة لـه : يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخى ، فلما رآها يسوع تبكى واليهود الذين جاءوا معها يبكون ، انزعج بالروح واضطرب ، وقال أين وضعتموه ؟ قالوا له ، يا سيد تعال وانظر ، بكى يسوع فقال اليهود انظروا كيف كان يحبه ، وقال بعض منهم ألم يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل هذا أيضا لا يموت ؟ فانزعج يسوع أيضا فى نفسه وجاء الى القبر وكان مغارة قد وضع عليه حجر قال يسوع ، ارفعوا الحجر . قالت له مرثا أخت الميت ، يا سيد قد أنتن لأن لـه أربعة أيام . قال لها يسوع ألم أقل لك ان آمنت ترين مجد الله فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ، ورفع يسوع عينيه الى فوق وقال ، أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لى وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجا . فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطان بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل . فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب " (٤)

---

(١) لوقا ٦ : ٦ ـ ١١ وامتلاؤهم حمقا كان من أجل ابرائه للمريض فى السبت
(٢) لوقا ٧ : ١٢ ـ ١٦
(٣) والمدينة هذه تدعى نايين . أنظر الآيه ١١ من نفس الاصحاح فى لوقا
(٤) يوحنا ١١ : ٣٢ ـ ٤٤

ويذكر يوحنا أن كثيرين ممن حضروا هذه الحالة من اليهود ، آمنوا بالمسيح حينما شهدوا هذه الآية . وذهب آخرون فأخبروا الفريسيين بما شهدوا من عمل المسيح ولما سمع الفريسيون ما فعله المسيح ، اجتمعوا وقالوا ماذا نصنع فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون المركز الديني من الأمة اليهودية ، ثم اقترح عليهم قيافا رئيس الكهنة آنذاك أن يموت المسيح بدلا من أن يفقد اليهود مركزهم الديني بسببه ويقول يوحنا في ذلك :

" فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعا وقالوا ما تصنع فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة ؟ ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا . فقال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة أنتم لستم تعرفون شيئا ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت انسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها ، ولم يقل هذا من نفسه بل اذ كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين الى واحد ومن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه " (١)

" ومع أن اليهود لم يحاولوا أن يقتلوا المسيح الا لكراهتهم له وخوفهم منه على مركزهم الديني الذى يسيطرون به على الشعب ، فان المسيحيين يرون فى اقتراح قيافا على اليهود قتل المسيح أنه انما اقترح ذلك لعلمه أن المسيح جاء ليموت عن الأمة الا أن النص الذى أورده يوحنا — وان تغير شكله فى النهاية — لم يدل على أن قيافا قال ذلك لاطلاعه على ما سيكون من أمر المسيح بل دل على أن قيافا ومن معه من اليهود أرادوا قتله خوفا من ظهور دعوة المسيح وانتشارها بين الأمم ، وسيطرة الرومان على المركز الديني الذى لم يستولوا عليه مع استيلائهم على السلطة السياسية ، واذا ما انتشرت دعوة المسيح وظهرت ، فقد تولى الرومان قيادة المركز الديني باعتناق النصرانيه بالاضافة الى ما كان بيدهم من القيادة السياسية. والآيات التى جرت على يد المسيح لم تزد زعماء اليهود الا عتوا ونفورا ، ولم يتغير موقفهم منه بل ازدادت عداوتهم له ، ومقاومتهم لدعوته حتى قرروا أن يقتل حفظا لمنصبهم الديني وسيطرتهم على الشعب الاسرائيلي.

---

(١) يوحنا ١١ : ٤٧ — ٥٢ —

الفصـــل الثالـث :

* الصلب كما تحدثت عنه الأناجيل ..
* الصلب والادله الانجيلية المنافية له
* قيامة المسيح كما ذكرتها الأناجيل

الصلب كما تحدثت عنه الأناجيـــــل

كان المسيح عليه السلام قد ووجه من قبل بنى اسرائيل بمعارضة شديدة لدعوته ، وقد تبين لنا فيما مضى كيف أن اليهود وزعماءهم حاولوا الايقاع بـــه بمختلف الطرق ليسلموه الى الوالى الرومانى الحاكم لفلسطين آنذاك ، وذلــك على الرغم من الآيات التى ظهرت على يديه ، وقد ذكرنا فى البحث السابــق نماذج من تلك الآيات التى جرت على مرأى ومسمع من زعماء اليهود الذيــن لم تؤثر فيهم تلك الآيات ، ولم يتوقفوا عن معارضته وملاحقته ، بل بذلوا مجهوداً كبيرة لتحقيق هدفهم الذى هو القضاء على المسيح بأى طريق ممكنة .

ولتحقيق هذا الهدف أعاد اليهود الكرة عليه ، وزعموا عند الحكام الرومـان أن المسيح يزعم أنه ملك اليهود اذ أن نسبة اليهود اليه هذا الاعتقاد يجعلـــه عند الرومان متهما بالتطاول على المنصب السياسى الخطير والذى يهدد الوجود الرومانى بأسره فى فلسطين .

ولما كان الرومان على حذر من أمرهم السياسى فى فلسطين ، وكانت أخبـار المسيح تملاء الكورة المحيطة بها ، قبلوا وشاية اليهود بالمسيح ، وأخذوا ـ يلاحقونه للقبض عليه ومحاكمته على ما نسب اليه واستطاعوا بمعاونة أحد تلاميـــذ المسيح أن يقبضوا عليه فى حديقة يقال لها جثسيمانى ، ومضوا به الى دار رئيـــس الكهنـــة المسمى قيافا ،وفى تلك الدار نسبت اليه جريرتان :

١ ـ احداهما قولهم ان المسيح يزعم أنه ابن الله .

٢ ـ والاخرى ،قولهم انه يقول انى أقدر أن أنقض الهيكل وأبنيه فى ثلاثة أيام

وشهد على المسيح شاهدان بأنه يزعم أنه يهدم الهيكل ويعيد بناءه فـــى ثلاثة أيام ، وذلك أمام قيافا رئيس الكهنة الذى استحلف المسيح بالله هل هـــو المسيح ابن الله ؟ فأجابه المسيح بقوله : " أنت قلت " ولم يجبه على سؤالــه بأكثر من هذا ، الا أن رئيس الكهنة وجد فى جوابه هذا ما دفعه الى تحقيق هـــدف اليهود ، فأدانه قائلا : قد جدف . ما حاجتنا بعد الى شهود " ثم استشـار اليهود فيما ينبغى أن يسار اليه فى أمر المسيح ، فأجابوا بأنه يستوجب القتـــل ، ثم انهالـوا عليه ضربا ولكما وسخرية ولطما ،وأسلموه الى بيلاطس الوالـــــى

الرومانى بعد أن أوثقوه.

ولما حضر المسيح ووقف أمام الوالي ، سأله الوالي بقوله : أأنت ملك اليهود ؟ فأجاب المسيح بقوله : أنت تقول ، وكان رؤساء الكهنة وشيوخ اليهود حاضرين المجلس يشهدون على المسيح أمام الوالى ، غير أن المسيح لم يجب على ذلك ، حتى تعجب الوالي منه .

وكانت العادة قد جرت أن الحاكم الرومانى يطلق لليهود سجينا فى العيد ممن يختارون وكان فى الاسر رجل اسمه (باراباس) فخير بيلاطس اليهود بين أن يطلق لهم يسوع أو باراباس وذلك لعلمه أن اليهود اسلموا المسيح حسداً وفى هذه الحالة أرسلت امرأة الوالى الى زوجها تقول : اياك وذلك البار ، لانى تألمت اليوم كثيرا فى الحلم من أجله ، الا أن رؤساء اليهود حرضوا جموع الشعب الحاضرين بالمجلس على المطالبة باطلاق (باراباس) ، وقتل المسيح فسألهم الوالى ، ماذا يفعل بالمسيح ؟ فقالوا له ليصلب ، وسألهم بأى ذنب يقتل ؟ فصرخوا فى وجهه مطالبين بصلبه . فلما أيقن بيلاطس أن اليهود مصرون على أن يصلب المسيح ويحدثون الشغب من أجل ذلك غسل يديه أمام الجموع الحاضرة لديه وقال لهم انى برئ من دم هذا البار . فأجابه الجمع قائلين ان دمه علينا وعلى اولادنا ، فأطلق لهم باراباس وجلد المسيح وأسلمه ليصلب.

هذه خلاصة ما حدث للمسيح قبل غيابه عن أنظار تلاميذه ، وأنظار المعادين له . وتلك أسباب غيابه وما كان من أمره فى نظر النصارى .

ولتوضيح ما سبق تلخيصه هنا من تلك الأسباب ، ينبغى أن نورد فيما يأتى النصوص الانجيلية التى أوردت تفاصيل ما حدث للمسيح من اليهود المعادين والرومان الحاكمين ، وذلك حسب اعتقاد النصارى بغض النظر عن صحة الرواية أو عدم صحتها .

ذكر متى فى انجيله أن المسيح عليه السلام قال لتلاميذه بعد أن قدم النصائح والوعظ لمن حوله :

" تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الانسان يسلم ليصلب" (١)

---

(١) متى ٢٦ : ٢

ولا يتفق مع متى فى هذه الرواية أحد من كتاب الأناجيل ، غير أن الجميع يتقاربون فى الحديث عن حادثة الصلب وكيفية القبض على المسيح عليه السلام .

ويذكر متى أن المسيح كان فى بيت عنيا فى بيت سمعان الأبرص عندما تقدمت اليه امرأة معها قارورة طيب ذات ثمن غال فسكبته على رأس المسيح ، ولما اعترض تلاميذه على عملها بحجة أن هذا الطيب يمكن أن يباع ويعطى ثمنه للفقراء ، رأى المسيح أن المرأة عملت عملا حسنا ، لان الفقراء يبقون ويوجدون معهم كل حين ، أما هو فلا يكون معهم كل حين وقال ان المرأة انما عملت ذلك به لأجل تكفينه ، ثم قال متى :

" حينئذ ، ذهب واحد من الاثنى عشر الذى يدعى يهوذا الاسخريوطى الى رؤساء الكهنة وقال ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه اليكم ؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه " (١)

ثم ذكر متى أن تلاميذ المسيح طلبوا منه أن يبين لهم المكان الذى يريد أن يعدوا له فيه طعام الفصح ، وذلك فى أول يوم من أيام الفطير ، فأمرهم بالذهاب الى المدينة ومقابلة شخص وصفه لهم ليصنعوا عنده الفطير ويقولوا لصاحب الدار ، المعلم يقول ان وقتى قريب أصنع الفصح عندك مع تلاميذى ثم كان المساء بعد أن طلب التلاميذ من الرجل ما أمروا به من قبل المسيح .

" ولما كان المساء اتكأ مع الاثنى عشر ، وفيما هم يأكلون قال الحق أقول لكم ان واحدا منكم يسلمنى فحزنوا جدا وابتدأ كل واحد منهم يقول له : هل أنا هو يا رب فأجاب وقال ، الذى يغمس يده معى فى الصحفة هو يسلمنى ان ابن الانسان ماض كما هو مكتوب عنه ، ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الانسان ، كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد فأجاب يهوذا مسلمه هل أنا هو يا سيدى؟ قال له : أنت قلت " (٢)

وهذا النص يدل على أمور ، منها أن يهوذا الاسخريوطى يعتبر من تلاميذ المسيح الاثنى عشر . ومنها أنه تواطأ مع اليهود فى القبض على المسيح وأخذ مقابل دلالته ثلاثين من الفضة . ومنها أن المسيح أخبر تلاميذه أن —

(١) متى ٢٦ : ١٤ — ١٦
(٢) متى ٢٦ : ٢٠ — ٢٥

واحدا منهم سيسلمه لليهود وأن ذلك الواحد هو الذى يغمس يده مع المسيح فى الصفحة.

ومنها أن ذلك الرجل له وعيد شديد لقوله : ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الانسان الخ . ثم ان المسيح عليه السلام أخذ الخبز وكسره وقسم على التلاميذ قائلا : خذوا كلوا هذا هو جسدى ، وأخذ الكأس وأعطاهم وهو يقول ، اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا ثم قال لهم عليه السلام :

" وأقول لكم : انى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدا فى ملكوت أبى " (١)

ثم انه عليه السلام خرج مع تلاميذه الى جبل الزيتون فقال لهم :
" كلكم تشكون فى هذه الليلة لانه مكتوب انى أضرب الراعى فتتبدد خراف الرعية " (٢)
وبعد أن قال المسيح عليه السلام هذا الكلام لتلاميذه قال له جميع التلاميذ انهم لن يشكوا فيه مهما يكن من أمر ، ثم خرج معهم الى ضيعة جثيمانى فقال لهم :

" اجلسوا ههنا حتى أمضى وأصلى هناك ثم أخذ معه بطرس وابنى زبدى وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم ، نفسى حزينة جدا حتى الموت امكثوا ههنا واسهروا معى ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلى قائلا يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت ثم جاء الى التلاميذ فوجدهم نياما فقال لبطرس ، أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا يا أبتاه ان لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس الا أن أشربها فلتكن مشيئتك ، ثم جاء فوجدهم نياما اذ كانت أعينهم ثقيلة فتركهم ومضى أيضا وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه ، ثم قال لتلاميذه ناموا الآن واستريحوا هوذا الساعة قد اقتربت ، وابن الانسان يسلم الى أيدى الخطاة قوموا ننطلق هوذا الذى يسلمنى قد اقترب " (٣)

---

(١) متى ٢٦ : ٢٩ ـ ٣٠
(٢) متى ٢٦ : ٣١
(٣) متى ٢٦ : ٣٦ ـ ٤٥

هكذا يروى متى فى انجيله حالة المسيح قبل أن يقبض عليه وهى حالة حزن ، وخوف مما سيقع به ، وقد تبين ذلك من قوله : وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم نفسى حزينــة جدا حتى الموت " كما يتضح لنا من صلاته المتكررة وتضرعــه الى الله عز وجل وهو يخر على وجه بأن تعبر عنه كأس الشيه وهذا مدى ماعناه من الخوف قبل رحيلــه .

ويبين لنا هذا النص أيضا كيف كانت حالة التلاميذ فى تلك الساعة حيث أثقلت أعينهم بالنوم ولم يستطيعوا السهر مع المسيح عليه السلام رغم الحاحه الشديــد عليهم فى أن يسهروا معه حتى انه عليه السلام قال لهم ، " ما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة " ولم يجد منهم استجابة لندا ءاته المتكررة لما ألقى الله عليهم من النوم الثقيل الذى لم يستطعوا الفكــاك عنه .

ويتضح من النص أيضا عبودية المسيح الكاملة لله عز وجل ، وكون ارادتـــه عليه السلام غير ارادة الله تعالى وذلك حيث يقول : " ولكن ليس كما أريــــد أنا بل كما تريد أنت " . ثم ان هذا النص دلنا على أمر مهم جدا فى حيـــاة المسيح الأخيرة مع تلاميذه حيث ذكر أن روح المسيح بعد ذلك التضرع والصلاة المتكررة نشيط ، وأن جسده ضعيف وكأن الجانب الروحى تغلب على الجانـــب المادى وثقله استعداد لأمر مهم جدا وهو رفع المسيح عليه السلام قبــــل أن يقتل أو يصلب .

وعلى كل فهذا رأى خاص لى فى هذا النص استنبطته من قوله : أما الـــروح فنشيط وأما الجسد فضعيف " .

أضف الى هذا قوله عليه السلام لتلاميذه ، (كلكم تشكون فى هذه الليلـة " وليس ثم شك أعظم من أنهم لم يعرفوا أن المسيح لم يصلب ، وخاصة بعد ما غشاهـم النعاس ولم يتمكنوا من السهر مع المسيح لثقل ما ألقى عليهم من النوم .

ويقول متى فى الحديث عن حادثة القبض على المسيح :

" وفيما هو يتكلم اذ بيهوذا واحد من الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثيــر بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ، والذى أسلم أعطاهم علامــة قائلا : الذى أقبله هو هو أمسكوه " فللوقت تقدم الى يسوع وقال السلام ياسيدى

وقبله ، فقال له يسوع يا صاحب لماذا جئت حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه " (١)

ويتفق مرقص ولوقا مع متى فى رواية هذه القصة ولكن يوحنا يخالفهم فى انجيله اذ يقول :

" فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح ، فخرج وهو عالم بكل ما يأتى عليه ، وقال لهم من تطلبون ؟ أجابوه يسوع الناصرى ، قال لهم يسوع أنا هو وكان يهوذا مسلمه أيضا واقفا معهم فلما قال لهم انى أنا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الارض ، فسألهم أيضا من تطلبون فقال يسوع الناصرى ، أجاب يسوع قد قلت لكم انى أنا هو فان كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون " (٢)

ويبدو من رواية يوحنا أن يهوذا ـ وان جاء مع الجند لتسليم المسيح ـ لم يسلم المسيح بالفعل وانما المسيح هو الذى كشف للجند عن هويته وعرفهم بنفسه أما يهوذا فكان واقفا مع الجند حينما خاطبهم المسيح وأخبرهم بأنه هو يسوع ولم يرد فى انجيل يوحنا ما يدل على أن يهوذا قبل المسيح وسلمه بقبلة الى الجند متخذا اياها علامة على أن المقبل هو المسيح الذى يريدون القبض عليه .

ويقول مرقص : " فأجاب يسوع وقال لهم كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذونى . كل يوم كنت معكم فى الهيكل أعلم ولم تمسكونى ولكن لكى تكمل الكتب فتركه الجميع وهربوا " (٣)

ويذكر متى هنا أن الذين هربوا هم تلاميذ المسيح اذ يقول :

" فى تلك الساعة قال يسوع للجموع كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذونى كل يوم كنت أجلس معكم أعلم فى الهيكل ولم تمسكونى . وأما هذا كله فقد كان لكى تكمل كتب الأنبياء ، حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا " (٤)

وبالاضافة الى ما سبق استنتاجه من أن تلاميذ المسيح لم يعرفوا من هو المصلوب فان هروبهم المذكور هنا يؤكد أنهم لم يكونوا معه أو لم يعرفوا ما كان منه وما حصل وذلك لنومهم الثقيل أولا ، ولهروبهم من المسيح ساعة مجئ الجند الرومانيين للقبض

---

(١) متى ٢٦ : ٤٧ ـ ٥٠ (٢) يوحنا ١٨ : ٣ ـ ٨ (٣) مرقص ١٤ : ٤٨ ـ ٥٠
(٤) متى ٢٦ : ٥٥ ـ ٥٦ .

عليه ، ولقوله لهم عليه السلام كلكم تشكون فى هذه الليلة ، وهذا الشك فى أمر المسيح عليه السلام قد ذكره القرآن الكريم بقوله (... وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) (١)

ويذكر مرقس أن الجند بعد أن قبضوا على المسيح وهرب عنه التلاميذ ، مضوا به الى رئيس الكهنة فيقول فى ذلك :

" فمضوا بيسوع الى رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة وكان بطرس قد تبعه من بعيد الى دار رئيس الكهنة وكان جالسا بين الخدام يستدفئ عند النار وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا ، لان كثيرين شهدوا عليه زورا ولم تتفق شهاداتهم ، ثم قام قوم وشهدوا عليه زورا قائلين ، نحن سمعناه يقول : انى أنقض هذا الهيكل المصنوع بالايادى وفى ثلاثة أيام أبنى آخر غير مصنوع بأياد ، ولا بهذا كانت شهاداتهم تتفق فقام رئيس الكهنة فى الوسط وسأل يسوع قائلا ، أما تجيب بشئ ؟ ماذا يشهد به هؤلاء عليك ؟ أما هو فكان ساكتا ولم يجب بشئ فسأله رئيس الكهنة أيضا وقال له : أأنت المسيح ابن المبارك ؟ فقال يسوع : أنا هو ، وسوف تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا فى سحاب السماء فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد الى شهود ؟ قد سمعتم التجاديف ، ما رأيكم ؟ فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت ، فابتدأ قوم يبصقون عليه ويغطون وجهه ويلكمونه ويقولون له تنبأ ، وكان الخدام يلطمونه " (٢)

ويذكر متى أن المسيح عليه السلام حينما سأله رئيس الكهنة بقوله : هل انت المسيح ابن الله ؟ أجابه بقوله ، أنت قلت ، ولم يزد متى على هذا ، بينما يذكر مرقس أن المسيح قال له ، أنا هو وأما لوقا فقد أوردها على هذا النحو ،

" ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه الى مجمعهم قائلين ، ان كنت أنت المسيح فقل لنا فقال لهم ان قلت لكم لاتصدقون

---

(١) سورة النساء ١٥٧ ـ ١٥٨
(١) مرقس ١٤ : ٥٣ـ٦٥

وان سألت لا تجيبوننى ولا تطلقوننى ، منذ الآن يكون ابن الانسان جالسا عن يمين قوة الله • فقال الجميع أفأنت ابن الله ؟ فقال لهم ، أنتم تقولون انى أنا هـــو ، فقالوا ما حاجتنا بعد الى شهادة لأننا سمعنا من فمه " (١)

وكما يظهر من المقارنة بين رواية متى ورواية لوقا فان اجابة المسيح لم تكــن بالنفى ولا بالاثبات ، بل قال ان ذلك ما تقولون أنتم فقط ، وليس بين الروايتــين اختلاف الا فيمن سأل المسيح ذلك السؤال لان متى ذكر أن رئيس الكهنة هـــو السائل ولوقا روى أن الجميع من الحاضرين سألوه ذلك السؤال •

أما يوحنا فيقول فى روايته :

" فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه • أجابه يسوع ، أنا كلمت العالم علانية ، أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل ، حيث يجتمع اليهـود دائما وفى الخفاء لم أتكلم بشئ لماذا تسألنى أنا ؟ اسأل الذين قد سمعــوا ماذا كلمتهم ؟ هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا " (٢)

وفى رواية يوحنا أن المسيح لم يجب بتلك الاجابة التى رواها كل من متى ولوقا وكذلك لم يجب بتلك التى رواها مرقس ، بل أحال سائله على تلاميذه ومن استمــع الى تعاليمه ليعرف الحق منهم •

وبعد أن ناقشوا المسيح تلك المناقشات تشاوروا فيما بينهم ليسلموه الى الوالــى الرومانى (بيلاطــس) وعلى هذا تتفق الأناجيل الأربعـــة •

يقول متى : " ولما كان الصباح ، تشاور جميع الكهنة وشيوخ الشعب علـــى يسوع حتى يقتلوه فأوثقوه ومضوا به ودفعوه الى بيلاطــس البنطى الوالى " (٣) ويقــول مرقس " وللوقت فى الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كلـــه فأوثقــوا يسوع ومضوا به وأسلموه الى بيلاطــس " (٤) •

وينفرد متى فى روايته يذكر ندم يهوذا على تسليم المسيح اذ يقول :

" حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ، ندم ورد الثلاثين من الفضــة الى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا قد أخطأت اذ سلمت دما بريئا ، فقالوا ماذا علينـا

---

(١) لوقا ٢٢ : ٦٦_٧١ (٢) يوحنا ١٨ : ١٩_٢١
(٣) متى ٢٧ : ١_٢ (٤) مرقس ١٥ : ١

أنت أبصر فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف ، ثم مضى وخنق نفسه ، فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيها فى الخزانة لانها ثمن دم — فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى ، مقبرة للغرباء لهذا سمى ذلك الحقل حقل الدم الى هذا اليوم " (١)

هذه رواية متى وليس فى بقية الأناجيل ذكر لندم يهوذا واعادته لما أخذه من الفضة وخنقه لنفسه بعد ذلك.

ثم ان الأناجيل تتفق فى رواياتها عن المحاكمة التى جرت للمسيح أمام الوالى بيلاطس حيث سأله الوالى قائلا :

" أنت ملك اليهود ؟ " (٢)

غير أن اجابات المسيح أمام الوالى لم تتفق الأناجيل فى روايتها فانجيل متى يقول : " فوقف يسوع أمام الوالى فسأله الوالى قائلا : أأنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع : أنت تقول . وبينما رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشىء فقال له بيلاطس أما تسمع كم يشهدون عليك ؟ فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالى جدا " (٣)

أما انجيل مرقس فيقول :

" فسأله بيلاطس أنت ملك ؟ فأجاب وقال له ، أنت تقول وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيرا ،فسأله بيلاطس أيضا قائلا ما تجيب بشىء ؟ انظركم يشهدون عليك ؟ فلم يجب يسوع أيضا بشىء حتى تعجب بيلاطس " (٤)

ويقول لوقا :

" فقام كل جمهورهم وجاؤا به الى بيلاطس . وابتدأوا يشتكون عليه قائلين : هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا : انه هو مسيح ملك . فسأله بيلاطس قائلا : أنت ملك اليهود ؟ فأجابه وقال : أنت تقول ، فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع ، انى لا أجد علة فى هذا الانسان ، فكانوا يشددون قائلين ، انه يهيج الشعب وهو يعلم فى كل اليهودية مبتدئا من الجليل الى هنا (٥)

---

(١) متى ٢٧ : ٣ـ٨ (٢) متى ٢٧ : ١١ ، مرقس ١٥ : ٢ ، لوقا ٢٣ : ٣ ، يوحنا ١٨ : ٣٣ .
(٣) متى ٢٧ : ١١ـ١٤ (٤) مرقس ١٥ : ٢ـ٥
(٥) لوقا ٢٣ : ١ـ٥

ويقول يوحنا فى نص طويل ومحاورة أطول بين المسيح وبين بيلاطس:
" ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا الى دار الولاية ،وكان صبح ولم يدخلوهم الى دار الولاية لكى لا يتنجسوا فيأكلون الفصح . فخرج بيلاطس اليهم وقال أية شكاية تقدمون على هذا الانسان ؟ أجابوا وقالوا له : لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه اليك ، فقال لهم بيلاطس ،خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم . فقال له اليهود : لا يجوز لنا أن نقتل أحدا ... ثم دخل بيلاطس أيضا الى دار الولاية ، ودعا يسوع وقال له أنت ملك اليهود ؟ أجابه يسوع : من ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عنى ؟ أجابه بيلاطس ، ألعلى أنا يهودى ؟ أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك الى ، ماذا فعلت ؟ أجاب يسوع ، مملكتى ليست من هذا العالم ، لو كانت مملكتى من هذا العالم ، لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم الى اليهود ، ولكن الآن ليست مملكتى من هنا فقال له بيلاطس ، أفأنت اذا ملك ؟ أجاب يسوع ، أنت تقول انى ملك لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت الى العالم لأشهد للحق ،كل من هو من الحق يسمع صوتى . قال له بيلاطس ما هو الحق ؟ ولما قال هذا خرج أيضا الى اليهود وقال لهم أنا لست أجد فيه علة واحدة " (١)

ونجد فى رواية يوحنا اجابات المسيح الكثيرة على سؤال بيلاطس باسهاب وتفصيل ،بينما نجد فى الأناجيل الأخرى أن المسيح لم يجب بشىء على سؤال الوالى ولم يزد جوابه على أن قال : أنت تقول .

ومع أن القضية التى تتحدث عنها هذه الأناجيل قضية واحدة فان اختلافها فى الحديث عنها بالنفى والاثبات ، يزعزع الثقة فى صحة رواية الأناجيل ، لان عدم جواب المسيح عن سؤال بيلاطس فى بعضها واجابته فى البعض الاخر يعتبر تناقضا فى الحديث عن أمر واحد . فالمسيح اما أن يكون قد أجاب كما روى ذلك يوحنا ، واما أن يكون لم يجب بشىء كما ذكر ذلك متى ومرقس . أما أن تجمع بين الاجابة وبين عدم الاجابه بشىء ، فهو عين التناقض الباطل .

ثم فى رواية يوحنا مخالفة أخرى لبقية الأناجيل وذلك اذ يقول ان المسيح عليه السلام حينما قال له الوالى أأنت ملك اليهود قال له : " أمن ذاتك تقول

---

(١) يوحنا ١٨ : ٢٨ ـ ٣٨

هذا أم آخرون قالوا لك عنى ؟ " بينما لم يرد فى بقية الأناجيل جواب المسيح الا بقوله ، " أنت تقول " والفرق بين الاجابتين واضح لأن قوله ، أنت تقول اخبار للوالى بأنه يدعى عليه هذا القول . وأما قوله ، أمن ذاتك تقول هذا الخ فمعناه انشاء يستفسر فيه المسيح من الوالى عمن صدر منه هذا الادعاء أمن ذات الوالى أم من أشخاص آخرين ؟ والروايتان اذا تتدافعان مثل سابقتهما ولما وجد اليهود أن الوالى بيلاطس لا يريد قتل المسيح وأنه قال ، لا أجد علة فى هذا الانسان ، صرخوا قائلين : اصلبه اصلبه . ولما اشتد شغبهم وصراخهم وافق بيلاطس على صلبه .

وهنا يذكر متى أن الوالى الرومانى غسل يديه قدام الجميع وقال انى برىء من دم هذا البار ، ولم تذكر بقية الأناجيل غسل الوالى ليديه للدلالة على براءته من دم المسيح .

وبعد أن أسلمه الوالى ليصلب أخذه الجند وجمعوا عليه كل الكتيبة ، فعروه وألبسوه لباسا أرجوانيا ، وضفروا اكليلا من الشوك ووضعوه على رأسه ، ووضعوا فى يده اليمنى قصبة ، وأخذوا يسجدون أمامه ويسخرون منه قائلين له ، السلام يا ملك اليهود ، وكانوا يبصقون عليه ويضربونه على رأسه ، ثم نزعوا عنه اللباس وألبسوه ثيابه ثم أخذوه ليصلب .

يقول مرقس : " فمضى به العسكر الى داخل الدار التى هى دار الولاية وجمعوا كل الكتيبة وألبسوه أرجوانا وضفروا اكليلا من شوك ووضعوه عليه وابتدأوا يسلمون عليه قائلين ، السلام يا ملك اليهود ، وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه ثم يسجدون له جاثين على ركبهم . وبعد ما استهزأوا به ، نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه " (١)

ثم تذكر الأناجيل الثلاثة ما عدا انجيل (يوحنا) أن الجنود سخروا رجلا قيروانيا اسمه سمعان لحمل الصليب الذى يريدون صلب المسيح عليه فحمله خلف المسيح ، يقول متى :

" وفيما هم خارجون ، وجدوا انسانا قيروانيا اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه " (٢) وهكذا يقول مرقس ولوقا . أما يوحنا ، فينفرد كعادته بقوله :

---

(١) مرقس ١٥ : ١٦ ـ ٢٠
(٢) متى ٢٧ : ٣٢

" فأخذوا يسوع ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه الى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة حيث صلبوه وصلبوا اثنين آخرين معه من هنا ومن هنا ويسوع فى الوسط " (١)

وكما يتضح من رواية يوحنا فان المسيح هو الذى حمل الصليب لا غيره ولكن الأناجيل الثلاثة خالفته واتفقت على أن حامل الصليب هو سمعان القيروانى لا المسيح ثم تتفق الأناجيل الثلاثة ماعدا لوقا على أن المسيح صلب ومعه لصان : أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وأنهما كانا يعيرانه مع سائر الناس قائلين له : خلص نفسك ، ان كنت ابن الله فانزل عن الصليب وينفرد لوقا بذكره أن أحد هؤلاء فقط هو الذى جدف عليه قائلا ان كنت أنت المسيح فخلص نفسك وايانا وأما الآخر فقد انتهره عن ذلك قائلا أما تخاف الله ؟ وفى هذا أيضا تدافع فى رواية الأناجيل.

وتذكر الأناجيل الثلاثة عدا انجيل يوحنا أن المسيح عليه السلام حينما صلب انشق حجاب الهيكل الى اثنين ، أما انجيل يوحنا فلم يذكر ذلك.
وانفرد متى فى انجيله بذكر زلزال حدث عند صلبه ، وكذلك انشقاق الصخور وانفتاح القبور وخروج كثير من الموتى منها.

وكذلك تتفق الأناجيل الثلاثة ما عدا يوحنا فى ذكر ظلمة حدثت على كل الأرض عند حادثة الصلب من الساعة السادسة حتى الساعة التاسعة ، حينما توفى وهو على الصليب بعد أن صرخ بصوت عظيم ، ولم يذكر يوحنا شيئا من هذه الظلمة فى انجيله.

وبما أن الأناجيل الثلاثة المذكورة قد تقاربت روايتها نكتفى بذكر نص واحد منها ثم يذكر نص من انجيل يوحنا فى مقابل ذلك.

يقول متى : " ولما أتوا الى موضع يقال له جلجثة وهو المسمى موضع الجمجمة أعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب ، ولما ذاق لم يرد أن يشرب ، ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ... حينئذ صلب معه لصان ، واحد عن اليمين وواحد عن اليسار ، وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين : يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلص نفسك ، ان كنت ابن الله فانزل عن الصليب ، وكذلك

(١) يوحنا ١٩ : ١٦ـ١٨

رؤساء الكهنة أيضا وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا خلص آخرين وأما نفسه فمايقدر أن يخلصها ان كان هو ملك اسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به — قد اتكل على الله فلينقذه الآن ان أراده لانه قال أنا ابن الله وبذلك أيضا كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه • ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الارض الى الساعة التاسعة ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ، ايلى ايلى لما شبقتنى أى الهى الهى لماذا تركتنى ؟! فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا انه ينادى ايليا ، وللوقت ركض واحد منهم وأخذ اسفنجة وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه ، وأما الباقون فقالوا اترك لنرى هل يأتى ايليا يخلصه ؟ فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح واذا حجاب الهيكل قد انشق الى اثنين من فوق الى أسفل " (١)

هذه رواية (متى) لحادثة الصلب وما رافقها من حوادث ، ونحو هذا يروى كل من لوقا ومرقس • وأما يوحنا فقد روى ذلك بقوله :

" فأخذوا يسوع ومضوا به ، فخرج وهو حامل صليبه الى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة ويقال لها بالعبرانية جلجثة حيث صلبوه وصلبوا اثنين آخرين معه من هنا ومن هنا ويسوع فى الوسط وكتب بيلاطس عنوانا ووضعه على الصليب وكان مكتوبا يسوع الناصرى ملك اليهود فقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود لان المكان الذى صلب فيه يسوع كان قريبا من المدينة وكان مكتوبا بالعبرانية واللاتينية واليونانية فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس ، لا تكتب ملك اليهود بل ان ذاك قال أنا ملك اليهود • أجاب بيلاطس ، ما كتبت قد كتبت ، ثم ان العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكرى قسما وأخذوا القميص أيضا ••• وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية • فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه واقفا قال لامه ، يا امرأة هوذا ابنك ثم قال للتلميذ هوذا أمك ومن تلك الساعة أخذها التلميذ الى خاصته بعد هذا رأى يسوع أن كل شىء قد كمل فلكى يتم الكتاب قال أنا عطشان وكان اناء موضوعا مملوءا خلا فملأوا اسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها الى فمه فلما أخذ يسوع الخل ، قال قد أكمل ونكس رأسه وأسلم الروح " (٢)

---

(١) متى ٢٧ : ٣٣ــ٥١
(٢) يوحنا ١٩ : ١٦ــ٣٠

هذه ، خلاصة ما أتى به كتبة الأناجيل فى حديثهم عن صلب المسيح والحوادث التى اقترنت بذلك ، وهى تتفق وتتشابه أحيانا ، وتختلف وتتناقض أحيانا وقد رأينا ذلك واضحا فى تلك النصوص التى سبق عرضها ومقارنة بعضها ببعض ، ولو لا خوف الاطالة ، لنقلنا كثيرا من ذلك التناقض ولكنا اكتفينا بما مضى لصعوبة الاستقصاء لتلك الروايات المتدافعة لان ما لا يدرك كله لا يترك جله ، وخير الكلام ما أفاد المرام .

الصلب والادلة الانجيلية المنافية له

تحدثت الاناجيل الاربعة عن صلب المسيح وأجمعت عليه ، واختلفت رواياتها في كثير مما اقترن بحادثة الصلب من أحداث بشكل يدعو الى القول بعدم صحة صلب المسيح .

وليس من شك في أن الروايات الانجيلية وان كانت متضاربة في أغلب مواضيعها فان في بعضها معالم الصدق والواقعية . ومن ذلك البعض تلك الروايات الدالة على أن المسيح رسول من قبل الله عز وجل ، وأنه خاضع لمشيئته ، وأن الله تعالى أعظم منه ،وأنه الهه وملجؤه ، وقد دلت بجانب ذلك على أن المسيح لم يصلب.

ومن تلك النصوص الدالة على عدم صلبه :

ما جاء في روايات الأناجيل المختلفة من أن المسيح حينما قبض عليه لم يجب على أسئلة رئيس الكهنة ولا على أسئلة الوالي الروماني . وكانت الأسئلة تشتمل على كثير من الادعاءات اليهودية ضد المسيح ، وهي ادعاءات كاذبة ينبغي على قادة الحق أن يفندوها باظهار كذبها وهو أمر لم يفعله المسيح حسب روايات الأناجيل ولا يليق ذلك بمقام النبوة فضلا عن أن يليق بمقام الألوهية كما يعتقد النصارى ذلك.

فالمسيح حسب روايات الأناجيل لم يكن موقفه موقف البطل الشجاع الذي يقاوم الظلم ويبذل نفسه رخيصة في سبيل مناصرة الحق الذي جاء به ،بل كان حزينا مكتئبا حينما علم بأن اليهود سيقبضون عليه. وقد ظهر ذلك جليا في صلاته المتكررة وتضرعه الى الله عز وجل لينجيه من الموت ، وفي قوله لتلاميذه ، نفسي حزينة جدا حتى الموت.

فكيف يوصف المسيح بالحزن الشديد وعدم رضاه عن الصلب وبطلبه النجاة من الله مع أنه انما جاء ليكفر عن خطيئة البشر ؟ أمن المعقول أن يتطرق الحزن والخوف الى نفسه وهو الذي بيده مقاليد السموات والأرض كما يقول النصارى ؟ !

وكذلك ما جاء في الأناجيل من صراخه المدوى وهو على الصليب قائلا ، — الهي الهي لماذا تركتني — لا يتناسب ما يدعيه المسيحيون من ألوهيته ، وفضلا

عن ذلك فانه لا يليق بمقام النبوة .

ومخاطبته لربه قائلا الهى الهى ، تدل على عبوديته لله عز وجل ، وتدحض حجة النصارى القائلين بألوهيته .

وما نسب اليه من قوله لربه : لماذا تركتنى ، يدل على أنه غير راض بقضاء الله وقدره . وهذا يتعارض مع مقام النبوة اذ لا يمكن لنبى أن يناجى مولاه بقوله لماذا تركتنى . ثم انه دل على أن المسيح لم يأت ليكفر عن الخطيئة . ولو جاء لذلك لما كره أن يصلب ، ولما نادى ربه بقوله : لماذا تركتنى .

ثم انه مما يدل على أن اليهود والرومان لم يتمكنوا من القبض على المسيح ما جاء فى انجيل يوحنا من أن الجنود الرومانيين واليهود الذين جاءوا للقبض على المسيح رجعوا الى الوراء وسقطوا على الارض حينما قال لهم المسيح .. من تطلبون ؟ فقالوا له يسوع الناصرى ، وقال لهم أنا هو .

ورجوعهم الى الوراء وسقوطهم على الارض لم يكن عبثا وانما كان لامر دهاهم ، فلم يستطيعوا الثبات لاجله فتقهقروا وسقطوا . ولعل المسيح عليه السلام رفع فى ذلك الوقت ، ويقوى هذا الاحتمال كون تلاميذ المسيح هربوا من عنده ولم يبق لديه أحد منهم . وهذا كله يدل على أن المسيح لم يقبض عليه فضلا عن أن يصلب .

وفى القرون المسيحية الأولى ، أنكر فريق من فرقة الدوسيت المسيحية كون المسيح قد صلب ، ورأى أن شخصا آخر صلب مكانه . وأنه رفع حيا الى السماء . وقد ذكر هذا الاب فرنيسيس قريبه بقوله :

" أما تفسير الدوسيت فكان يضرب فى الخيال : فقد زعم البعض منهم أن سمعان القيروانى هو الذى صلب عوضا عن المسيح الذى رفع الى السماء " (١)

ومع أن رأى هذه الفرق فى الايمان بعدم صلب المسيح يتفق مع العقيدة الاسلامية ، فان تعيين شخص ما صلب عوضا عن المسيح غير وارد فى النصوص الاسلامية . والقرآن الكريم قد ذكر بعبارات صريحة أن اليهود لم يقتلوا المسيح ولم يصلبوه ولكنهم يدعون ذلك كذبا وافتراء . وسيأتى ذكر ذلك فى موضعه ان شاء الله تعالى .

---

(١) التجسد ص ٣٠

ولعل الايمان بصلب المسيح لدى المسيحيين لم يجمع عليه الا بعد انقراض من يعارضه من الفرق المسيحية المنتشرة فى ذلك العصر . وما جاء فى كلام الاب قريبه عن جماعة الدوسيت خير دليل على أن هذه القضية ، لم تكن فى ذلك الوقت قضية ثابتة واجبة التسليم .

ويؤيد ذلك صاحب تفسير المنار اذ يقول : " فقد أنكر الصلب منهم فرقة السيرنثيون والتاتيانوسيين ، أتباع تاتيانوس تلميذ يوستينوس الشهيد وقال فوتيوس : انه قرأ كتابا يسمى رحلة الرسل ، فيه أخبار بطرس ، ويوحنا وأندراوس وتوما ، وبولس ، ومما قرأ فيه : " أن المسيح لم يصلب . ولكن صلب غيره وقد ضحك بذلك من صالبيه " (١)

ويقول صاحب الرسالة الى العبرانيين متحدثا عن المسيح :ـ

" الذى فى أيام جسده اذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه " (٢) .

وهذا الكلام صريح فى أن الله تعالى نجى المسيح من الموت بعد طلبه وتضرعه له وسمع له دعاءه من أجل تقواه .

وكم كنا نود أن نرى آراء الفرق المعارضة لصلب المسيح مجتمعة لنوازن بينها وبين ما يراه من ذهب من المسيحيين الى أن صلب المسيح قضية مسلم بها . ولكن التعصب لرأى المعتقدين لصحة عقيدة الصلب ، هو الذى قضى على تلك الآراء ومايسندها من حجج وبراهين . وبالاضافة الى شبه المسيح الذى ألقى على المصلوب ، فان مما جعل المسيحيين يسلمون بصلب المسيح ولا يستسيغون سوى ذلك من العقيدة ، كونهم فقدوا زعيما كبيرا رأوا أعماله العظيمة وأقواله الحكيمة بطريقة غامضة لا تليق الا بغير العظماء من الناس .

ثم ان اليهود والجند الذين جاءوا للقبض عليه ، قد سقطوا على الارض حينما شاهدوا المسيح وسمعوا قوله لهم من تطلبون ؟ ... انى أنا هو . ولم يجدوا أمامهم غير يهوذا الذى أتى بهم والذى ندم على ذلك ورد الفضة التى أخذها

---

(١) تفسير المنار جـ ٦ ص ٣٤ ـ ٣٥ (٢) عبرانيين ٥ : ٧

ثمنا لذلك كما تقول رواية متى في انجيله ،ويكفي هذا التراجع من يهوذا أن يثير غضب اليهود عليه وخاصة بعدما دهشوا وسقطوا على الارض مذهولين ولم يجدوا المسيح أمامهم ،فانتقموا من يهوذا وشفوا غليلهم بصلبه وهو راض بذلك لندمه على ما أقدم عليه . ثم أشاع اليهود أن المسيح قد صلب وأنهم قد قتلوه فاجتمع في هذا ندم يهوذا وغضب اليهود ، والقاء شبه المسيح عليه ،وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم . (١)

فأخذ المسيحيون كلام اليهود على علاته ، وفسروا صلبه بأنه انما حصل لتطهير البشر عن خطيئة آدم . ولم يكونوا فيما سمعوه من اليهود من صلبه وقتله على بينة بل هم في شك منه ،(مالهم به من علم الا اتباع الظن) . ولم تكن قضية الصلب خالية من المعارضة في تلك العصور ، ولذلك ركز مناصرو عقيدة الصلب جل أفكارهم على دعوة المسيحيين الى الايمان بالصلب ايمانا لا يقبل الجدل واعتبروه عقيدة يكفر من ينكرها . ولغرابة هذه القضية وبعدها عن المنطق ،تعرضت لكثير من النقاش والجدل ولا تزال كذلك حتى يومنا هذا . ولذلك يقول عوض سمعان :

" ليست هناك قضية ناقشها التاريخ وحنتها الأجيال مثل قضية صلب المسيح

---

(١) اننا نشك في صحة ما رواه كتاب الاناجيل من أن تلاميذ المسيح وأتباعه كانوا حاضرين محاكمة وصلب المسيح . وذلك لخوفهم من الاعداء . ويدل على ذلك خوف بطرس من الاعتراف بأنه من تلاميذه ، وذلك حينما تبعه من بعيد الى دار رئيس الكهنة بعد القبض عليه وأرجح كون تلاميذ المسيح لم يكونوا حاضرين عند الصلب . يقول ابن حزم : " وقوله تعالى وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم " وانما هو اخبار عن الذين يقولون تقليدا لأسلافهم من النصارى واليهود أنه عليه السلام قتل وصلب ، فهؤلاء شبه لهم القول أي أدخلوا في شبهة منهوكان المشبهون لهم شيوخ السوء في ذلك الوقت وشرطهم المدعون أنهم قتلوه وصلبوه وهم يعلمون أنه لم يكن ذلك وانما أخذوا من أمكنهم فقتلوه وصلبوه في استتار ومنع من حضور الناس ثم أنزلوه ودفنوه تمويها على العامة التي شبه الخبر لها " . الفصل ص ٦٠ جـ١ مؤسسة الخانجي بمصر .

فهى القضية المطروحة على الجنس البشرى مايقرب من ألفى عام وقال فيها كثيرون منذ ذلك المهد ما قالوا " (١)

وعوض سمعان ذكر هذا النص فى مقدمة كتابه الذى سماه ، " قضية الصلب بين الدفاع والمعارضة " . وهذا الكتاب كما يتضح من عنوانه ـ وضع للرد على من ينكر صلب المسيح ولم يذكر من هم أولئك الذين ينكرون الصلب ، أهم مسيحيون أم غيرهم ؟ وأغلب الظن أن أولئك المعارضين من غير المسيحيين لورود بعض ما يشير الى ذلك من كلام عوض سمعان نفسه وذلك حيث يقول :

" لكن ثمة أشخاصا يعتقدون أن هناك آيات فى الكتاب المقدس تنكر صلب المسيح ، كما أن هناك أدلة تثبت أن تلاميذه هم الذين ألفوا أو لفقوا حادثة صلبه " (٢) .

واتهام تلاميذ المسيح بالتأليف والتلفيق لحادثة الصلب ، أمر لا يجرؤ عليه المسيحيون لأنهم يعتقدون أنهم رسل المسيح يكتبون ما يكتبونه بالوحى الالهى اليهم .

وما من شك فى أن النصوص الواردة فى الأناجيل وغيرها من رسائل التلاميذ لا تتفق فى الحديث عن قصة الصلب وقد أسلفنا نماذج من ذلك ـ واذا عدنا الى قصة وفاة يهوذا الاسخريوطى نجد متى يقول انه خنق نفسه بعد ما ندم على تواطئه مع اليهود . أما لوقا فقد قال فى أعمال الرسل : " سقط على وجهه . . انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها وصار ذلك معلوما عند جميع سكان أورشليم " (٣)

ويذكر متى أن اليهود اشتروا بالفضة التى أعادها يهوذا ، حقل الفخارى ليكون مقبرة للغرباء . (٤)

وأما لوقا فيقول ، " فان هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم " (٥)

---

(١) قضية الصلب بين الدفاع والمعارضة ص ٣ صدر عن دار التأليف والنشر ـ للكنيسة الاسقفية بالقاهرة . ١٩٧٣م .
(٢) نفس المرجع والصفحة (٣) أعمال الرسل ١ : ١٨ ـ ١٩ .
(٤) متى ٢٧ : ٧ (٥) أعمال الرسل ١ : ١٨

ولا يمكن أن يجمع بين الروايتين لانهما فى اختلاف وتعارض بين .

وأما ما جمع به عوض سمعان من أن اسناد هذا العمل الى اليهود اسناد مجازى قائلا ، " وان كان رؤساء الكهنة هم الذين اشتروا الحقل لكن بشرائهم اياه بالمبلغ الذى أعاده يهوذا اليهم يعتبر يهوذا هو المشترى لهذا الحقل ومن ثم يكون هو الذى اقتناه " (١) فأمر فيه تكلف وتعسف . لأن رؤساء الكهنة لم يشتروا ليهوذا بمشورته للاقتناء ولكنهم اشتروه بالتشاور فيما بينهم ليكون مقبرة للغرباء ولو كان رؤساء الكهنة اشتروا الحقل ليقتنيه يهوذا وكان يهوذا موافقا على ذلك لاستقام الكلام ، ولكنهم اشتروه لغرض خاص رأوه ، وبلا مشورة من يهوذا وعلى رواية متى ليس ليهوذا أية صلة بشراء الحقل وعلى رواية لوقا ، ليست لليهود أية صلة بشراء الحقل كما ليس فى روايته ذكر لاعادة الفضة الى اليهود .

وأخيرا اذا كان المسيح قد أخبر تلاميذه بأنه سيصلب ، وأن ذلك لا يكون الا لخير البشرية ، فلماذا انزعج تلاميذه وهربوا عنه حينما قبض عليه ؟ ولماذا لم يستقبلوا الجند واليهود الذين جاءوا للقبض عليه بالقبول والترحيب بدلا من الهرب طالما أن اليهود جاءوا لينفذوا مقتضى الرحمة الالهية فى خلاص البشرية بصلب المسيح ؟ ولماذا يتخذ المسيحيون اليهود أعداء لهم وللمسيح أيضا ، من أجل صلبهم للمسيح ، مادام قتله لم يكن الا لخير الانسانية؟

ثم لماذا طلب اليهود من يهوذا أن يدلهم على المسيح وأعطوه ثمنا على ذلك وهم يعرفون المسيح كما يعرفون أبناءهم ؟ وليس أدل على وضع قصة الصلب من هذه الامور .

---

(١) قضية الصلب بين الدفاع والمعارضة ص ١٤٢ .

قيامة المسيح كما ذكرتها الأناجيل

يرى المسيحيون أن المسيح عليه السلام صلب ودفن وبعد ثلاثة أيام من وفاته قام من القبر ، فوجد القبر الذى وضع فيه فارغا والحجر الذى عليه قد أزيح وأن كثيرين من تلاميذه شاهدوه بعد ذلك حيث اجتمع بهم .

وقد ذكرت الاناجيل الاربعة قيامة المسيح من القبر واجتماعه بتلاميذه وما جرى بينه وبينهم من حديث ، ويؤمن المسيحيون بهذا فى الوقت الحاضر ايمانا لايقبل النقاش ولا الجدل . ويرون الايمان بذلك أحد أركان العقيدة المسيحية .

ومما جاء عن المسيحيين فى ذلك ما قاله الاب بولس الياس اليسوعى ، " مات المسيح على الصليب ميتة المجرمين ، لكنه قام ولما تنقض على موته ثلاثة أيام أسلم الروح يوم الجمعة فى الساعة الثالثة بعد الظهر وأنزل يوسف الرامى جسده عن الصليب بعد مضى ساعات قضاها فى الاستئذان بدفنه من بيلاطس البنطى مندوب روما فى فلسطين ، ثم وضعه فى قبر جديد على مشهد من بعض الاصدقاء ، يوحنا ونيقوديموس وبعض من النساء اللواتى تطوعن لخدمته يوم كان يطوف فى نواحى فلسطين للتبشير ، وبعد دفنه تقدم الفريسيون ورؤساء الكهنة من بيلاطس بطلب التمسوا فيه تشديد الرقابة فى حراسة القبر خوفا ـ على زعمهم ـ من أن يقوم التلاميذ على سرقة الجثة ، ويروحوا يوهمون الناس بأنه قد قام من بين الاموات فأجيبوا الى ملتمسهم وكان لهم ما أرادوا " (١)

أما الأناجيل فقد روت حادثة القيامة بأشكال مختلفة يمكن للقارئ أن يرى من خلالها ملامح الوضع .

يقول متى : " وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع ، جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر ، واذا زلزلة عظيمة حدثت لان ملاك الرب نزل من السماء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه ، وكان منظره كالبرق ، ولباسه أبيض كالثلج ، فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات ، فأجاب الملاك وقال للمرأتين ، لا تخافا أنتما فانى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب ، ليس

---

(١) يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه ص ١٤٨ .

هو ههنا ، لانه قام كما قال هلما انظرا الموضع الذى كان الرب مضجعا فيه ، واذهبا سريعا ، قولا لتلاميذه ، انه قد قام من الأموات ها هو يسبقكم الى الجليل هناك ترونه ، ها أنا قد قلت لكما ، فخرجتا سريعا من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه ، وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه ، اذا يسوع لاقاهما وقال سلام لكما ، فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له ، فقال لهما يسوع ، لا تخافا اذهبا قولا لاخوتى أن يذهبوا الى الجليل ، وهناك يروننى " ١ "

ثم ذكر متى أن التلاميذ بعدما أخبروا بقيامة المسيح ، انطلقوا الى الجليل وهناك رأوه وسجدوا له الا أن بعضهم قد شك ، ولكن المسيح طمأن الجميع بأن قال لهم " دفع الى كل سلطان فى السماء وعلى الارض ، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر " (٢)

أما مرقس ، فبعد أن روى أن النسوة رأين شابا يلبس حلة بيضاء ـ وهو ماسماه متى ملاكا ـ ذكر أن النسوة لم يخبرن أحدا بما رأينه وذلك اذ يقول :

" وهربن من القبر لان الرعدة والحيرة أخذتاهن ولم يقلن لأحد شيئا " (٣)

أما لوقا فقد روى ذلك على النحو التالى :

" ثم فى أول الأسبوع أول الفجر أتين الى القبر حاملات الحنوط الذى أعددنه ومعهن أناس فوجدن الحجر مدحرجا عن القبر فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع . وفيما هن محتارات فى ذلك اذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة واذ كن خائفات ومنكسات وجوههن الى الأرض قالا لهن ، لماذا تطلبن الحى بين الأموات ؟ ليس هو ههنا لكنه قام " (٤)

ثم ذكر لوقا أن الرجلين ذكرا النسوة بما قال المسيح قبل الصلب من أنه سيقوم فتذكرن ورجعن من القبر وأخبرن تلاميذ المسيح الأحد عشر بما رأينه وشهدنه .

---

(١) متى ٢٨ : ١ـ١٠ (٢) متى ٢٨ : ١٨ـ٢٠

(٣) مرقس ١٦ : ٨ (٤) لوقا ٢٤ : ١ـ٦

ثم يقول لوقا : " فتراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهن ، فقام بطرس وركض الى القبر فانحنى ونظر الاكفان موضوعة وحدها فمضى متعجبا فى نفسه مما كان " (١)

وأما يوحنا فيقول فى انجيله :

" وفى أول الاسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر باكرا والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر ، فركضت ، وجاءت الى سمعان بطرس والى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه وقالت لهما ، أخذوا السيد من القبر ، ولسنا نعلم أين وضعوه ، فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا الى القبر وكان الاثنان يركضان معا ، فسبق التلميذ الآخر بطرس ، وجاء أولا الى القبر ، وانحنى ونظر الاكفان موضوعة ، ولكنه لم يدخل ، ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الاكفان موضوعة والمنديل الذى كان على رأسه ليس موضوعا مع الاكفان بل ملفوفا فى موضع وحده ، فحينئذ دخل أيضا التلميذ الآخر الذى جاء أولا الى القبر ورأى فآمن ، لانهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب انه ينبغى أن يقوم من الاموات فمضى التلميذان أيضا الى موضعهما " (٢)

ثم ذكر يوحنا أن مريم كانت واقفة عند القبر وهى تبكى ، وانحنت نحو القبر وهى باكية ، فنظرت ملاكين جالسين وهما لابسان ثيابا بيضا ، وكان أحدهما جالسا عند الرأس والآخر عند الرجلين ، فسألاها لماذا تبكى ؟ فأجابتهما بأنهم أخذوا السيد ولاتعلم أين وضعوه ؟ ! ثم التفتت الى الوراء فرأت المسيح واقفا عندها غير أنها لم تعلم أنه هو ، فسألها المسيح لماذا تبكين ؟ ومن تطلبين؟ فحسبته شخصا آخر وسألته ماذا نقله هو من القبر أين وضعه ؟ حينئذ خاطبها ـ المسيح باسمها قائلا : يا مريم ؟ فعرفته ونادته بأن يامعلم ؟ فنهاها عن أن تلمسه قائلا ،" لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد الى أبى ولكن اذهبى الى اخوتى وقولى لهم ، انى أصعد الى أبى وأبيكم والهى والهكم فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنه قال لها هذا " (٣)

---

(١) لوقا ٢٤ : ١١ـ١٢
(٢) يوحنا ٢٠ : ١ـ١٠
(٣) يوحنا ٢٠ : ١٧ـ١٨

هذه هي روايات الأناجيل المختلفة لقصة قيامة المسيح عليه السلام وأول ما يلاحظ المرء من الاختلاف بين رواياتها ، هو عدد النسوة اللاتي أتين الى القبر وهن يردن رؤية جسد المسيح وذلك اذ يذكر متى أن مريم المجدلية ومريم الأخرى جاءتا لتنظرا القبر ، ويذكر مرقس أن النسوة كن ثلاثة وهن مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب ، وسالومة . ويروى لوقا أن عدد النسوة أكثر من ذلك اذ يذكر ،مريم المجدلية ،ومريم أم يعقوب ويونا ، ونساء أخريات لم يذكرهن الا بعبارة (والباقيات معهن اللواتي قلن هذا للرسل) وذكر أن أناسا كانوا معهن وأما يوحنا فلم يذكر غير مريم المجدلية .

وأما الاختلاف الثاني بين الأناجيل ، فيبدو في تفرد متى بذكر زلزلة عظيمة حدثت عند وصول المرأتين الى القبر ، وذكر نزول ملك من السماء لدحرجة الحجر عن القبر وذكر خوف شديد وقع على الحراس حتى صاروا كالأموات ، كما أنفرد بذكره أن الملاك دعا المرأتين لينظرا الموضع الذي كان المسيح مضجعا فيه قبل أن يقوم .

أما بقية الأناجيل فقد خلت من هذه الامور الأربعة .

وذكر مرقس أن النسوة رأين شابا بثياب بيض ، ولم يقل انه ملاك نزل من السماء وأن النسوة شاهدن نزوله .

وذكر لوقا أن النسوة شاهدن رجلين بثياب براقة وأنهما قالا لهن ، لماذا تطلبن الحي بين الأموات ، وذلك بعد أن دخلن القبر وفقدن جسد يسوع .

أما يوحنا ، فقد ذكر أن المرأة رأت داخل القبر ملاكين جالسين في الموضع الذي كان فيه جسد المسيح أحدهما جالس عند الرجلين والاخر عند الرأس .

وهذه الاختلافات في روايات الأناجيل تظهر مدى اضطرابها في حديث يعتبر لدى المسيحيين من أهم القضايا وأخطرها في الدين ، مما يجعل ملامح الوضع واضحة في صفحات الاناجيل .

ويذكر متى أن المرأتين عادتا من عند القبر فأخبرتا تلاميذ المسيح بقيامته وذهابه الى الجليل ، وطلبتا منهم اللحاق به هناك حسب طلب الملاك ، وأن —

التلاميذ انطلقوا نحو الجليل بعد سماعهم من المرأتين قيامة المسيح •
أما مرقس فيذكر أن النسوة لم يقلن لأحد شيئا لخوفهن الشديد لما رأينه غير انه ذكر أن المسيح ظهر لمريم المجدلية في ذلك اليوم ، ولما ذهبت أخبرت الذين كانوا مع المسيح برؤيتها له ، ولكنهم لم يصدقوا بماقالت لهم •

وأما لوقا فذكر أن النسوة حينما أخبرن تلاميذ المسيح بقيامته اعتبروا كلامهن كالهذيان ولم يصدقوهن حتى ذهب بطرس وتأكد بنفسه من صحة كلامهن ولما شاهد صدقهن تعجب في نفسه مما حدث •

وأما يوحنا ، فيروى أن مريم المجدلية حينما شاهدت خلوا القبر عن جسد يسوع ركضت فأخبرت سمعان بطرس وتلميذا آخر وصفه يوحنا بأنه الذى يحبه المسيح ويبدو أنه يريد به نفسه أخبرتهما بأن المسيح قد قام من القبر فذهب التلميذان راكضين نحو القبر فسبق أحدهما الآخر ثم تأكدا من صحة النبأ ولما شاهدا صحة الكلام صدقا وآمنا ، وكانا من قبل لا يدريان أن المسيح سيقوم من القبر •

والفقرة الأخيرة من كلام يوحنا تدل على أن قصة قيامة المسيح من الأسطورات موضوعة فيما بعد أى بعد غياب المسيح ، لأنه يستبعد أن يكون التلميذان غير عالمين بأن المسيح سيقوم ، وخاصة فان أحدهما تلميذ يحبه المسيح فكيف يخفى عليهما هذا الامر الذى يعتبر من أسس العقيدة المسيحية ؟
وبعد فهذا قليل من كثير مما تموج به الأناجيل الأربعة من اختلاف في قصة قيامة المسيح • ومع أنها تحدثت كثيرا عن ظهور المسيح للكثير من تلاميذه منفردين ومجتمعين في مرات عديدة ، فانها تختلف كالمعتاد في الحديث عن ذلك مما يؤكد عدم صحة قصة قيامة المسيح وما لفق من أجل ذلك من الاحاديث وهذه التناقضات • قليل من كثير يوجد في الاناجيل الاربعة ومن الصعب مناقشة ما ورد فيها كله •

———

الفصل الرابـــــع

بولس وأثـــره فى النصـرانيـــــــــــة

* — تمهيـــد
* — أصـــل بولس ونشأته
* — بولس فى حربه للمسيحيـــة
* — اعتنــــاق بولس المسيحيـــة
* — بولـــس ودعوتـــــه للنــــاس
* — بولــــس يواجــــه معارضـــــه
* — ارتـــداد النـــاس عن دعـــوة بولــــس
* — مؤلفـــــــــات بولـــــس

بولس وآثاره فى المسيحيـــة

تمهيـــد :

ولد المسيح عليه السلام فى فلسطين ببيت لحم فى أيام الملك هيرودس(١) ونشأ فى ربوعها وأقام فى مدينة الناصرة ، وعندما بلغ الثلاثين من عمره ، بدأ الدعوة الى الله عز وجل متنقلا بين قرى فلسطين ، واستمر ثلاث سنين فى دعوتـــــه وتبشيره للناس. (٢) ثم كان ما كان من أمره ، حيث انتهى وجوده على الأرض ولما تمض فترة طويلة على دعوته لبنى اسرائيل.

وفى تلك الفترة الوجيزة من الزمن ، نسب اليه من الأعمال مالو وزع علـــى أيام تلك السنوات الثلاث ، لضاقت بها ، الا أن هذا لا يستغرب ممن آتاه اللـــه الانجيل وأيده بروح القدس.

وبعد غياب المسيح عن الأنظار ، لم يبق لدى تلاميذه وأتباعه غير ما انتقش فى أذهانهم من ذكرياته وشمائله العطـرة التى يستحضرونها ويتأسون به من خـلال ذلك.

ومع أننا معشر المسلمين نؤمن بأن الله أنزل على المسيح عيسى ابن مريم كتابـا هو الأنجيل ، فان بعض المسيحيين ينكرون وجود كتاب أنزل (٣) علـــى المسيح ويفسرون معنى كلمة الانجيل الواردة فى كلام المسيح بالبشارة ،ولعل الـــذى حملهم على الانكار هو الاعتقاد بألوهية المسيح ، ومرتبة الألوهية أعلى من مرتبـــة الرسالة ولو اعترفوا بنزول الانجيل لكان ذلك اعترافا برسوليته ، وحطا له من مرتبـــة الألوهية ، ولهذا أنكروا وجود كتاب نزل على المسيح ، وقالوا انه لم يترك شيئا عنـد وفاته سوى الأنجيل الشفوى.

ولقد كان المسيح وأتباعه يعادون من قبل اليهود الذين بعث المسيح مـــع بينهم واليهم عداء أدى الى اختفائه ، والى انعزال التلاميذ وحيرتهم بعد غيابــه ،

(١) راجع متى ٢ : ١ (٢) راجع مقارنة الأديان لأحمد شلبى جـ المسيحيـــة ص ٥٢ الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٣م مطبعة السنة المحمدية (٣) راجع كتاب يسوع المسيح شخصية تعاليمه ص ١٤ وكتاب مصادر الكتاب المقدس للقس صموئيل مشرقى ص ٥٨ ـ ٥٩ طبع بمطبعة الأمانة بالقاهرة ١٩٧٣م.

ثم كانت هناك معاداة وملاحقات للمسيحيين من قبل اليهود ، والحكام الرومان فى كل مكان ، وحصلت لهم اضطهادات ومؤامرات .

وفى ذلك الجو القاتم الملىء بالرعب والمخاوف ، برز رجل يهودى يدعى شاول " بولس الرسول فيما بعد " وتولى كبر ما حصل لأتباع المسيح من التعذيب والتنكيل .

وفجأة ولأمر ما ، غير شاول موقفه من المسيحيين فاعتنق المسيحية ،وتحول من متعقب للمسيحيين ومؤذ لهم ، الى مؤمن بالمسيحية ، وداع يبشر بهـا بين الأمم .

واذا كانت مؤلفات الشخص وكتبه تعطى صورة واضحة عن حياته،واتجاهاته وأفكاره الدينية والسياسية ، فان مؤلفات بولس ورسائله العديدة التى بعثها فى البلدان المختلفة ، خير مترجم لنا عن ذلك ، وسنرى فى رسائله الشهيرة الكثيرة ما يجعلنا نحكم بأنه ،اما مسيحى أخلص للمسيحية ، أو يهودى ماكر كاد للمسيحية فى مهدها فهدمها وأقام على أطلالها مسيحية بولسية ليس لها من دين المسيح غير الاسم .

أصـــل بولـــس ونشأتـــــــــه

وفى رسالة أعمال الرسل المنسوبة الى بولس يقول بولس عن نفسه انه رومانـــى ، وفى نفس الرسالة أيضا يقول انه اسرائيلى من نسل ابراهيم وأنه يهودى ولــــد بطرسوس.

اذ يقول بولس حينما قبض عليه ومد للسياط : " أيجوز لكم أن تجلدوا انسانـــا رومانيا غير مقضى عليه .... فجاء الأمـير وقال له : قل لى أنت رومانى ؟ فقـال نعم ، فأجاب الأمـير : أما أنا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية ، فقال بولس :أمـا أنا فقد ولدت فيها " (١)

وجاء فى أعمال الرسل أيضا أن بولس قبض عليه ومعه شخص آخر " فقام الجمـع معا عليهما ومزق الولاة ثيابهما وأمروا أن يضربا بالعصى فوضعوا عليهما ضربات كثـــيرة وألقوهما فى السجن " (٢) وجاء فيه أن بولس حينما جاء الأمـر باخراجهما مـــن السجـــن قال : " ضربونا جهـــرا غير مقضى علينا ، ونحن رجلان رومانيان وألقونـا فى السجـــن " (٣)

فى هذين النصين ذكر بولس أنه رجل رومانى وفى مواضع أخرى يقول بولس عن نفسه : " لأنـــى أنا أيضا اسرائيلى من نسل ابراهيم من سبط بنيامين " (٤) ويقول أيضا : " أنا رجل يهودى ولدت فى طرطوس كيليكيـــة ...." (٥)
كما يقول : " أيها الرجال الاخوة أنا فريســـى على رجاء قيامة الأموات" (٦)

وحينما نقارن بين هذه النصوص ، نجد بينها تناقضا جليا ، لأنه صرح فـــى النص الأول والثانى بأنه رومانى ، وفى بقية النصوص ذكر أنه اسرائيلى من أهل طرسوس وفريسى يدين باليهودية ، وهذا التباين يجعلنا فى شك من ترجمته التى قدمهـــا بولس لنفســـه .

---

(١) أعمال الرسل ٢٢ : ٢٥ ـ ٢٨ (٢) أعمال الرسل ١٦ : ٢٢ـ٢٣
(٣) أعمال الرسل ١٦ : ٣٧ (٤) رومية ١١ : ١
(٥) أعمال الرسل ٢٢ : ٣ (٦) أعمال الرسل ٢٣ : ٦

ولقد قيل في شأن هذا التباين أن بولس لم يكن رومانيا ولكنه ذكر أنـــه روماني ليسلم من الجلد والعقاب ،وهو في الحقيقة لم يكن الا اسرائيليا ، ذكـر هذا الشيخ محمد أبو زهرة (١) رحمه الله ، ولكننا لا نرى هذا الرأى معه ، لأن النص الثاني ذكر أنه قال ضربونا جهرا غير مقضى علينا ونحن رجلان رومانيان" ولم يقل ذلك الا بعد الضرب عند ما طلب منه الخروج من السجن ونحن أمام هـذه النصوص لا نستطيع أن نجزم بأن بولس كان من بني اسرائيل ، أو أنه كان مـن الرومان بسبب تدافع الأدلة التي ذكرناها هنا ، وهي من أجل ذلك ، لاتوقفنا على حقيقة هذا الرجل الغامض الذي يحير الألباب بأفكاره وتصرفاته المتخالفـة ، وليس ببعيد أن يكون الرجل في حقيقته وثنيا يتظاهر عند كل أصحاب الديانـات باعتناقه لديانتهم واخلاصه وتفانيه في الدعوة اليها ، وهو يذكر عن نفسه أنه نشـأ في اليهودية وترعرع فيها وكان غيورا عليهـا ، وفي سبيل ذلك اضطهد المسيحيين اضطهادا عظيما أدى الى وفاة كثير منهم وسجن آخرين ، ثم تحول نحو المسيحية في لحظة وانقلب من المعاداة لها الى المناداة بها والدعوة اليها ، وهو لـم يتلق من العلم بالدين المسيحي ما يجعله يقوم بتلك الأعمال المضنية في الدعـوة الى المسيحية وتعليمها ونشرها بين الأمم ، حتى أصبح صاحب تشريع في المسيحية يرجع اليه في حياته ، والى رسائله الكثيرة بعد مماته ، وسيتضح هذا كله في المباحث الاتيـة ان شاء اللـه تعالـى .

---

(١) محمد أبو زهرة محاضرات في النصرانية ص ٨٠ طبعة دار النصر بالقاهرة.

بولس فى حربه للمسيحية

جاء فى سفر أعمال الرسل ذكر ما قام به بولس قبل دخوله فى المسيحية من محاربة للمسيحين حيث يقول كاتبه :

" وأما شاول ، فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم الى السجن " (١)

وقال أيضا : " أما شاول ، فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب " (٢)

ويقول بولس عن مقاومته وحربه للمسيحية : " وكنت غيورا لله كما أنتم اليوم واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيدا ومسلما الى السجون رجالا ونساء كما يشهد لى أيضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين اذ أخذت أيضا منهم رسائل للاخوة الى دمشق ذهبت لآتى بالذين هناك الى أورشليم مقيدين لكى يعاقبوا " (٣)

ويقول كذلك فى رسالته الى أهل غلاطيه : " فانكم سمعتم بسيرتى قبلا فى الديانة اليهودية انى كنت اضطهد كنيسة الله بافراط وأتلفها وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثيرين من أترابى فى جنسى اذ كنت أوفر غيرة فى تقليدات آبائى " . (٤) .

هذا هو شاول قبل أن يصبح بولس الرسول فى المسيحية وهو لم يأل جهدا فى مطاردة المسيحيين والزج بهم فى السجون رجالا ونساء ، وهو فى كل ما عمل لم يكن سوى واحد من الغيورين اليهود المتمسكين بتقليدات الآباء وسلوكهم .

وعندما انقلب شاول فجأة من اليهودية وغيرته عليها تحول بنفس الحماس والغيرة نحو المسيحية ، وفاق فى ذلك أولئك المسيحيين الذين سبقوه فى اعتناق المسيحية ، والايمان بها والذين هم على علم بدعوة المسيح وسيرته أكثر منه .

---

(١) اعمال الرسل ٨ : ٣ (٢) اعمال الرسل ٩ : ١ (٣) اعمال الرسل ٢٢ : ٣
(٤) غلاطية الرسل ١ : ١٣ ـ ١٤

الا أن حماسه للمسيحية لم يكن حماسا منهجيا التزم فيه شاول بمنهج المسيح وشريعته ،بل كان مذهبا مستقلا لا يمت الى المسيحية بصلة غير الاسم كما لا تربطه باليهودية صلة ما • وهذا كله ما سنراه فى دراستنا لمنهج بولس فى الدعوة نحو المسيحية فيما سيأتى باذن الله تعالى •

اعتنـــاق (بولـس) المسيحيـة

واذا انتقلنا الى قصة اعتناق بولس للمسيحية ، نجد أن سفر الاعمال هو الذى تولى الحديث عن دخوله فى المسيحية وبين الأسباب التى حملتـــه على اعتناقه لها ٠

ففيـه ورد أن شاول كان ذاهبا الى دمشق ليأتى بالمسيحيين الذين فيها بالمسيحيين الذين فيها مقيدين الى أورشليم وبينما هو فى طريقه الى دمشـــق أبرق له نور وسمع صوتا يقول :

" شاول شاول لماذا تضطهدنى ؟ فقال من أنت يا سيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذى أنت تضطهده ، صعب عليك أن ترفس مناخس ، فقال وهـــو مرتعد ومتحير ما تريد أن أفعل فقال له الرب قم وأدخل المدينة فيقال لـــك ماذا ينبغى أن تفعل ؟ وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا ، فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصـــر أحدا فاقتادوه بيده وأدخلوه الى دمشق وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولـــم يشرب وكان فى دمشق تلميذ اسمه حنانيا فقال له الرب فى رؤيا : يا حنانيا فقال : ها أنا ذا يارب فقال له الرب قم واذهب الى الزقاق الذى يقال له المستقيم واطلـــب فى بيت يهوذا رجلا طرسوسيا اسمه شاول لأنه هوذا يصلى وقد رأى فى رؤيـــا رجلا اسمه حنانيا داخلا وواضعا يده عليه لكى يبصر فأجاب حنانيا : يارب قـــد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل كم من الشرور فعل بقديسيك فى أورشليم وههنـــا له سلطان من قبل رؤساء الكهنة أن يوثق جميع الذين يدعون باسمك فقال له الرب: اذهب لأن هذا لى اناء مختار ليحمل اسمى أمام أمم وملوك وبنى اسرائيل لأنـــى سأريـــه كم ينبغى أن يتألم من أجل اسمى " (١)

ثم جاء فى السفـر أن حنانيا ذهب الى شاول وفعل ما أمر به فوقع من عينيه شئ مثل القشـور فأبصر فى الحال ثم اعتمد وتناول طعاما فتقوى ، ولم تطـــل

---

(١) اعمال الرسل ٩: ٤ ـ ١٦ ٠

اقامته بدمشق بعد ذلك حتى بدأ يدعو جهرا الى المسيحية ، وفى ذلك يقول صاحب سفر الأعمال :

" وكان شاول مع التلاميذ الذين فى دمشق أياما وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا أليس هذا هو الذى أهلك فى أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم وقد جاء الى هنا لهذا ليسوقهم موثقين الى رؤساء الكهنة ، وأما شاول فكان يزداد قوة ويحير اليهود الساكنين فى دمشق محققا أن هذا هو المسيح " (١)

هذه هى قصة اعتناق بولس للمسيحية التى كان قد اضطهد أصحابها كثيرا ، وهى قصة غريبة غرابة تدعو الى النظر الطويل .

لقد دخل شاول فى المسيحية بعد وصوله الى دمشق على يد حنانيا كما سبق الكلام عن ذلك ، وبعد ذلك ، أخذ يدعو الى المسيحية بحماس لا نظير له حتى بين أولئك التلاميذ الذين شاهدوا المسيح وأخذوا عنه المسيحية مشافهة . وقد وجد أولئك التلاميذ فى تغير موقف شاول واعتناقه للمسيحية العزاء الكبير فيما نالهم بعد غياب المسيح من اضطهادات ونكبات ، وأعطوه كل الثقة وأدخلوه بينهم حتى أصبح شريكهم فى التبشير والدعوة الى المسيحية وطاف بكثير من البلدان داعيا أمما قد احتوتهم مظلة السلطة الرومانية .

ولكن ما مصدر تلك المسيحية التى نشرها بولس فى الآفاق ؟ هل تلقاها وتعلمها من تلاميذ المسيح الذين شافهوه ثم نشرها ؟ أو انه تظاهر باعتناقه للمسيحية ونشر ما لديه عن أفكار تموج فى أذهانه مغلفة بغلاف المسيحية تمويها على من حوله من الناس البسطاء الذين لا يفهمون من الكلمات غير ظواهرها البراقة ؟ .

وللاجابة على هذه التساؤلات لن نتعب كثيرا ، لان شاول نفسه كفانا مؤنة الجواب اذ يقول : " وأعرفكم أيها الاخوة الانجيل الذى بشرت به انه ليس بحسب انسان لأنى لم أقبله من عند انسان ولا علمته بل باعلان يسوع المسيح " . (٢)

وكما يبدو من هذا النص ، فان بولس يدعى أن المسيح هو الذى علمه ولقنه

---

(١) اعمال الرسل ٩ : ١٩ ــ ٢٢

(٢) غلاطية ١ : ١١

ما يفيض به ذهنه من أفكار ، ولكن متى كان هذا الاعلان من المسيح لبولس ؟

لقد سبق أن عرضنا قصة اعتناق شاول للمسيحية حسب ورودها في سفر الأعمال ، والاجابة على هذا السؤال تحتاج الى العودة نحو تلك القصة.

حينما شاهد بولس ما شاهد من بريق وسمع ما سمع من صوت وهو ذاهب الى دمشق «قال وهو مرتعب ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل فقال له الرب : قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل" (١)

وبعد ما دخل شاول دمشق أتاه حنانيا بأمر من المسيح في رؤيا رآها ووضع يديه على شاول فقال له : " أيها الأخ شاول قد أرسلني الرب يسوع الذى ظهر لك في الطريق الذى جئت فيه لكى تبصر وتمتلىء من الروح القدس فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتمد وتناول طعاما فتقوى وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أياما ، وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله " . (٢)

وكما بدا لنا من هذا النص ، فان شاول لم يكلف نفسه عناء التعلم ، بل اكتفى بتحوله الفكرى فقط ، فقام يدعو الى المسيحية معلنا أنه تلقى ما يدعو اليه من المسيح مباشرة.

والذى وجدناه في قصة دخوله في المسيحية يدل على أن الذى ظهر له في الطريق عند رحيله الى دمشق ، لم يعلمه شيئا بل قال له : " قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل " ولم يتعلم شاول عن ذلك المرئي في الطريق كيف يدخل في المسيحية فضلا عن أن يتلقى منه انجيلا ينشره في الآفاق تلك الفترة الطويلة من حياته متنقلا بين الأمم ، كما أنه لم يتعلم من حنانيا شيئا غير الدخول في المسيحية ، واذا كان شاول قد احتاج الى حنانيا للدخول في المسيحية ، فكيف لم يحتج اليه أو الى غيره من أتباع المسيح في تلقى منهج الديانة المسيحية ؟ هذا أمر له خبىء !!!

---

(١) اعمال ٩ : ٦
(٢) اعمال ٩ : ١٧ـ٢٠

يقول الأب بولس الياس اليسوعي : " لا نكير أن شهادة القديس بولس أو كرازته تقسم بسمته الخاصة ، لأنها تحمل جزءا من حياته ، من حياة انسان تثقف ثقافة عبرية وهلينية عالية تتغذى طويلا من سحر النبوات والمزامير ، وتشبع من منطق أرسطو ونظريات أفلاطون ، ثم اهتدى الى معرفة يسوع المسيح بظهور روحي خاص مباشر من قبله ، فوقف على خدمته نفسه ، وتجند للكرازة بانجيله تعبيرا عن حبه له ، واقرارا له بصنيعه ، فسبك تعاليمه بأسلوبه وساقها الى النفوس بتفردية الحق . فكانت كرازته حياة تنبض بكل مافيها " (١)

وهذا القول يؤكد أن بولس لم يستق تعاليمه ولا ثقافته من مصدر واحد بل تعددت المصادر التي استفاد منها ثم مزجها بما كتبه عن المسيحية حتى أصبحت فيما بعد شريعة متبعة باسم المسيحية .

والأب بولس الياس قد ساق هذا النص في معرض تبرئته لبولس عن المخالفة في تعاليمه لتلاميذ المسيح الذين اقتصروا في أناجيلهم على سرد الوقائع التي حدثت في عهد المسيح ، والمواعظ والحكم التي كان يلقيها المسيح طوال السنوات الثلاث التي قضاها في دعوة بني اسرائيل ، ويدل على دفاع الأب بولس الياس عن بولس في هذا الصدد ما قاله بعد النص السابق مباشرة : " الا أنها بالرغم من تفرديتها الخاصة ، جاءت مطابقة كل المطابقة لتعاليم الانجيل ، لأن القديس بولس كان شديد الحرص على أن يعرض كرازته على الرسل . والتلاميذ من وقت الى آخر كي لا يحيد عن تعليمهم قيد الشعرة " (٢)

ولئن أورد الأب بولس الياس النص الأول وهو يحاول تبرئة بولس الرسول عن مخالفة المسيحية في تعاليمه ، فان النص المذكور يدل دلالة واضحة على مخالفة بولس لتعاليم السيد المسيح حيث انه قد تلقى معلوماته من مصادر مختلفة ، عبرية ، وهلينية ، وأرسطية ، وأفلاطونية ، ولا جدال في أن أغلب هذه المصادر ليست مسيحية .

---

(١) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ١٨١
(٢) نفس المصدر والصحيفة .

بولس فى دعوته للنـــــــــاس

جاء فى انجيل متى أن المسيح عليه السلام جاءته امرأة كنعانية فى تخوم صور وصيداء وهى تصرخ قائلة ارحمنى يا سيد يا ابن داود ابنتى مجنونة جدا فلـــم يجبها بكلمة ، ولما طلب من المسيح تلاميذه صرفها قائلين : اصرفها لأنهـــا تصيح وراءنا أجاب المسيح قائلا :

" لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة ، فأتت وسجدت له قائلة : — ياسيد أعنى فأجاب وقال ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب." (١)

ومع أننا نستغرب حدوث هذا النص عن المسيح عليه السلام على هذه الصـورة، فان ما ورد فيه من اختصاص رسالة المسيح ببنى اسرائيل ،لا يتفق مع دعوة بولـــس التى كانت دعوة شاملة للأمم ،ولقد كان بولس فى دعوته للأمم غير ملتزم بتعليمـــات المسيح ورسالته ، وذلك لأمريـــن :

أحدهما ، أنه تجاوز بدعوته بنى اسرائيل وسلب رسالة المسيح خصوصيتها وأضفـــى عليها الصبغة العالمية مخالفا بذلك قول المسيح السابق " لم أرسل الا الى خـراف بيت اسرائيل الضالــة ".

ثانيهما ، أنه خالف كتاب الأناجيل الأربعة الذين التزموا برواية سيرة المسيح مبتدئين بميلاده حتى غيابه ، حيث انه لا يورد شيئا من ذلك ، بل يكتفى فى دعوته بعـــرض أفكاره الخاصة ،غير ناقل عن المسيح شيئا من أقواله وأفعاله ، ورسائله العديـــــدة التى بعثها بولس الى البلدان المختلفة خير شاهد على مسلك بولس فى دعوته ، ولولا أن المسيحيين قالوا : ان بولس من كبار دعاة المسيحية وأتباعها ، لكان لزاما علـى كل قارئ وباحث أن يحكم على بولس بأنه مؤسس لديانة خاصة به غير تابع لأحـــــد من أصحاب الديانات.

ولكى يتبين ذلك المسلك الذى ذكرناه ، نورد بعض التشريعات التى شرعها بولـس معتمدا على فكره فقط يقول بولس فى رسالته الأولى الى أهل كورنثوس :

" وأما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها ،فحسن للرجل أن لا يمس امرأة ، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها " (٢)

---

(١) متى ١٥ : ٢٤ـ٢٦
(٢) اكورنثوس ٧ : ١

وكما يتضح من مقالة هذا ، فانه قد وضع أساسا للرهبنة فى المسيحيـــة ولم يدلل على مشروعية ما ذكره بكلام المسيح أو غيره ، ولكنه بنى على استحسانه فقط لا غير . واذا تركنا هذا النص وانتقلنا الى نص آخر ، نجد فيه ما وجدنـــاه هنا من التشريع المستقل الذى لا يرتبط بدعوة المسيح . يقول بولس :

" ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل انه حسن لهم اذا لبثوا كما أنـــا ، ولكن ان لم يضبطوا أنفسهم ، فليتزوجوا لأن التزوج أصلح من التحرق ، وأمـا المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها وان فارقته فلتلبـث غير متزوجة ولتصالح رجلها ولا يترك الرجل امرأته ، وأما الباقون ، فأقول لهـــم أنا لا الرب ، ان كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهى ترضى أن تسكن معه ، فـــلا يتركها ... " (١)

ولعل الرهبانية التى ابتدعها المسيحيون وذكرها القرآن الكريم فى قوله تعالى : ورهبانية ابتدعوها (٢) لعلها ابتدعت من قبل بولس ، كما تدل عليه هـــذه النصوص من رسالته . وما من شك فى أن بولس قد استقل بدعوته وتشريعه استقلالا ـ يجعله صاحب رسالة مستقلة عن رسالة المسيح ، وان المسيحية فى شكلها الحاضره ليست هى المسيحيـــة التى دعا اليها المسيح عليه السلام لأن المسيح دعا الـــى الحكم بالتوراة والى الاصلاح الجذرى فى اليهودية التى أصبحت بتقادم العهـد ديانة متضعضعة فقدت هيبتها ونضارتها ، ولذلك يقول المسيح عليه الســـــلام " لا تظنوا أننى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لانقض بل لاكمل " (٣) ـ أما بولس فقد نقض الناموس وخرج عن دائرة الدين اليهودى الذى لم تكن المسيحية الا حلقة منها ، يقول وليم لا نجـر " أما المسيحية التى بدأت مذهبا يهوديـــا ثم أصبحت ديانة عالمية واسعة الانتشـار بفضل بولس الذى اعتنقها وتفانى فـــى خدمتها ، فانها سرعان ما تمخضت عن نظام وأدب " (٤)

---

(١) اكورنثـــوس ٧ : ٨ـ١٢

(٢) سورة الحديد ٢٧

(٣) متى ٥ : ١٧

(٤) موسوعة تاريخ العالم ج ١ ص ٢٠٧ ترجمة محمد محمود الصياد طبع بمكتبـــة النهضـــة المصريـــة .

ان بولس لم يقتصر فى تعاليمه على تجاهل وجود الشريعة الموسوية التى لم يأت المسيح لنقضها وانما جاء ليكملها ولكنه تجاوز ذلك الى دعوة الامم المعتنقين للمسيحية للخروج على ناموس التوراة ، متخذا عقيدة المسيحيين فى وفاة المسيح لخلاص البشر وسيلة تسوغ الخروج عليها وكانت طريقته فى ذلك طريقة بارعة حيث انطلق من الأمور المسلم بها لدى المسيحيين الى الأمور التى لا يسلمون بها ، فوفاة المسيح على الصليب من أجل الخلاص والفداء أمر مسلم به عند المسيحيين والتحرر من شريعة التوراة أمر غير مقبول عندهم ، الا أن بولس أتى المسيحيين من حيث لا يحتسبون .

يقول بولس : " فان كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضا معه عالمين أن المسيح بعد ما أقيم من الأموات لا يموت أيضا لا يسود عليه الموت بعد ، لان الموت الذى ماته قد ماته للخطيئة مرة واحدة والحياة التى يحياها فيحياها لله " (١) .

وفى هذا النص يجعل بولس وفاة المسيحيين مع المسيح قضية مسلط بها ، ثم يبين هذه القاعدة بمثل يضربه فيقول :

" ان الناموس يسود على الانسان مادام حيا فان المرأة التى تحت رجل هى مرتبطة بالناموس بالرجل الحى ، ولكن ان مات الرجل ، فقد تحررت من ناموس الرجل ، فاذا مادام الرجل حيا ، تدعى زانية ان صارت لرجل آخر ، ولكن ان مات الرجل فهى حرة من الناموس ، حتى انها ليست زانية ان صارت لرجل آخر " (٢)

وبعد أن بين بولس قاعدته بهذا المثل الذى ضربه ، انطلق منها نحو النتيجة فقال : " اذا يا اخوتى أنتم أيضا قد متم للناموس بجسد المسيح لكى تصيروا لآخر للذى قد أقيم من الأموات لنثمر لله ، لأنه لما كنا فى الجسد كانت أهواء الخطايا التى بالناموس تعمل فى أعضائنا لكى نثمر للموت ، وأما الآن فقد تحررنا من الناموس اذ مات الذى كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف " (٣)

---

(١) رومية ٦ : ٨ـ ١٠
(٢) رومية ٧ : ١ـ ٣
(٣) رومية ٧ : ٤ـ ٦

ويقول أيضا فى تأكيد هذا المعنى :

" اذا لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطيئة والموت " (١)

هكذا يضع بولس قاعدته للتحرر من الشريعة الموسوية ، ثم ينقض الناموس نقضا صريحا فيقول مخاطبا لمن يختتن حسب شريعة موسى :

" أنا بولس أقول لكم انه ان اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا " (٢)

ثم يذهب بولس الى نقض أكثر لناموس الشريعة اليهودية حيث يقول :

" فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التى هى ظل الأمور العتيدة ... اذا ان كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم فلماذا كأنكم عائشون فى العالم تفرض عليكم فرائض ، لا تمس ، ولا تذق ، ولا تجس ، التى هى جميعها للفناء فى الاستعمال حسب وصايا وتعاليم الناس ... " (٣)

وكما يبدو من رسائل بولس فانه قد خص بدعوته التحررية الأمم الذين لا يعرفون من اليهودية غير الخصوصية والتعصب ، فأتاهم من هذه الناحية جاعلا اليهودية عقيدة عنصرية — والمسيحية عقيدة عالمية جاءت لتوحيد البشرية ، ويقول فى ذلك مخاطبا الأمم :

" الله الذى هو غنى فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا ، أحيانا مع المسيح ، بالنعمة أنتم مخلصون ، وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع ... لذلك اذكروا أنكم أنتم الأمم قبلا فى الجسد المدعوين غرلة من المدعو ختانا مصنوعا باليد فى الجسد أنكم كنتم فى ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين عن رعوية اسرائيل وغرباء عن عهود الموعد لا رجاء لكم وبلا اله فى العالم ، ولكن الآن فى المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح ولأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحدا ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة مبطلا بجسده ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الاثنين فى نفسه انسانا واحدا جديدا صانعا سلاما " ٤

---

(١) رومية ٨ : ١ — ٢
(٢) غلاطيه ٥ : ٢
(٣) كولوسى ٢ : ١٦ — ٢١
(٤) أفسس ٢ : ٤ — ١٥

هذه هي دعوة بولس وهي ـ كما قال الأب بولس الياس ، " تتسم بسماته الخاصة " وليس لها أية صلة بما كتبه أصحاب الأناجيل الاربعة ، غير أنه يلتقي في دعوته الى الوهية المسيح بيوحنا الذى كتب انجيله لاثبات الوهيته ، ونرى ذلك جليا في قول بولس : " فانى كنت أود أن أكون نفسى محروما من المسيح لأجل اخوتى أنسبائى حسب الجسد ، الذين هم اسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد ولهم الآباء ، ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل الها مباركا الى الأبد آمين " (١) .

وقد صرح بولس هنا بألوهية المسيح الأبدية ، وهو ما كان يجاهر به دائما في جميع رسائله ، والتقى في هذه الفكرة بيوحنا ، وركز أيضا على وفاة المسيح من أجل الفداء أكثر من أية قضية أخرى حيث قال في ذلك :

" ... ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح ـ لأجلنا ، فبالأولى كثيرا ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب ، لأنه ان كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه ، فبالأولى كثيرا ونحن مصالحون نخلص بحياته ، وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضا بالله بربنا يسوع المسيح الذى نلنا به الآن المصالحة " (٢)

وهكذا نجد بولس يركز على مسألة الموت من أجل الفداء تركيزا لا نجد له عنده نظيرا في بقية مسائل العقيدة في المسيحية ، حيث أخذت هذه القضية في رسائله حيزا كبيرا .

وخلاصة القول في دعوة بولس أنها تتلخص في أمور :

منها : تعميم الرسالة المسيحية لجميع الأمم خلافا لما عرف عن المسيح من خصوصية دعوته لبنى اسرائيل لقوله : " لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة " .

ومنها : نسخ بعض الأحكام الواردة في العهد القديم كالختان ونحو الأمر الذى وجد بولس في الالتزام به حرجا على الأمم الذين لم يتعودوا على الختان فأبطله بقوله : " ان اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا " .

---

(١) رومية ٩ : ٣ـ٥
(٢) رومية ٥ : ٨ـ١١

ومنها : دعوته الى الاعراض عن التمسك بشريعة التوراة ، معللا ذلك بموت المسيح من أجل الجميع وموت المسيحيين معه قائلا : " ان كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم ، فلماذا كأنكم عائشون في العالم ، تفرض عليكم فرائض ، لا تمس ، ولا تذق ، ولا تجس التى هى جميعها للفناء فى الاستعمال حسب وصايا تعاليم الناس"

ومنها : تشريعه لبعض الأحكام كالرهبنة ، وقد سبق أن ذكرنا النصوص الدالة على هذه المسألة ولا بأس من الاشارة اليها هنا باختصار ، يقول بولس : " وأما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها ، فحسن للرجل أن لا يمس امرأة ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها " . وهذا النص كما نجد فيه تشريع الرهبنة نجد فيه أيضا تحريم تعدد الزوجات لقوله : " ليكن لكل واحد امرأته الخ " .

ومنها : الدعوة الى عدم الالتفات الى تعاليم غيره بحجة أنهم يضللون الناس ويقول بولس فى ذلك " وأطلب اليكم أيها الاخوة أن تلاحظوا الذين يصنعون الشقاقات والعثرات ، خلافا للتعليم الذى تعلمتموه وأعرضوا عنهم ، لأن مثل هؤلاء لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم وبالكلام الطيب والأقوال الحسنة ، يخدعون قلوب السلماء " (١)

ويقول فى موضع آخر : " وللقادر أن يثبتكم حسب انجيلى والكرازة بيسوع المسيح ، حسب اعلان السر الذى كان مكتوما فى الأزمنة الأزلية ، ولكن ظهر الآن وأعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الاله الأزلى لاطاعة الايمان " (٢)

ويدعى بولس هنا أن انجيله أو كرازته بالمسيح ، كان سرا من الأسرار المكتومة فى الأزمنة الأزلية ، ولكنه خرج عن طى الكتمان فى زمنه هو ، وبدأ ينشر ذلك السر فى الأمم بأمر من الاله الأزلى مما يدل على أنه مؤسس الديانة المسيحية باستقلال تام عن المسيح

---

(١) رومية ١٦ : ١٧ ـ ١٨ .
(٢) رومية ١٦ : ٢٥ ـ ٢٦ .

وتلاميذه الذين حرصوا على أن يظهروا أتباعا للمسيح يتأسون به قـــولا وعمـــلا ، وأن يـــرووا للنـــاس ما شاهدوا من أعمـال المسيـــح ، وسمعـوا من أقوالـــه ، وما وقفوا عليـــه من شمائلـــه .

بولس يواجه معارضه من دعاة المسيحية فى عصره

فى المباحث السابقة لهذا البحث عرضنا تفرد بولس فى دعوته الى المسيحية بأسلوب خاص به وبينا أنه استفاد فى تعاليمه تلك من مختلف الثقافات ، وأنه مزج بين تلك الثقافات حتى أصبحت فيما بعد شريعة متسمة باسم المسيحية ، وقد ذكرنا هناك ماقاله الأب بولس الياس فى دفاعه عن بولس حيث استدل على براءته من الابتداع فى المسيحية بما يثبت أنه مبتدع.

أما هنا ، فانا نورد نصوصا تدل على أن بولس قد خالف كثيرا من دعاة المسيحية فى عصره ، وعلى رأسهم بطرس الحوارى أحد كبار تلاميذ المسيح ، ولاثبات هذا الخلاف لا نذهب بعيدا عن رسائل بولس نفسها فانها تحدثنا عن ذلك الخلاف بما يشفى الغليل.

يقول بولس فى رسالته الى أهل غلاطيه : " ولكن لما أتى بطرس الى انطاكية ، قاومته مواجهة لأنه كان ملوما لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب ، كان يأكل مع الأمم ، ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفا من الذين هم من الختان وراءى معه باقى اليهود أيضا حتى ان برنابا أيضا انقاد الى ريائهم ، ولكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الانجيل ، قلت لبطرس قدام الجميع ان كنت وأنت يهودى تعيش أمميا لا يهوديا ، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا " (١)

هكذا يختلف بولس وتلاميذ المسيح ، وليس من الحق أن يقال ان تعليمات بولس لم تخرج عن منهج تلاميذ المسيح قيد شعرة بعد أن أثبت بولس هذا الخلاف فى رسائله ، ولم يقتصر الخلاف فى هذا الشأن على بطرس بل تعداه الى شخص آخر كانت له اليد الطولى على بولس ، وهو برنابا الذى أدخله الى التلاميذ عند اعتناق بولس للمسيحية متوسطا له لكونهم فى شك وحذر من أمره ، ولو لم يطمئنهم برنابا على صدق بولس فى تحوله لحو المسيحية ، لما وثقوا فى ايمانه وانضمامه الى صفهم بعد أن كان من كبار المعادين للنصارى.

ولم يكتف بولس هنا بذكر الخلاف بينه وبين هذين الحواريين وانما رماهما بالنفاق والرياء وعدم الاستقامة ، وهى أمور لا يمكن قبولها فى حق تلاميذ المسيح عليه السلام.

---

(١) غلاطيه ٢ : ١١ـ١٤ يريد بولس أن يقول لبطرس كنت تأكل مع الأمم قبل أن تأتى هنا وأنت يهودى الاصل ومادمت لا تأكل معهم الآن ، فلماذا تلزم الأمم أن يختتنوا مع أن الختان شرعة يهودية ؟ .

ويذكر بولس نوعا آخر من الخلاف بينه وبين دعاة المسيحية فيقول :
" انى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح ، الى انجيل آخر ليس هو آخر ، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ، ويريدون أن يحولوا انجيل المسيح ، ولكن ان بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أنا ثيما ، كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضا ، ان كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أنا ثيما " (١)

ويعترف بولس فى هذا النص أن فى عصره من يقاوم دعوته بانجيل يخالف انجيل المسيح حسب قوله ، وانجيل المسيح الذى يذكره هنا هو تعليماته التى يبشر بها بين الأمم باسم المسيح مدعيا أنه تلقاها من المسيح نفسه بظهور روحى خاص على مقربة من دمشق عند سفره اليها من أورشليم لتعقب المسيحيين وهو تارة يسند الانجيل الى المسيح وتارة أخرى يسنده الى نفسه ، وقد اتضح فى هذا النص أنه أضاف الانجيل الى المسيح وأضافه الى نفسه بقوله :
" وللقادر أن يثبتكم حسب انجيلى والكرازة بيسوع المسيح حسب اعلان السر الذى كان مكتوما فى الأزمنة الأزلية " (٢)

واذا التفتنا مرة أخرى الى الخلاف بين بولس وبين بطرس فاننا نجد ـ كما فى النص الأول ـ أحد الأسباب هو ، الغاء بولس للختان ، ومعارضة بطرس لذلك متمسكا بأحكام التوراة التى لم يأت المسيح لنقضها وانما ليكملها ولهذا يقول بولس فى مقدمة ذلك النص :

" ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضا الى أورشليم مع برنابا آخذا معى تيطس أيضا ، وانما صعدت بموجب اعلان وعرضت عليهم الانجيل الذى اكرز به بين الأمم بالانفراد على المعتبرين ، لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلا ، لكن لم يضطر ولا تيطس الذى كان معى وهو يونانى أن يختتن ولكن بسبب الاخوة الكذبة المدخلين خفية الذين دخلوا اختلاسا ليتجسسوا حريتنا التى لنا فى المسيح كى يستعبدونا ، الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة ليبقى عندكم حق الانجيل ، وأما المعتبرون ، فانهم شئ مهما كانوا لا فرق عندى الله لا يأخذ بوجه انسان . فان هؤلاء المعتبرين لم يشيروا على بشئ ، بل بالعكس اذ رأوا أنى قد اؤتمنت على انجيل الغرلة كما بطرس على انجيل الختان ،

---
(١) غلاطية ١ : ٦ ـ ٩
(٢) رومية ١٦ : ٢٥ .

فان الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان ، عمل فى أيضا للأمم " (١)

وقول بولس انه عرض انجيله الذى يكرز به بين الأمم على المعتبرين لئلا يسعى أو قد سعى باطلا ، يدلنا على أنه لم يكن واثقا مما ينشره بين الأمم وذلك مادفعه الى أن يعرض أفكاره على من يسميهم المعتبرين على انفراد ، وهؤلاء المعتبرون ، هم ، يعقوب وصفا ويوحنا ، ولم يشيروا عليه بشئ ، ثم يذكر أنهم رأوا أنه اؤتمن على انجيل الغرلة ، كما أؤتمن بطرس على انجيل الختان فأقروه على ما هو عليه ، وأعطوه هو وبرنابا يمين الشركة ليكونا للأمم ، وأما هم فيكونون للختان .

ومن تأمل فى مقالة بولس هذه ، رأى أنه جمع فى شريعة المسيح بين الشئ ونقيضه ، اذ أن قوله انه اؤتمن على انجيل الغرلة ، وبطرس اؤتمن على انجيل الختان يؤدى الى القول بأن الله يأمر بشئ وينهى عنه فى وقت واحد وهو أمر واضح البطلان ، لأن الله لا يأمر بالختان فى انجيل وينهى عنه فى انجيل آخر .

وذكر بولس فى هذا النص أن هناك من دخل خلسة الى حيث يعرض انجيله على المعتبرين وسماهم بالأخوة الكذبة ، ولم يبين من هم أولئك الأخوة الكذبة ، هل هم من اليهود أو انهم من المسيحيين المعارضين لدعوة بولس ؟ وكل من الأمرين محتمل غير أن كونهم من المسيحيين المعارضين أقرب وأقوى احتمالا .

---

(١) غلاطية ٢ : ١ ـ ٨

ارتداد الناس عن دعوة بولس

لعل ما سبق ذكره في البحث السابق من اختلاف بولس مع تلاميذ المسيح ودعاة المسيحية ، كان هو الذى سبب ارتداد الناس عن دعوة بولس وهو نتيجة حتمية وحصيلة من حصائل الخلاف بينه وبينهم .

ولقد كان المسيحيون الذين استجابوا لدعوة بولس فى بادئ الأمر ، يعلمون أن بولس لم ينعم بصحبة المسيح ولا باتباعه فى حياته ، ولكنهم عرفوا عنه أنه كان فيما مضى خصما لدودا للمسيحية وأتباعها ، ثم تحول نحو المسيحية بتلك الطريقة التى ذكرها هو عن نفسه وذكرها سفر أعمال الرسل ، ولما تمض على دخوله فى المسيحية فترة طويلة ، حتى أصبح من كبار دعاتها والمبشرين بها بين الأمم ، الا أن ذلك لم يكن يجعل المسيحيين ينسون ماضيه الملئ بالكراهية والعداوة للمسيحية ، وما أن دب الخلاف بينه وبين كبار المسيحيين حتى ارتدوا عن دعوته وتركوه وحيدا ، ولم يبق معه غير لوقا .

وفى الحديث عن حادثة الارتداد هذه يقول بولس مخاطبا تيموثاوس:
" بادر أن تجئ الى سريعا ، لأن ديماس قد تركنى اذ أحب العالم الحاضر وذهب الى تسالونيكى ، وكريسكيس الى غلاطية ، وتيطس الى دلماطية ، لوقا وحده معى ، خذ مرقس وأحضره معك . لأنه نافع لى للخدمة . أما تيخيكس ، فقد أرسلته الى أفسس ... اسكندر النحاس أظهر لى شرورا كثيرة ، ليجازه الرب حسب أعماله فاحتفظ منه أنت أيضا ، لأنه قاوم أقوالنا جدا ، فى احتجاجى الأول ، لم يحضر أحد معى بل الجميع تركونى " (١)

هكذا يشتكى بولس من تحول الناس عنه تاركا ذكر أسباب تحولهم وما ذكرته من أن سبب الارتداد عن دعوته هو الخلاف الذى وقع بينه وبين معاصريه من دعاة المسيحية ، لم يكن الا استنتاجا واستخلاصا منى ، وذلك على ضوء ما وصلت اليه من دراستى فى رسائله الكثيرة . وفى موضع آخر يذكر بولس أن جميع من فى آسيا من أتباعه ارتدوا عنه ، فيقول مخاطبا تيموثاوس . أيضا : " تمسك بصورة الكلام الصحيح الذى سمعته عنى فى الايمان والمحبة التى فى المسيح يسوع . احفظ الوديعة الصالحة

---

(١) ٢ تيموثاوس ٤ : ٩ ـ ١٦

بالروح القدس الساكن فينا ، أنت تعلم هذا أن جميع الذين فى آسيا ارتدوا عنى الذين منهم فيجلس وهرموجانس " (١)

وهذا النص يوضح لنا أن بولس بقى وحيدا فى الميدان ، كما يوضح لنا أن التعليم الذى ينشره هو الصورة الصحيحة التى ينبغى أن يتمسك بها تلميذه تيموثاوس ، ولذلك يقول له فى موضع آخر :

" وأما أنت فقد تبعت تعليمى وسيرتى وقصدى وايمانى وأناتى ومحبتى وصبرى واضطهاداتى وآلامى ... " (٢) .

ولعل هذا النص يضع النقط على الحروف فيبين لنا سبب اختلاف بولس مع غيره ثم سبب ارتداد الناس عنه ، ذلك لأنه تبين لهم أن له مذهبا خاصا يدعو اليه ويجاهد من اجله ، ولم يكن مذهبه هذا متفقا مع العقيدة المسيحية المعروفة عند تلامذة المسيح . وقد رأينا فى المبحث السابق قول بولس بأنه أؤتمن على انجيل الغرلة كما اؤتمن بطرس على انجيل الختان ، ومعنى ذلك أن بولس يقر بطرس فيما ذهب اليه من مشروعية الختان ولكنه يهاجم الملتزمين بذلك قائلا :

" فانه يوجد كثيرون متجردون يتكلمون بالباطل ويخدعون العقل ولاسيما الذين هم من الختان الذين يجب سد أفواههم ، فانهم يقلبون بيوتا بجملتها معلمين ما لا يجب من أجل الربح القبيح " (٣)

ترى كيف انقلب بولس على مشروعية الختان الذى أقر عليه بطرس ووسم مخالفيه به كأنه عار يميزهم عن غيرهم معتبرا الغرلة شعارا له ولاتباعه ؟ ولعل هذا لون آخر من ألوان المتناقضات التى يتبناها بولس فى تعاليمه وقد سبق كثير من الأمور المتناقضة التى التزم بها فى المباحث السابقة . وليس ببعيد أن يكون هذا التناقض أحد أسباب التحول الجماعى عن بولس بالاضافة الى ما سبق ذكره من الخلاف.

---

(١) ٢ تيموثاوس ٣ : ١٠ ـ ١١
(٢) تيطس ١ : ١٠ ـ ١١

مؤلفـــات بولـــــــس

ترك بولس مؤلفات كثيرة تشكل جزءا كبيرا من العهد الجديد الذى تبلغ عدد أسفـاره سبعة وعشرين كتابا ورسالة وتبلغ عدد رسائل بولس وحده منها أربع عشــرة رسالة من بين تلك المجموعــة وليس لأحــد من تلاميذ المسيح أو أتباعه فيما بعد مالبولس من المؤلفات الكثيرة التى دخلت الى التاريخ المسيحى دخول الكتــب المقدســة ٠

وتنقسم رسائل بولس الى قسمين :

قسم أرسله بولس الى البلدان وسميت بأسماء تلك البلدان وهى تخاطب جماعـــة لا أفـــراد ٠

وقسم أرسله الى أفراد من تلاميذه الذين يثق فيهم وسمى هذا القسم أيضا بأسماء من أرسل اليه ٠

أما القسم الاول ، فيتألف من تسع رسائل وهى :

١ـ رسالة بولس الى أهل رومية وتشمل ستة عشر اصحاحا وكتبت سنة ٥٦ أو ٥٧ م (١)

٢ـ رسالته الأولى الى أهل كورنثوس وتحتوى أيضا على ستة عشر اصحاحا وكتبــت عام ٥٥ م ٠

٣ـ رسالته الثانية الى أهل كورنثوس وتشمل ثلاثة عشر اصحاحا ٠

٤ـ رسالته الى أهل غلاطية وتتألف من ستة اصحاحات ٠

٥ـ رسالته الى أهل أفســس وتتألف من ستة اصحاحات

٦ـ رسالته الى أهل فيلبى واصحاحاتها أربعة ، وكتبت فيما بين سنة ٦١ و ٦٣

٧ـ رسالته الى أهل كولوسى واصحاحاتها أربعة كتبت سنة ٦١ و ٦٣ م

٨ـ رسالته الأولى الى أهل تسالونيكى وعدد اصحاحاتها خمسة ٠ كتبت سنة ٥٤ م

٩ـ رسالته الثانية الى أهل تسالونيكى واصحاحاتها ثلاثكتبت سنة ٥٤ م

١٠ـ رسالته الى العبرانيين على خلاف فى نسبتها اليه (٢) وتحتوى على ثمانية وعشرين اصحاحـا ٠

---

(١) ذكر تواريخ هذه الرسائل الأب بولس الياس اليسوعى فى كتابه يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ١٦ فى التعليق ٠

(٢) يذكر كتاب التفاسير البيضاوية المسيحية لهذه الرسالة للكاتب : الكاتن و٠ هـ٠ت جردنر وآخرين ترجمة حبيب سعيد ، يذكر أنه اختلف فيمن كتب هذه الرسالة ، فقيــل انها لبولس ، وقيل لبرنابا وقيل انها لابلوس ولكنه ضعف القول الاخير وسكت عـــن الترجيح بين القولين الاولين ص ٤ـ٥ ولم يعرف أيضا من هم العبرانيون الذيـــن كتبت لهم الرسالة هل للمسيحيين العبرانيين ، أو للعبرانيين اليهود انظر نفـــس الكتاب ص ٦ وما بعدها ٠

وأما القسم الثانى فيتألف من أربع رسائل وهى :

١ـ رسالته الأولى الى تلميذه تيموثاوس وعدد اصحاحاتها ستة .
٢ـ رسالته الثانية الى تلميذه تيموثاوس أيضا واصحاحاتها أربعة .
٣ـ رسالته الى تيطس واصحاحاتها ثلاثة .
٤ـ رسالته الى فيليمون واصحاحها واحد .

ومن هذين القسمين من رسائله استقينا ما كتبناه عن بولس فى هذا الفصل ـ وذلك تحقيقا لما قلناه من أننا سنعتمد على رسائله فى ترجمته لكونها تعطى صورة واضحة عن حياته ، بما اشتملت عليه من أفكار متخالفة ، وآراء متدافعة لمسنا ما أدت اليه فى النهاية من ارتداد الناس عن صاحبها .

يقول ابن حزم رحمه الله ، " ورسائل بولس ، تلميذ شمعون باطرة (سمعان بطرس) ، وهى خمس عشرة رسالة ، تكون كلها مملوءة حمقا ورعونة وكفرا " (١)

لاندعى أننا قد أتينا بكل شئ عن بولس فى هذا الفصل ، لأن المسيحية فى شكلها الحاضر انما هى من أعمال بولس ، ومن الصعب أن يأتى المرء بكل المسيحية هنا ، والذى نكتبه فى هذا الفصل ، انما هو جزء من ذلك الكل الملىء بالأسرار المعقدة والغامضة .

هذا هو بولس فى رسائله ، وتلك آثاره وتركته فى المسيحية الحالية .

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ٢ ص ٣ .
والمعروف أن رسائل بولس أربع عشره رسالة ولعل ابن حزم اطلع على مالم يصل الينا .

الباب الرابع

المسيح في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول :

١ـ نسب المسيح عليه السلام
٢ـ بشارة مريم بحمله
٣ـ الحمل بالمسيح
٤ـ مولده
٥ـ نشأته
٦ـ صفاته

نسب المسيح عليه السلام

للمسيح ابن مريم نسب شريف فى بنى اسرائيل . فقد كان جده لأمه - عمران الذى اصطفى الله آله وسميت باسمه سورة من القرآن الكريم ، وهى سورة آل عمران .

أما جدته ، فقد كانت امرأة صالحة تدعى حنة بنت فاقود بن قبيل على ما ذكره الشوكانى (١) وذات يوم ، نذرت وهى حامل أن يكون مافى بطنها خادما لبيت المقدس نذرا لا يشوبه شئ . ودعت الله عز وجل أن يتقبل منها نذرها . قال تعالى :

(اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك مافى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم) (٢)

لكن ارادة الله شاءت أن يكون مافى بطنها أنثى وليس ذكرا كما كانت تريد . ذلك لأن القيام بمثل هذا العمل مما لا تقوى عليه الانثى . ولما وضعتها وظهر لها أن المولود أنثى أسفت ونادت ربها وهى تقول :

(رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) (٣) الا أن الله عز وجل - وهو العالم بما وضعت - تقبل نذرها بقبول حسن ، وأعاذ مريم وذريتها من الشيطان الرجيم ، وحفظها بعنايته وأنبتها نباتا حسنا وفضلها على نساء العالمين

(فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا) (٤)

وحينما أوفت امرأة عمران بنذرها ووضعت مريم فى بيت المقدس ، تسابق الناس واختصموا على كفالتها ، واتفقوا على الاقتراع على ذلك ، فاقترعوا وخرجت القرعة للنبى زكريا عليه السلام فكفلها ، وفى ذلك يقول عز وجل :

(ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ، وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون) (٥)

---

(١) فتح القدير ج ١ ص ٣٣٤

(٢) آل عمران ٣٥

(٣) آل عمران ٣٦

(٤) " " ٣٧

(٥) " " ٤٤

وبعد أن كفلها زكريا ، تربت مريم فى عبادة وطهر ، واصطفاها الله عز وجل على نساء العالمين ، وبشرها بواسطة الملائكة ، وأمرها بملازمة التقوى والمداومة على طاعة الله تعالى وقال تعالى فى ذلك : (واذا قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين) (١)

ولما كانت مريم مستقيمة على طاعة الله تعالى ، آتاها الله تعالى من لدنه رزقا فى مكان عبادتها حيث تأتيها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف (٢) .

وكان النبى زكريا عليه السلام كلما أتاها فى محرابها ، وجد عندها ما رزقها الله من النعم مما جعله يسألها عن مصدر ذلك الرزق الذى يأتيها فى الوقت والمكان اللذين لا يوجد فيهما ذلك النوع من الرزق فما كان جوابها الا أن قالت : (هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) ويقول الله تعالى مخبرا عن ذلك (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) (٣) .

وهذه الاجابة التى أجابت بها مريم زكريا عليه السلام ، حركت مشاعره ودفعته الى أن يتوجه الى مولاه بالدعاء وهو الشيخ الذى بلغ من الكبر عتيا من غير أن يهبه الله ذرية من امرأته العاقر :

(٤)
(هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) فاستجاب الله دعاءه وسمع نداءه فوهبه ولدا طيبا ونبيا من الصالحين وهو النبى يحيى عليه السلام .

(فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين) (٥)

---

(١) آل عمران ٤٣
(٢) أنظر فتح القدير للشوكانى جـ ١ ص ٣٣٥
(٣) آل عمران ٣٧
(٤) آل عمران ٣٨
(٥) آل عمران ٣٩

وقد وصف الله عز وجل مريم ابنة عمران فى موضع آخر من كتابه بأنها صديقة آمنت بكلمات الله عز وجل وكتبه وأنها من القانتين وضرب بصلاحها المثل للذين آمنوا :

(ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ...) (١)

(... ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) (٢)

هذا هو نسب المسيح عليه السلام ، وهذه أمه مريم فى صلاحها وتقواها ، وتلك جدته فى نذرها لله واخلاصها له فى ذلك ، وما ترتب عليه من قبول حسن ، وعناية الهية دائمة بذريتها ، حيث باركها عز وجل ، وجعلها وابنها آية للعالمين . كانت مباركة فى بيت زكريا عليه السلام حين كانت سببا لبشارة الله تعالى له بالولد الصالح الحصور يحيى عليه السلام .

وقد ورد ذكر اسم مريم فى القرآن الكريم أربعا وثلاثين مرة ، وفى ذلك مايدل على مكانتها وعلو شأنها فى النساء . وفى كثير من تلك الآيات التى ورد ذكر اسمها فيها اقترن اسمها باسم المسيح عليه السلام ولم يأت استقلالا الا فى أحد عشر موضعا منها .

وبالاضافة الى ذلك فقد ورد ذكرها فى ستة مواضع مضافة الى المسيح اما بكلمة : " أم " واما بكلمة : " والدة " فيكون المجموع نحو أربعين مرة . وقد سميت سورة فى القرآن بسورة مريم .

ولعلو مكانة مريم ، لعن الله عز وجل اليهود الذين قالوا عليها بهتانا عظيما فقال تعالى بعد أن ذكر بعض الأسباب التى لعن من أجلها اليهود :

(وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما) (٣)

تلك هى الشجرة المباركة لنسب المسيح التى أعطت ثمرة يانعة طيبة ، وهى الشجرة التى انحدر منها من قبل أولئك الرسل الكرام من بنى اسرائيل ومن هذه الشجرة كان

---

(١) المائدة ٧٥
(٢) التحريم ١٢
(٣) النساء ١٥٦ .

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم • اذ يلتقى النبيان الكريمان : محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام فى نسبهما بأبى الأنبياء ابراهيم عليه السلام • لأن محمدا صلوات الله وسلامه عليه من أولاد اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام • وعيسى من أولاد يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام •

ولهذا يقول عز وجل بعد أن ذكر اصطفاءه لآدم ونوح وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) (١)

---

(١) آل عمران ٣٤ •

بشارة مريم بحمل المسيح عليه السلام

لما بلغت مريم مبلغ النساء فى طاعة الله عز وجل ، بشرها الله عز وجل بواسطة الملائكة بولد اسمه المسيح عيسى ابن مريم :

(اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين • ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين) (١)

ولم يكن من المستساغ لديها أن يكون لها ولد وهى عذراء لم يمسسها بشر فاستغربت من ذلك وقالت :

(قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر • قال كذلك يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) (٢) .

وتحققت هذه البشارة حينما جاءها جبريل فى الجانب الشرقى من أهلها بعد أن اعتزلت الناس ، ولما شاهدته على الهيئة الانسانية الكاملة ، تعوذت بالله منه ظنا منها أنه انسان يريد بها سوءا ، فطمأنها الملك بأنه رسول من قبل الله عز وجل جاء بأمره ليهب لها ولدا زكيا • وفى ذلك يقول تعالى :

(واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا • فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا • قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ، قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا • قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا • قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا) (٣) •

ذلك أمر قد قدره الله عز وجل وكتبه فى الأزل فلابد من تحققه ونفوذه اذ لاراد لقضاء الله وقدره ولا معقب لحكمه مهما كان مستغربا ومخالفا للسنن الكونية التى ألفها الناس ، والله عز وجل هو المتصرف فى خلقه ، وهو الذى سن السنن وله أن يخرقها متى شاء وكيف شاء على أى وجه شاء •

ولما أيقنت مريم أن الله عز وجل أراد أن يخرق السنن البشرية بحملها من غير أن يمسسها بشر ، استسلمت لما أراد الله عز وجل • فكان ما أراده الله عز وجل •

---

(١) آل عمران ٤٥ ــ ٤٦
(٢) آل عمران ٤٧
(٣) مريم ١٦ ــ ٢١

حمل المسيح عليه السلام

وبعد تلك البشارة الملكية لمريم وما جرى بينها وبين ذلك الملك ، نفخ الله عز وجل فيها من روحه فحملت بعيسى عليه السلام ولما شعرت بالحمل ، ابتعدت عن أهلها خشية أن تتهم بالعار ، ويقول الله تعالى في بيان ذلك : (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا) (١)

والقرآن الكريم لم يبين لنا كم كانت مدة الحمل ، أكانت المدة المعتادة ، أم دون ذلك. ومع أن الأقوال مختلفة في ذلك ، فان أقربها الى الصواب هو كون مدة الحمل تسعة أشهر كالعادة ، وذلك لأن ذكر القرآن مقتصر على الحمل والولادة من غير اشارة الى مدة الحمل ، ولو كانت المدة غير معتادة لذكرها القرآن ، وما دام القرآن قد سكت عن ذلك والعادة قد جرت بأن تكون غالبا مدة الحمل تسعة أشهر ، فلا داعي للقول بخلافه . (٢) وقول اليهود لمريم : " يا مريم لقد جئت شيئا فريا " يدل على أن فترة الحمل فترة معتادة ، ذلك لأنها لو حملت فوضعت في الحال لما كان مجال لأن تتهم ، لأن امرأتها لم تعرف بأنها حامل ـ بغض النظر عن كونها عذراء لو خرجت من دار أهلها فعادت بعد لحظة تحمل ولدا ، لم يتهمها أحد بالسوء بل يقال لها فقط من أين أتيت بهذا الولد ؟ والذى حصل لمريم حسب ما يبدو من ظاهر النصوص هو أنها حملت زمانا معلوما ثم وضعت ولما وجد اليهود ذلك ، قالوا عليها ما قالوا . ولو كان الحمل والولادة وقعا في زمن متقارب لعرفوا أن ذلك انما حصل بأمر خارق للعادة خارج عن ارادة مريم.

وأما الروح الذى أرسله الله الى مريم وذكره بقوله : (فأرسلنا اليها روحنا) ، فهو جبريل عليه السلام الذى ظهر لها انسانا مستوى الخلق ، وبشرها بما أراد الله أن يهب لها .

يقول الشيخ محمد جمال الدين القاسمى فى تفسيره :

" فأرسلنا اليها روحنا " أى جبريل المنسوب الى مقام عظمتنا لغاية كماله لينفخ فيها " فتمثل لها " أى فتصور لرؤيتها " بشرا سويا " أى سوى الخلق ، كامل الصورة" (٣)

ويقول الشوكانى فى فتح القدير :

" فأرسلنا اليها روحنا " هو جبريل عليه السلام . وقيل هو روح عيسى لأن الله سبحانه خلق الأرواح قبل الاجساد . والأول أولى لقوله (فتمثل لها بشرا سويا "

---

(١) مريم ٢٢

(٢) وممن ذهب الى الرأى المخالف الدكتور / محمود بن الشريف فى كتابه " الأديان فى القرآن " (٣) تفسير القاسمى " محاسن التأويل ج١١ ص١٣ ٤ .

أى تمثل جبريل لها بشرا مستوى الخلق لم يفقد من نعوت بنى آدم شيئا " (١)
ويعضد هذا المعنى ما ورد فى انجيل لوقا اذ يقول كاتبه :
وفى الشهر السادس (٢) أرسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم فدخل اليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها . الرب معك مباركة أنت فى النساء . فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية، فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم ، لانك قد وجدت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع .... فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا ؟ فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك ... " (٣).

وكما يظهر من هذا النص ، فان المعنى الذى دل عليه ، يتفق مع ما دل عليه النص القرآنى الذى ذكر بشارة الملك لمريم بحمل المسيح ، حيث ذكر أن مريم استعاذت بالله من الملك وأنه طمأنها وبشرها ، وأنها استغربت واستفسرت كيف يكون لها غلام وهى عذراء عفيفة لم تعرف رجلا فأجابها الملك مبينا لها أن ذلك داخل فى قدرة الله عز وجل ، وأنه آية من آياته حيث قدر ايجاد المسيح من أنثى بلا ذكر وقدر من قبله ايجاد آدم بلا أب ولا أم وعلى غير مثال سابق وخلق منه حواء بلا أم وعلى غير سنن التوالد البشرى .

---

(١) فتح القدير ج ٣ ص ٣٢٧ .
(٢) الشهر السادس هنا : أى من حمل امرأة زكريا بيحيى عليه السلام .
(٣) لوقا ١ : ٢٦ـ٣٥ .

مولد المسيح عليه السلام

لما حملت مريم بالمسيح عليه السلام وابتعدت عن أهلها الى الموضع الشرقي من بيت المقدس ، حانت ساعة الولادة فألجأها الطلق الى جذع النخلة ، وهناك تمنت مريم لو أنها ماتت قبل أن تحمل وأصبحت شيئا تافها لا شأن له وذلك لان الولادة لا يمكن اخفاؤها بخلاف الحمل فانه من الممكن اخفاؤه .

فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ، فأجاءها المخاض الى جذع النخلة ، قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) (١) .

وأظهرت مريم بهذا التمنى الضعف الانسانى أمام قالة السوء مع ايمانها بأنها بريئة مما قد يقال لها وأن الله تعالى لم يرد بها الا خيرا .

يقول القاسمى : " وانما قالت ذلك ، لما عرفت أنها ستبلى وتمتحن بهذا المولود الذى لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد . فلحقها فرط الحياء وخوف اللائمة اذا بهتوها وهى عارفة ببراءة الساحة ، وبضد ما قرفت به ، من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام ـ قال الزمخشرى ـ لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام ، أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر ، تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ، ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به ويعنف بسببه " (٢) .

ولما أظهرت مريم حزنها وأسفها وقالت ما قالت ، ناداها جبريل عليه السلام آمرا اياها بعدم الحزن ، ومبشرا لها بما من الله به عليها من نبع ماء يجرى تحتها ونخلة مثمرة فوقها ،وأرشدها الى أن تهز جذع النخلة وتجذبها نحوها ليتناثر عليها الرطب ،الذى يعتبر أجود غذاء للمرضع ، كما أرشدها الملك الى الطمأنينة وملازمة الصمت وعدم الاجابة على ما سيقال لها من البشر . يقول الله تعالى فى ذلك :

(فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا . وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولي انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا) (٣)

---

(١) مريم ٢٣ (٢) تفسير القاسمى جـ١١ ص ٤١٣٤ (٣) مريم ٢٤ ـ ٢٦ .

ولما تم وضعها عادت الى قومها وهى تحمل وليدها عيسى عليه السلام . ولما شاهدوا الطفل فى يدها أخذ تهم الدهشة ، ورموها بالسوء وقالوا لها لقد جئت بأمر بديع .

(فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا ، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) (١)

انه لمما يستغرب حقا ، أن تأتى عذراء معروفة بصلاحها وتقواها ، ومنتمية الى أبوين صالحين وهى تحمل فى يديها ولدا . وهذا الامر العجيب تبعه أمر أعجب منه لم يكن فى الحسبان . وهو تكلم الطفل وهو فى المهد ، وذلك حينما خاطب القوم مريم وقالوا لها ما قالوا ،لزمت الصمت ، لأنها نذرت أن لا تكلم أحدا ، كما أرشدها الملك الى ذلك من قبل ، واكتفت عن الكلام بالاشارة الى ابنها ليسألوه . الا أنهم استنكروا ذلك لما جرت به العادة من عدم قدرة الأطفال على التكلم .

(فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) (٢) .

وما أن قالوا هذا الكلام لمريم حتى بادرهم الصبى بقوله :

(.. انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) (٣)

فنطق الصبى بالحق واعترف بعبوديته لله عز وجل قبل أى شئ ، وذكر أنه نبى آتاه الله الكتاب فى سابق علمه ، وجعله كثير النفع أينما حل ، وأمره بطاعته والاستقامة عليها حتى يتوفاه الله كما جعله بارا ومطيعا لوالدته ،غير متكبر ولاعاصى ، وان الله عز وجل ، كتب له السلامه من كل سوء ، حيث لم يضره شيطان عند ولادته ، ولا يضره كذلك عند وفاته ، كما لم يضره كيد الاعداء مدة حياته بين معارضيه ، الى أن رفعه الله اليه وكذلك عندما يبعثه الله فى القيامة حيا .

هكذا نطق الصبى فى المهد ،وكلم الناس بالحق الذى أنطقه الله به ، غير أن كلامه هذا لم يجد آذانا صاغية ، حيث عابه اليهود ، وغلا فيه النصارى حتى اعتقدوا فيه الألوهيــة .

---

(١) مريم ٢٧ـ٢٨ (٢) مريم ٢٩ (٣) مريم ٣٠ـ٣٣ .

نشأة المسيح عليه السلام

ان القرآن الكريم لم يتعرض فيما قصه علينا من أخبار المسيح عليه السلام — لكيفية نشأته وحياته الأولى بعد ولادته وقبل البعثة • ولعل ذلك راجع الى أن الفترة الواقعة ما بين المجاهرة بالدعوة وما بين الولادة ، فترة غير ذات شأن في الديـن.

وسنة القرآن الكريم فيما يقصه علينا من قصص الأنبياء ، هى توضيح ما يتصـل برسالتهم ، وما جرى بينهم وبين أممهم من اختلاف ، وما ترتب على ذلك من هـلاك المعاندين ، وما من الله به على رسله والمؤمنين بهم من النصرة والنجاة من كيد الكفار ولهذا لم يرد فى كتاب الله تعالى ما يتعلق بحياة الرسل الخاصة ، اللهـم الا ما كان له أثر فى حياتهم الأولى ونشأتهم السابقة على الرسالة ، فقد قصه القرآن الكريم ، وذلك كقصة موسى مع فرعون ، وقصة يوسف مع اخوته •

من أجل ذلك ، لم يأت فى القرآن الكريم ما يتصل بحياة المسيح ونشأته • وكل ما ورد عنه فى كتاب الله تعالى يتلخص فى قصة حمله ، وولادته ، ثم رسالتـه ، وما جرى بينه وبين بنى اسرائيل ، ثم فى تفنيد ما يعتقده النصارى من ألوهيته أو بنوته ونحو ذلك•

ولهذا ، فليس من الممكن أن نأتى بشئ يتعلق بحياة عيسى ابن مريم عليه السلام قبل دعوته لبنى اسرائيل من القرآن الكريـم •

صفات المسيح عليه السلام

وصف الكتاب العزيز عيسى ابن مريم عليه السلام بصفات حميدة مثله في ذلك كمثل الأنبياء الكرام الذين ورد ذكرهم في كتاب الله تعالى .

وبما أننا قد تبينا صفات المسيح في عقيدة المسيحيين فيما سبق من الأبواب فاننا نستعرض هنا ما ورد في القرآن الكريم من صفاته علنا نرى البعد الشاسع بين العقيدة المسيحية والعقيدة الاسلامية في نبي الله ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام الذي يرى النصارى ألوهيته ، ويؤمن المسلمون بنبوته وعبوديته لله وبشريته المحضة .

وصفات المسيح الواردة في القرآن الكريم واضحة جلية تبين شخصيته بيانا يدركه العقل الانساني بسهولة ويسر ، وفيما يأتي نستعرض تلك الصفات فنقول :

١ ـ من صفات المسيح المتكرر ذكرها في القرآن الكريم ، البشرية المحضة ، ولعلها أكثر الصفات ورودا في كتاب الله تعالى .

ومن أدلتها ما ورد فيه ذكر عيسى عليه السلام منسوبا الى أمه مريم اما بلفظ عيسى ابن مريم أو بلفظ المسيح ابن مريم أو بلفظ ابن مريم ، وقد بلغ مجموع ما ورد من هذه الالفاظ خمسة وعشرين لفظا في احدى عشرة سورة من القرآن الكريم .

وفي هذا دليل على أن المسيح بشر رغم ولادته من أنثى بلا ذكر ، وأنه ينتسب الى أمه فقط . ولذلك أكثر القرآن الكريم من نسبة المسيح الى أمه في كثير من آياته التي ورد فيها ذكره وهذه لفتة الهية الى أن المسيح ابن مريم فقط ، وأنه بشر خصه الله بتلك الخصلة الغريبة حيث أوجده من أم عذراء من غير أب .

ومن أدلتها أيضا قوله عز وجل : (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام .... الآية) (١)

---

(١) سورة المائدة آية ٧٥ .

فذكر الله عز وجل أنه ابن مريم ، ومريم بشر باتفاق ، فابنها مثلها وأنه كان وأمه يأكلان الطعام وذلك دليل على بشريته ،لان الحاجة الى الطعام من صفات المخلوق ، أضف الى ذلك ما يترتب على أكله من شبع واحتياج الى خروج الفضلات ، وهذه احدى دلائل البشرية التى لا تقدح فى مقام الرسالة ولكنها تنافى الألوهية المنسوبة الى المسيح عليه السلام .

وقد اتضح لنا من الأناجيل الأربعة كيف كان عيسى ابن مريم يحب أن يسمى نفسه " ابن الانسان " ولعل السر فى ذلك هو التنبيه الى بشريته المحضة. كما هو السر فيما جاء فى القرآن الكريم من تكرار نسبته الى أمه مريم .

٢ـ ومنها صفة العبودية لله عز وجل :

فقد وردت هذه الصفة فى أول كلمة نطق بها عيسى ابن مريم وهو فى المهد حين قال : (.. انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا) (١)

وفى هذا المعنى ما ورد فى انجيل يوحنا على لسان المسيح حيث قال لمريم المجدلية : " ... اذهبى الى اخوتى وقولى لهم انى أصعد الى أبى وأبيكم والهى والهكم " (٢)

فأثبت لله الألوهية ولنفسه العبودية .

وذكر القرآن الكريم أن المسيح لن يأنف أن يكون عبدا لله عز وجل اذ يقول الله عز وجل : (لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا) (٣)

وكذلك أورد الكتاب العزيز ما سيقع من تبرىء المسيح ممن عبدوه يوم القيامة ، مما يدل على عبوديته لربه عز وجل ، وذلك يوم يسأله الرب قائلا : (يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله) (٤)

---

(١) مريم ٣٠
(٢) يوحنا ٢٠ : ١٧
(٣) النساء ١٧٢
(٤) المائدة ١١٦

وكان جوابه عليه السلام عن هذا السؤال الذى يوبخ الله به عابدى المسيح بقوله : (... سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما نفسى ولا أعلم مافى نفسك انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد) (١)

يقول صاحب تفسير المنار : " أى ما قلت لهم فى شأن الايمان وأصل الدين وأساسه الذى يبنى عليه غيره ، ولا يعتد بغيره دونه ،الا ما أمرتنى بالتزامه اعتقادا وتبليغا ،وهو الأمر بعبادتك وحدك مع التصريح بأنك ربى وربهم ، وأننى من عبادك مثلهم ، الا أنك خصصتنى بالرسالة اليهم " . (٢)

ومنه قول الله تعالى : (... وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) (٣) . فثبت بهذه الآيات عبودية عيسى ابن مريم لله عز وجل .

٣ـ ومن صفاته عليه السلام ، صفتا النبوة والرسالة .
وكل واحدة منهما صفة شرف يمتاز بها رسل الله وأنبياؤه على سائر البشر ، وليس المسيح عليه السلام غير واحد من أولئك الرسل الذين سبقوه .
يقول الله تعالى : (واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعد اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) (٤) .

وعليه يدل قول الله عز وجل (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والأنجيل . ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) (٥)

فأثبت أنه رسول الله الى بنى اسرائيل جاء بآيات من الله تعالى . وفى سورة مريم ذكر المسيح عليه السلام أنه عبد الله عز وجل آتاه الكتاب وجعله نبيا ، فأعلن بذلك رسالته ونبوته بعد أن أعلن أنه عبد الله عز وجل .

---

(١) المائدة ١١٦ـ١١٧ (٢) تفسير المنار ج ٧ ص ٢٦٧
(٣) المائدة ٧٢ (٤) الصف ٦
(٥) آل عمران ٤٨ ـ ٤٩ .

(قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا) (١)

وقال تعالى : (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافى السموات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلا) (٢)

وقال عز من قائل : (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) "٣"
هذه هى أدلة القرآن الكريم على رسالة المسيح ونبوته . وقد وردت آيات كثيرة فيه تدل على هذا المعنى ، وعلى أنه أحد رسل الله عز وجل .

ومنه قوله عز وجل . (وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) (٤) . وقوله تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ... (٥) .

وكل هذه الآيات تدل على نبوة المسيح ورسالته عليه السلام .

٤- ومن صفاته عليه السلام ، أنه كلمة الله .

ومعنى كونه كلمة الله ، هو تكونه عليه السلام بكلمة " كن " فقط ، من غير أن يكون له أب ومع أن جميع المخلوقات تكونت بكلمة كن ، فان تكون المسيح بها فقط ميزة عن غيره حتى لقب بالكلمة التى كون بها ، وليس هو عين الكلمة التى تتكون بها الكائنات وقد جاء فى كتاب الله تعالى وصف المسيح بالكلمة فى قوله تعالى :

(انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ...) (٦) .

وقيل معنى الكلمة : البشارة التى جاءت بها الملائكة الى مريم ، وقيل المراد بها أنه يوضح ما حرفه اليهود من كلام الله ولذلك وصف بالكلمة . وقيل وصف بالكلمة اشارة الى بشارة الأنبياء به .

والقولان الأولان وجيهان لوضوح معناهما . يقول صاحب تفسير المنار :

---

(١) مريم ٣٠ (٢) النساء ١٧١ (٣) المائدة ٧٥
(٤) المائدة ٤٦ (٥) البقرة ٢٥٣ (٦) النساء ١٧١

" وفى لفظ كلمة أربعة وجوه : أحدها ، أن المراد بالكلمة كلمة التكوين لا كلمة الوحى ذلك لأنه لما كان أمر الخلق والتكوين وكيفية صدوره عن البارى عز وجل مما يعلوا عقول البشر ، عبر عنه سبحانه بقوله : (٣٦ : ٨٢ انما أمره اذا اراد شيئا أن يقول لـه كن فيكون) فكلمة " كن " هى كلمة التكوين ... وههنا يقال ان كل شئ قد خلق بكلمة التكوين ، فلماذا خص المسيح باطلاق الكلمة عليه ؟ وأجيب عن ذلك بأن الأشياء تنسب فى المادة والعرف العام فى البشر الى أسبابها ، ولما فقد فى تكوين المسيح وعلوق أمه به ما جعله الله سببا للعلوق ، وهو تلقيح ماء الرجل لما فى الرحم من البيوض التى يتكون منها الجنين أضيف هذا التكوين الى كلمة الله . وأطلقت الكلمة على المكون ايذانا بذلك أو جعل كأنه نفس الكلمة مبالغة وهذا هو الوجه المشهور " (١)

ثم ذكر وجهين آخرين وهما القول بأنه أطلق عليه الكلمة لانه بشارة الأنبياء ، والقول بأنه أطلق عليه ذلك لأنه يبين كلام الله الذى حرفه بنو اسرائيل . ثم اورد الوجه الرابع فقال :

" الوجه الرابع أن المراد بالكلمة كلمة البشارة لأمه ، فقوله : " بكلمة منه " معناه : بخير من عنده أو بشارة ، وهو قول القائل : ألقى الى فلان كلمة سرنى بها ، بمعنى أخبرنى خبرا فرحت به ، قاله ابن جرير واستشهد له بقوله (وكلمته ألقاها الى مريم) يعنى بشرى الله مريم بعيسى ألقاها اليها . قال : فتأويل القول : وما كنت يا محمد عند القوم اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده هى ولد لـك اسمه المسيح عيسى ابن مريم" ثم قال مستدلا على هذا ما نصه : " ولذلك قال عز وجل : " اسمه المسيح " فذكره ولم يقل اسمها فيؤنث والكلمة مؤنثة لأن الكلمة غير مقصود بها قصد الاسم الذى هو بمعنى فلان وانما هى بمعنى البشارة فذكرت كنايتها كما تذكر كناية الذرية والدابة والألقاب " (٢) .

وقد ذهبت الى اختيار القولين من الأقوال الأربعة ، نظرا لما يدعمهما من أدلة أوردها صاحب تفسير المنار ، وليس ببعيد أن يكون المعنيان مرادين بلفظ الكلمة ، بمعنى أنه بهذين الاعتبارين وصف بالكلمة ، ويقول القاسمى فى ذلك : " يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه " أى بمولود يحصل بكلمة منه بلا واسطة أب " (٣)

---

(١) تفسير المنار ج ٣ ص ٣٠٣ ــ ٣٠٤
(٢) تفسير المنار ج ٣ ص ٣٠٤ ــ ٣٠٥ (٣) تفسير القاسمى ج ٤ ص ٨٤٤

٥ـ ومنها وصفه عليه السلام بأنه روح الله :

ومعنى ذلك أنه روح من الأرواح التى خلقها الله عز وجل . وقوله عز اسمه فى حقه : " انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، مثل قوله تعالى : (وسخر لكم ما فى السموات ومافى الأرض جميعا منه) (١)

بمعنى أنه سخر للانسان ما فيهما جميعا من عنده تبارك وتعالى ، وكذلك القول فى معنى قوله " وروح منه " أى روح من الأرواح التى خلقها الله من عنده ، وعلى ذلك دل قوله تعالى : (والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آيــة للعالمين) (٢)

وقوله : (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) (٣)
قال الامام الشوكانى فى قوله تعالى (وروح منه) :
" قوله : (وروح منه) أى أرسل جبريل فنفخ فى درع مريم فحملت باذن الله ، وهذه الاضافة للتفضيل وان كان جميع الأرواح من خلقه تعالى " (٤) .
وذكر صاحب تفسير المنار فى معنى الروح أن من معناه : " أنه خلق بنفخ من روح الله وهو جبريل عليه السلام ، ويوضحه قوله تعالى فى أمه : (٢١ : ٩١ : والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا) وقال تعالى فيها : (١٩ : ١٦ : فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) كما قال فى خلق الانسان بعد ذكر بدئه من طين (٢٢ : ٨ : ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون) (٥) .

٦ـ ومنها وصفه بأنه وجيه فى الدنيا والآخرة :

وقد جاء ذلك فى قوله تعالى :
(واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين) (٦) .

الوجيه هو ذو المنزلة والجاه . يقول الامام الشوكانى .
" والوجيه ذو الوجاهة : وهى القوة والمنعة ، ووجاهته فى الدنيا النبوة ، وفى الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة " (٧)

---

(١) الجاثية ١٣ (٢) الأنبياء ٩١ (٣) التحريم ١٢
(٤) فتح القدير جـ ١ ص ٥٤٠ (٥) تفسير المنار جـ ٦ ص ٨٢
(٦) آل عمران ٤٥ (٧) فتح القدير جـ ١ ص ٣٤١ .

هذه بعض صفات المسيح الواردة فى القرآن الكريم.

وأما كلمة " المسيح " فقد فسرت بعدة معان :

١ـ منها : أنها معربة من كلمة (مشيحا) العبرانية ومعناها الممسوح بالدهن المقدس

٢ـ ومنها : أنها من المسح لأن المسيح مسح الأرض بتجواله فيها بلا استكنان.

٣ـ ومنها : أنه سمى بذلك لأنه لا يمسح ذا عاهة الا برئ.

٤ـ ومنها : لأنه ممسوح الأخمصين.

٥ـ ومنها : لأن الجمال مسحه

٦ـ ومنها : لان الله مسحه بالطهارة من الذنوب وعلى هذه الأقوال الستة هو فعيل بمعنى مفعول.

٧ـ ومنها : أن المسيح معناه الصديق. (١)

وهذه المعانى السبعة التى ذكرها المفسرون من علماء المسلمين على كثرتها فان ستة منها تتفق فى أنها مشتقة من المسح الا أن الأولى منها فى نظرى هو القول الأول ، وهو أنه سمى مسيحا لأنه ممسوح للنبوة من قبل الله عز وجل كما كان الأنبياء ومن يتولى المناصب الدينية أو الملك يمسحون بالدهن ، وهو وان لم يمسح بالفعل بذلك الدهن فقد مسحه الله لمنصب النبوة.

قال القاسمى : " قال البقاعى : وأصل هذا الوصف أنه كان فى شريعتهم من مسحه الامام بدهن القدس كان طاهرا متأهلا للملك والعلم والولايات الفاضلة مباركا ، فدل سبحانه على أن عيسى عليه السلام ملازم للبركة الناشئة عن المسح وان لم يمسح " (٢)

والنصارى يذهبون الى هذا المعنى فى تفسير كلمة " المسيح " ويؤكدون أنه مأخوذ من كلمة " مشيحا " العبرانية. (٣).

ومهما قيل فى هذه الكلمة من معنى ، فانها أصبحت لقبا على عيسى ابن مريم عليه السلام حتى عرف به بين المسلمين الذين آمنوا ببشريته ورسالته ، وبين المسيحيين الذين كفروا برسالته وبشريته المحضة ، وزعموا أنه ابن الله وشريكه فى الألوهية.

---

(١) راجع فتح القدير للشوكانى جـ ١ ص ٣٤١ ، وتفسير المنار جـ٣ ص ٣٠٥ ومحاسن التأويل للقاسمى جـ ٤ ص ٨٤٤

(٢) محاسن التأول جـ٤ ص ٨٤٤

(٣) راجع ألقاب المسيح للقس منيس عبد النور ص ٣٩ و ٤٢ .

الفصل الثاني

* دعوة المسيح لبني اسرائيل عليه السلام
* الآيات التي جرت على يديه
* أثر دعوته في بني اسرائيل

دعوة عيسى ابن مريم لبني اسرائيـــــــــــل

ذكر القرآن الكريم أن عيسى ابن مريم عليه السلام بعث في بني اسرائيـل الذين كثرت فيهم الانحرافات عن منهج التوراة حيث جمدوا على ظواهـر ألفاظها غير مهتمين بما فيها من هدى ونور أنزل ليهذب النفوس ، وكانت رسالته رسالة اصلاحية لما طرأ على الشريعة الموسوية من التحريف والتجسيد من قبل اليهود ، كما كانت رسالته تخفيفا ورفعا لبعض الاحكام التي شدد ـ الله بها على اليهود بسبب ظلمهم وكفرهم وكثرة عنادهم لرسلهم ، كما ورد ذلك في قوله عز وجـل : (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا . وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) (١)

وجاءهم عيسى ابن مريم داعيا الى التمسك بلب التوراة ، ونفض ما علق بهـا من غبار القدم . ولم يأتهم بشرع جديد ينسخ شريعة موسى عليه الســـــلام سوى بعض تلك الامور التي وضعها الله عليهم عقابا لهم . ولذلك قال المسيح عليه السلام لبني ارسائيل ، انه جاءهم رسولا من عند الله بآية تدل على صدقـه ومقرا بشريعة موسى عليه السلام . قال تعالى : (.. و مصدقا لما بـــين يدى من التوراة ، ولأحـل لكم بعض الذى حرم عليكم ، وجئتكم بآية من ربكـم فاتقوا الله وأطيعون . ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) (٢)

ويتفق هذا مع ما يرويه (متى) على لسان المسيح عليه السلام اذ يقول : " لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض ، بـــل لأكمـل ، فاني الحق أقول لكم : الى أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حـرف واحـد ، أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل ، فمن نقض احدى هـــذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا ، يدعى أصغر في ملكوت الله " (٣)

ويؤكـد القرآن الكريم أن عيسى ابن مريم قد نزل عليه كتاب من عند اللـــــه

---

(١) النساء ١٦٠ ـ ١٦١
(٢) آل عمران ٤٩ ـ ٥٠
(٣) متى ٥:١٧ـ١٩ .

عـز وجـل اسمه الانجيل قال تعالى : (وقفينا على آثارهم بعيسى ابـن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونـــــور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) (١)

ولعل فى تمسك النصارى بأسفار التوراة (العهد القديم) بجانـــب العهد الجديد ، دليلا على تبعية رسالة المسيح لرسالة موسى عليهمـــا السلام ، فان المسيحيين لا يزالون يجمعون بين كتب العهدين فى كتـــاب واحد يسمونه الكتاب المقدس ، ويؤمنون بهما معا على أساس أن شريعـــة عيسى امتداد لشريعة موسى ، غير أنهم مع ذلك لم يقيموا وزنا لما فى أسفـــار العهد القديم من دلائل تنطق بوحدانية الله تعالى ، وتدل على التوحيـــد الخالص ، وتدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له .

ودعوة عيسى عليه السلام تشتمل على الايمان بالكتب السابقة ، ومن جـــاء قبله من الأنبياء ، كما تشتمل على البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، قـــال تعالى :

(واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بـــين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهـــم بالبينات قالوا هذا سحـــر مبين) (٢)

وفى تصديقه للتوراة ، تصديق لرسالة موسى ومن قبله من الأنبياء ، لأن الكتب السماوية كلها دعت الى الايمان الجملى بأنبياء الله تعالـــــى ، فان من كذب واحدا منهم فقد كذبهم ذلك لان دعوتهم واحدة ، ومرسلهـــم واحـــد .

ومع أنه لم تكن للمسيح رسالة خاصة ـ كما سبق أن بينا ذلك ـ فان ما يعرف اليوم باليهودية والمسيحية ديانتان مستقلتان ذلك لان بنى اسرائيل لما اختلفوا فى شأن دينهم وتقطعوا أمرهم ، جاءهم المسيح ليجمعهم على كلمـــة الحق فقال لهم : (قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيـــه فاتقوا الله وأطيعون) (٣)

---

(١) المائدة ٤٦ (٢) الصـــف ٦
(٣) الزخـرف ٦٣

ولكنهم لم يستجيبوا لدعوته وكفروا به ولم يؤمن به سوى عدد قليل من خواصه الذين انحازوا اليه والى ذلك يشير قوله تعالى : (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) (١)

وبهذا الاختلاف أصبحت المسيحية عقيدة مستقلة عن اليهودية ، ثم ابتعدت عن نهج التوراة بمرور الزمن ، قال تعالى : (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم) (٢)

هذه هى دعوة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، وذلك هو منهج رسالته وشرعته التى لم تكن تختلف عن شريعة التوراة ، لولا ما أتى عليهما من التحريف الذى غير معالمها ، حتى أصبحت ديانة مقطوعة الصلة عن وحى الله تعالى .

---

(١) الصف ١٤
(٢) الزخرف ٦٥

الآيات التي أظهرها الله على يد عيسى عليه السلام

لماكانت رسالة المسيح الى قوم أوتوا الخصام والجدل والعناد المتأصل في النفوس ، أيده الله عز وجل بآيات كثيرة تدل على صدقه في رسالته ، وكانت تلك الآيات من جنس ما كان سائدا في قومه غير أنها ليست مما في استطاعتهم الاتيان به .

يقول ابن كثير : " كانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان ، فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزته مما يناسبه أهل زمانه ، وكانوا سحرة أذكياء فبعث بآيات بهرت الأبصار وخضعت لها الرقاب ، ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهي اليه ، وعاينوا ما عاينوا من الأمر الباهر الهائل الذي لا يمكن صدوره الا عمن أيده الله وأجرى الخارق على يديه تصديقا له ، أسلموا سراعا ولم يتلعثموا ، وهكذا عيسى ابن مريم بعث في زمن الطبائعية الحكماء فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون اليها ، وأنى لحكيم ابراء الاكمه الذي هو أسوأ حالا من الأعمى والأبرص والمجذوم ومن به مرض مزمن ، وكيف يتوصل أحد من الخلق الى أن يقيم الميت من قبره ؟ هذا مما يعلم كل أحد (أنه) معجزة (١) دالة على صدق من قامت به وعلى قدرة من أرسله ، وهكذا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين بعث في زمن الفصحاء البلغاء ، فأنزل الله عليه القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . فلفظه معجز تحدى به الانس والجن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة ، وقطع عليهم بأنهم لا يقدرون لا في الحال ولا في الاستقبال " (٢)

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة في معرض ذكره لمعجزات عيسى ابن مريم عليه السلام : " ... ولقد أيده الله بمعجزات وان ولادته نفسها معجزة كما جاء في الملل والنحل للشهر ستاني : فقد قال رحمه الله في ذلك : " كانت له

---

(١) كلمه (أنه) سقطت عن النسخة وأضفتها الى النص بعد أن وجدتها في النص الذي نقله الشيخ أبو زهرة من البداية والنهاية في ص ٢١ من كتابه " محاضرات في النصرانية " .

(٢) البداية والنهاية ج ٢ ص ٨٤ .

آيات ظاهرة ،وبينات زاهرة مثل احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص ، ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه وذلك حصوله من غير نطفة سابقة ، ونطقه من غير تعليم سابق " (١)

ثم ذكر الشيخ أبو زهرة الآيات التى أجراها الله على يد المسيح ، والتى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، وعدها خمس آيات وهى تتلخص فيما يأتى : (٢)

١ـ تصويره عليه السلام من الطين على شكل الطير ، فيكون طيرا باذن الله بعد أن ينفخ فيه عليه السلام ، والله تعالى هو الخالق فى ذلك بقدرته

٢ـ احياؤه للموتى بقدرة الله عز وجل .

٣ـ ابراؤه للأكمه والأبرص وهما مرضان تعذر على الطب قديمه وحديثه العثور على دواء لهما .

٤ـ انزال المائدة من السماء استجابة لطلب الحواريين الذى أرادوا أن تطمئن قلوبهم ويعلموا صدقه.

٥ـ اخباره عليه السلام بأمور غائبة عن حسه ، فقد كان يخبر تلاميذه بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم .

وهذه الآيات التى لخصها الشيخ أبو زهرة وأشار اليها ابن كثير فى البداية والنهاية ،ورد ذكر أربعة منها فى قوله تعالى حكاية عن المسيح اذ قال لبنى اسرائيل :

(... أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بأذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) (٣)

وذكرت المعجزة الخامسة فى قوله تعالى :

(اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ، قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ، قال عيسى ابن مريم :

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٩
(٢) أنظر محاضرات فى النصرانية ص ٢٠
(٣) آل عمران ٤٩

اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين • قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) (١)

هذه هى الآيات الخمس التى أوتيها عيسى ابن مريم عليه السلام ، وهى التى دعم الله بها رسالته ودلل بها على صدقه فى نبوته ،ومع أن ولادته بتلك الطريقة الغريبة ونطقه فى المهد يعتبران من آيات الله تعالى ، فانهما غير داخلين فى نطاق الآيات التى قصد بها اثبات النبوة وصدق دعوى الرسالة ، لأن ولادته بلا أب قصد به التدليل على قدرة الله عز وجل على التصرف فى السنن الكونية المألوفة بخرقها بما شاء من أمور عجيبة ، وكلامه فى المهد ، قصد منه تبرئة ساحة أمه مما نسب اليها من قالة السوء • ولهذا الاعتبار لم يذكر الشيخ أبو زهرة هاتين الآيتين فى ضمن المعجزات التى أوتيها عيسى ابن مريم عليه السلام • كما لم يذكرهما الدكتور أحمد شلبى عندما ذكر المعجزات العيسوية الأربعة فى كتابه مقارنة الأديان (٢)

وللدكتور أحمد شلبى رأى مخالف لمن يقول ان معجزات عيسى عليه السلام كانت من جنس ما برع فيه بنو اسرائيل (٣) اذ يقول :

" أكثر معجزات الرسل تأتى من نوع ما اشتهر من الفكر فى عهد كل منهم وتكون فى مستوى أعلى مما يستطيعه الناس ، فالسحر كان معجزة موسى ، والبلاغة كانت من معجزات محمد ، لانتشار السحر فى عهد موسى ، وانتشار البلاغة فى عهد محمد ، ولكن هل معنى هذا هو انتشار الطب بين بنى اسرائيل فى عهد عيسى ؟لا فان الثابت أن معرفة بنى اسرائيل بالطب كانت قليلة حينذاك وقبل ذاك ، حتى لقد كان انتشار الوباء بينهم من أسباب اخراجهم من مصر ، والحقيقة أن معجزات عيسى فى صميمها تتسق مع مولده ، فمعجزاته من نوع مولده ترمى الى الناحية الروحية واقامة الدليل على وجود الروح ، تلك التى أنكرها أكثر بنى اسرائيل ،فخلق شكل طير من الطين لا حراك فيه ، ثم النفخ فيه فيتحرك ويطير مع أن مادته لم يزد عليها شئ ، معناه أن زيادة جديدة طرأت ، وهذه الزيادة ليست مادية قط ، فلابد أن تكون روحية ، فجسم الميت الذى لا يتحرك ولا يحس ، يصبح بعد محاولة عيسى حيا

---

(١) المائدة ١١٢ ـ ١١٥

(٢) راجع المسيحية ص ٣٣ وما بعدها •

(٣) ابن كثير فى البداية والنهاية جـ ٢ ص ٨٤ والشيخ محمد أبوزهرة فى " محاضرات فى النصرانية ص ٢٠ •

واعيا دون زيادة مادية عليه ، فمعنى ذلك وجود الروح " (١)

ولئن كان ما ذكره الدكتور أحمد شلبى ينطبق على خلق الطير واحياء الموتى بأذن الله عز وجل ، فان جانب الابراء للمرضى ينطبق على التحدى المادى لمن ينكر رسالة المسيح فيكون ذلك من جنس ما برع فيه الناس فى عهد المسيح ، واذا ثبت أن بنى اسرائيل لم تكن لهم معرفة بالطب فلا تنكر عليه ذلك ، غير أن عدم معرفتهم بالطب لا يمنع من أن يكون فى أوساط بنى اسرائيل من يتقن الطب من الرومان واليونانيين الذين لا ينكر شأنهم فى مجال الطب وتفوقهم فيه ، ثم كون بنى اسرائيل لا يعرفون الطب عند اقامتهم بمصر لا يكون دليلا على أنهم لا يعرفونه فى عهد المسيح لأن الفترة الفاصلة بين عهد موسى وعهد عيسى فترة طويلة تكفى لان تتطور خلاله عشرات الاجيال لانها تمد بنحو ألف سنة ، وعليه فلا يمكن أن نتخذ ذلك دليلا على عدم معرفة بنى اسرائيل بالطب فى عهد المسيح .

ثم ان قول الدكتور أحمد شلبى : " فالسحر كان معجزة موسى " لايتفق مع الحق المعلوم من أن أنبياء الله لم يكونوا سحرة قط ، فالسحر كبيرة من الكبائر لا تقع من الأنبياء فكيف يكون معجزة لنبى من أنبياء الله تعالى . وموسى عليه السلام هو القائل لسحرة فرعون حينما ألقوا حبالهم وعصيهم : (أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون)(٢) ويقول تعالى على لسانه لهم : (ماجئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين) (٣)

وقد سمى الله عز وجل ما جاء به موسى آيات بينات ، وشنع مقالة من زعم أنها سحر اذ يقول تعالى :

(فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين) (٤)

ومن أجل هذه الأدلة القرآنية وغيرها ، نرى أن تسمية بعض آيات الأنبياء سحرا ليس الا من قبل معارضيهم من الكفار ، ولاينبغى لمسلم أن يجاريهم فى ذلك . ولعل ما وقع من الدكتور أحمد شلبى خطأ غير متعمد .

---

(١) المسيحية ص ٣٤ ـ ٣٥ (٢) يونس ٧٧
(٣) يونس ٨١ (٤) القصص ٣٦

ثم أن قوله ان بنى اسرائيل أخرجوا من مصر لانتشار الوباء فيهم ، لايتفق مع ما علم من النصوص الاسلامية من أن بنى اسرائيل خرجوا من مصر ، لا باخراج فرعون بل باخراج الله لهم على يد موسى عليه السلام مع امتناع فرعون من الموافقة على خروجهم ولم يخرجوا الا بمعجزة . رغم طلب موسى وهارون من فرعون السماح لبنى اسرائيل بالخروج من مصر . وقد جاء ذلك فى قوله تعالى : مخاطبا لهما : (فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى) (١)

ولم يكن المصريون قد أخرجوهم بل كانوا يسخرونهم للعمل ، ويستعبدونهم وكان خروجهم نجاة وخلاصا مما كانوا يقاسونه من العذاب المهين كما قال تعالى :

(ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين) (٢)

فتبين لنا من هذه الآيات عدم صحة القول بأنهم أخرجوا من مصر ، ولو كان خروجهم طردا وابعادا لهم من قبل فرعون ، لما اعتبر بنو اسرائيل يوم خروجهم عيدا يحتفل به الى يومنا هذا وهو عيد الخروج الذى ورد ذكره فى سفر الخروج من أسفار العهد القديم ، بقوله : " هى ليلة تحفظ للرب لأخراجه اياهم من أرض مصر هذه الليلة هى للرب ، تحفظ من جميع بنى اسرائيل فى أجيالهم " ٣"

تلك الآيات البينات هى معجزات عيسى ابن مريم عليه السلام التى أجرى الله عز وجل على يده لتكون علامة مبصرة على صدقه وصحة رسالته الى بنى اسرائيل ، ومع أن تلك الآيات مبصرة تدعو الى التصديق برسالة المسيح وتنطق بصدق دعوته فان القلوب القاسية التى تفوق الحجارة فى قسوتها ، قد لا تتأثر بها ، ولا تؤمن بمن جرت تلك الآيات على يده . وسيتضح لنا فى البحث الآتى ما كان من بنى اسرائيل تجاه دعوة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

---

(١) طه ٤٧
(٢) الدخان ٣٠ــ٣١
(٣) خروج ١٢ــ٤٢

أثر دعوة عيسى ابن مريم عليه السلام فى بنى اسرائيل

انقسم بنو اسرائيل ازاء دعوته الى فئتين ، فئة مؤمنة ، وفئة غير مؤمنة وهى الغالبية الكاثرة منهم والى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله : (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة)(١)

ولو كانت الآيات وحدها تكفى لدخول الناس فى دين الله جميعا ، لكان ما أوتيه عيسى ابن مريم كافيا لدخول قومه فى دعوته من غير أن يتخلف منهم أحد عن الايمان به ، وخاصة ماداموا يتعلقون بدين سماوى جاء المسيح مصدقا له ولكنهم قوم طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وخرج كثير منهم عن طاعة الله الى طاعة الاحبار الذين يدعون الى تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه الله عز وجل .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : " بعث عيسى عليه السلام بتلك البينات وأيد رسالته بتلك المعجزات ، وانها باهرة تخرس الألسنة ، وتقطع الطريق على منكرى رسالته ، لو كان الدليل وحده هو الذى يهدى النفوس الضالة والقلوب الشاردة ، ولكن القوم الذين بعث فيهم ، كانوا غلاظ الرقاب قساة القلوب فكانت مهمته شاقة ، اذ حاول هدايتهم ، لان منهم من علم الديانة رسوما وتقاليد يتجهون الى المظاهر والاشكال منها ، دون الاتجاه الى لبها وغايتها ، حتى لقد كان منهم من يحجم عن عمل الخير فى يوم السبت زاعما أنه داخل فى عموم النهى عن العمل فيه " .(٢)

بهذه القلوب المتحجرة اصطدمت دعوة المسيح عليه السلام ، ولم يستجب له الا طائفة منهم ، والنصوص القرآنية تدل على أن انحراف بنى اسرائيل لم يقتصر على الناحية السلوكية فحسب ، بل امتد الى صلب العقيدة حيث أشركوا بالله ـ تعالى وزعموا أن لله ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وفى ذلك يقول عز وجل : (وقالت اليهود عزير ابن الله) (٣)

أما من الناحية السلوكية ، فقد كانوا يدعون أنهم شعب الله المختار ، لا يدانيهم فى الشرف غيرهم من البشر ، وزعموا أنهم من العنصر الالهى ، واعتبروا غيرهم من عنصر

---

(١) الصف ١٤ — (٢) محاضرات فى النصرانية ص ٢٣

(٣) التوبه ٣٠

الشياطين الذين خلقوا لخدمتهم على الهيئة الانسانية . لقد جاء ذكر هذه العقيدة فى كتاب الكنز المرصود بقوله: " وقال الرابى مناحم: " أيها اليهود انكم من بنى البشر لان أرواحكم مصدرها روح الله. وأما باقى الأمم فليست كذلك ، لان أرواحهم مصدرها الروح النجسة " (١)

وجاء فيه أيضا قوله : " وقال الحاخام " أباربانيل " : المرأة الغيريهودية هى من الحيوانات. وخلق الله الأجنبى على هيئة الانسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم ،لانه لا يناسب لأمير أن يخدمه ليلا ونهارا حيوان وهو على صورته الحيوانية ،كلا ، ثم كلا ، فان ذلك منابذ للذوق والانسانية كل المنابذة " (٢) .

هذه عقيدة اليهود فى غيرهم من البشر ، وهى التى جعلتهم فى ضلال وتبار حتى نكبوا مرات عديدة قبل بعثة المسيح عليه السلام ،غير أنهم لم يتأدبوا ولم يتعظوا بما حصل لهم من ذل ومسكنة ، بل يعيدون الكرة كلما سنحت لهم الفرصة بشتى الوسائل ومختلف الحيل ليفسدوا فى الأرض ويستحوذوا على أهلها .

ولهذه الاعتبارات جابهوا دعوة عيسى ابن مريم عليه السلام ، لانها تحول بينهم وبين ما يشتهون ، بكبت غرورهم من جهة ، وحملهم على اعادة النظر فى اعتقادهم فى غيرهم من بنى آدم من جهة أخرى . وبهذا وذاك ، لم يزدهم دعاء عيسى ابن مريم الا كفرا وعنادا وسخرية بغيرهم من الأمم.

والقرآن الكريم قد أشار الى هذه العقيدة اليهودية فى مواضع من سوره يقول تعالى : (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما ، ذلك بأنهم يقولون ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (٣)

---

١ / الكنز المرصود فى قواعد التلمود ترجمة الدكتور يوسف حنا نصر الله الطبعة الثانية بيروت ١٣٨٨هـ ص ٦٨ يعتبر الكتاب ترجمة لكتابين ألفا بالفرنسية أحدهما لمؤلفه الدكتور روهلنج واسمه: (اليهودى على حساب التلمود) والثانى لمؤلفه الدكتور أشيل لوزان واسمه (تاريخ سورية لسنة ١٨٤٠م). وهذا النص مترجم من الكتاب الاول الذى يعتبر كاشفا لما فى التلمود من مضامين وقواعد ومخططات.

٢ / نفس المصدر ص ٦٨ ـ ٦٩

٣ / آل عمران ٧٥

وقال فى موضع آخر حكاية عنهم وعمن قلدهم من النصارى :

(وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، ولله ملك السموات والأرض ومابينهما واليه المصير) (١)

يقول صاحب تفسير المنار فى تفسير هذه الآية : " أى قل لهم أيها الرسول : اذا كان الأمر كما زعمتم ، فلم يعذبكم الله تعالى بذنوبكم فى الدنيا كما تعلمون من تاريخكم الماضى وكما ترون فى تاريخكم الحاضر . ومن هذا العذاب لليهود ما كان من تخريب الوثنيين لمسجدهم الأكبر ولبلدهم المرة بعد المرة ومن ازالة ملكهم من الأرض ، وللنصارى ، ما اضطهدهم به الأمم وما فكل به بعضهم ببعض ، وهوشر من تنكيلهم وتنكيل الوثنيين باليهود " (٢)

وهذا الفريق الطاغى من بنى اسرائيل صد عن دعوته ، وأما الفريق المؤمن فقد ذكره القرآن الكريم باسم الحواريين الذين أصبحوا أصحابه وخواصه الذين يلازمونه ويهتدون بهديه . وكان عددهم اثنى عشر رجلا كما جاء ذلك فى كتب النصارى كالأناجيل الاربعة ، وغيرها ، ولما يئس المسيح من ايمان بنى اسرائيل وعلم بكفرهم وكيدهم له ، طلب من يبايعه على الصحبة والايمان ، فاستجاب له أولئك النفر من قومه ، وأرادوه ، وأشهدوه على اسلامهم وايمانهم (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) (٣)

---

(١) المائدة ١٨
(٢) تفسير المنار جـ ٦ ص ٣١٥
(٣) آل عمران ٥٢ ـ ٥٣

الفصل الثالث

* موقف القرآن الكريم من قضية الصلب .
* نهاية عيسى عليه السلام على الأرض وآراء العلماء في ذلك .
* ابطال القرآن لعقيدة التثليث .

موقف القرآن الكريم من قضية الصلب

لقد اجمعت الأناجيل الأربعة على أن المسيح عليه السلام قتل صلبا على يد الرومان بوشاية من اليهود . واتضح لنا من خلال استعراضنا لنصوصها المتعلقة بقصة الصلب تباينها وتناقضها فى ذلك مع اجماعها كلها على وقوع الصلب . ودرسنا كذلك ما أخبرت به الأناجيل من أحداث متقدمة على الصلب ثم خرجنا من دراستنا لتلك النصوص بالحكم على قصة الصلب وما سبقها من مقومات بأنها قصة مختلقة لم يكن المسيحيون على علم ويقين بوقوعها ، واستأنسنا فى ذلك أيضا بما كان سائدا فى القرون المسيحية الأولى من اعتقاد لدى بعض الفرق المسيحية ، كفرقة الدوسيت وغيرها ممن يرون أن المسيح لم يصلب وانما صلب غيره .

وهنا نرى أن القرآن الكريم يؤكد عدم صحة القول بصلب المسيح ، ويوضح أن اليهود والنصارى لم يكونوا على يقين من أمره ، بل شبه لهم ذلك واختلط عليهم الامر ، وأن الله عز وجل نجى نبيه من مكر الماكرين حين مكروا بهم ورفعه من بينهم ، وطهره من جوارهم . ويقول تعالى مبينا بعض الأمور التى لعن من أجلها اليهود : (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقنا ـ بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) (١)

والشك المذكور هنا فى أمر عيسى ، ورد ذكر على لسان المسيح أيضا فى خطابه لتلاميذه قائلا : " كلكم تشكون فى هذه الليلة " (٢) ويعنى بالليلة ليلة المؤامرة ، وهذا الشك هو الذى جعلهم يتخبطون فى أمرهم .

قال الشيخ محمد جمال الدين القاسمى نقلا عن كتاب السيوف البتارة : " يعلم الواقف على حقائق التاريخ أن مسألة الصلب من أهم المسائل التى ولدت الشقاق والنفرة فيما بين النصارى عموما ، ونصارى مصر والشام فى الأجيال الأولى خصوصا فانهم كانوا غالبا يرفضون حصول الصلب رفضا باتا ، لان بعضهم كان يعتبره اهانة لشرف المسيح ، ونقصا فاضحا ، والبعض الآخر كان يجحده ،

(١) النساء ١٥٧ ـ ١٥٨ (٢) متى ٢٦ ـ ٣١

ارتكانا على الادلة التاريخية • وهؤلاء الجاحدون للصلب طوائف كثيرة، منها الساطرنيوسيون والمركيونيون والبارديسيانيون والتاتيانيسيون والكاربوكراتيون والمانيسيون والبارسكاليولينون والبوليسيون• اذ كلهم اعتقدوا مع كثيرين غيرهم بأنه لا يمكنهم أن يسلموا بنوع من الانواع أن المسيح سحر فعلا ،أو مات على الصليب حقيقة • حتى استخفوا بالصليب والصلب " (١)

وقال أيضا نقلا عن المسيو ادوارسيوس ،أحد الاعضاء الانستيتودى فرنس فى باريس قوله فى صفحة ٤٩ من كتابه عقيدة المسلمين فى بعض المسائل النصرانية : " ان القرآن ينفى قتل عيسى وصلبه • ويقول بأنه ألقى شبهه على غيره ،فغلط اليهود فيه وظنوا أنهم قتلوه ، وان ما قاله القرآن موجود عند طوائف النصرانية منهم الباسيليديون ، كانوا يعتقدون بغاية السخافة ،أن عيسى وهو ذاهب لمحل الصلب ، ألقى شبهه على سيمون السيرناى تماما ، وألقى شبه سيمون عليه ، ثم أخفى نفسه ليضحك استهزاء على مضطهديه الفالطين ومنهم السيرنتيون ، فانهم قرروا أن احد الحواريين صلب بدل عيسى ، وقد عثر على فصل من كتب الحواريين ،واذا كلامه نفس كلام الباسيليديين وقد صرح انجيل القديس برنابا باسم الذى صلب بدل عيسى فقال : انه يهوذا " (٢)

ونقل عن المؤرخ المسيو شاربيكار قوله : " ان مسألة صلب المسيح كلها مبتكرة مخترعة لاغير " (٣) ، كما نقل عن المؤرخ المسيو أرنست دى بونسن الالمانى قوله فى كتابه " النصرانية الحقة " صفحة ١٤٢ ، " ان جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء ، هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه ،من الذين لم يروا المسيح (عليه الصلاة والسلام) ، لا من أصول النصرانية الاصلية " ٣ "

وبهذا يعلم أن ما ذكره القرآن الكريم ،هو الحق الذى تدعمه الأدلة التاريخية ويقبله العقل الانسانى السليم ،كما يعلم منه أن عقيدة الصلب ليست مما أجمع عليه النصارى فى غابر الزمان ، غير أنها أخذت صورة الشرعية بعد انقراض الفرق المسيحية التى كانت تعارض عقيدة الصلب•

وكانت آخر فرقة تنكر صلب المسيح طائفة البوجوميل المسيحية التى أطلق

---

(١) تفسير القاسمى جـ ٥ ص ١٦٩١ ـ ١٦٩٢ •
(٢) نفس المصدر جـ ٥ ص ١٦٩٢
(٣) نفس المصدر جـ ٥ ص ١٦٩٦ •

المسيحيون عليها اسم الخوارج .
وكانت منتشرة فى مملكة البوسنة (١) فى القرن الثالث العشر الميلادى . وقد تعرضوا من أجل معتقدهم هذا لكثير من الامتحان من قبل الكاثوليك الرومان الذين شنوا عليهم حربا مقدسة فى سنة ١٢٢١ م بأمر من البابا هتوريوس الثالث ، وفى سنة ١٢٣٨ م بأمر من جريجورى التاسع . وفى سنة ١٢٤٠ م بأمر من انوسنت الرابع وفى سنة ١٣٢٥ م بأمر من البابا جون الثانى والعشرين . وفى سنة ١٣٣٧ م بأمر من بندكت الثانى عشر .

ويقول السيرتوماس . و أرنولد الذى تحدث عن هذه الطائفة بعد أن ذكر دخولهم فى الاسلام : " ولعل السبب فى رضا البوجوميل بالسماح لأنفسهم ، أن ينتظموا فى سلك عامة المسلمين المؤمنين ، راجع الى مواضع كثيرة تتشابه فيها عقائدهم الخاصة ومبادئ الاسلام . فقد رفضوا عبادة مريم العذراء ، ونظام التعميد ، وكل صورة من الكهنوت ، وأنكروا الصليب رمزا دينيا وعدوا من عبادة الأصنام الانحناء أمام الصور الدينية والتماثيل وآثار القديسين ، وكانت بيوت صلواتهم ساذجة خالية من الزينة ، وهذا على خلاف الكنائس الكاثوليكية الرومانية التى تحلت بالزخارف الزاهية . وشاركوا المسلمين فى كراهية النواقيس التى أطلقوا عليها " أبواق الشيطان " واعتقدوا أن المسيح نفسه لم يصلب وانما حل محله شبح آخر ، وهم يتفقون فى هذه الناحية فى جانب مما جاء به القرآن " (٢)

ثم ذكر توماس أن هذه الطائفة قد اختفت بعد الفتح التركى للبوسنة فى القرن الخامس عشر الميلادى . وما وجودهم حتى ذلك الحين على اعتقاد عدم صلب المسيح ، الا دليل مقنع على أن اعتقاد صلب المسيح لم يجمع عليه بين المسيحيين بل أن الواقع خلافه ، لان المخالفين ينفون وقوع الصلب ، ويذكرون أن غيره هو الذى صلب . وذلك كاف فى بطلان مذهبهم ، وفساد معتقدهم .

---

(١) مملكة كانت توجد فى شبه جزيرة البلقان فى القرون الوسطى المسيحية .
(٢) الدعوة الى الاسلام ص ٢٢٨ طبع بالقاهرة سنة ١٩٧١ م بمطبعة لجنة التأليف والترجمة .

نهاية عيسى عليه السلام على الأرض وآراء العلماء فيها

لم يختلف الناس في شأن نبي من أنبياء الله تعالى كاختلافهم في أمر عيسى ابن مريم عليه السلام ، اختلف بنو اسرائيل في نبوته ، اذ حط اليهود من قدره وبالغ النصارى في مدحه ، وعلو منزلته عن البشر ، فان المسلمين قد خالفوا اليهود والنصارى في كلا الامرين • ذلك أنهم قد آمنوا برسالة المسيح • ولكنهم لم يغلوا في حبه • ورفع منزلته عن البشر • كما خالفوهم فيما زعمه الفريقان من أنه قتل صلبا على يد اليهود والرومان ، وانما آمنوا بأن الله تعالى قد أنجى المسيح من كيد الكفار ومكرهم • وأجمعوا على أنه لم يقتل ولم يصلب متمسكين في ذلك بقوله تعالى : (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا) (١) •

ولكن المسلمين بعد أن اتفقوا على أن المسيح عيسى لم يقتل ولم يصلب — : اختلفوا فيما بينهم في حاله بعد ذلك ، هل رفعه الله تعالى بجسمه حيا الى السماء ، أو أنه أماته ميتة طبيعية ككثيره من البشر بعد أن استوفى أجله في الدنيا ؟ !

فذهب جمهور علماء المسلمين الى أن الله تعالى أنجاه من القتل بأن رفعه الى السماء حيا بجسمه وروحه ، ولا يزال فيها حتى ينزل آخر الزمان في أمة محمد صلى الله عليه وسلم • يحكم بينهم بشريعة الاسلام ويستدلون على ذلك بنصوص من الكتاب والسنة•

وقالت طائفة من المسلمين : ان الله تعالى نجاه من الموت والقتل على يد اليهود ، ولكنه أماته حتف أنفه ، مثله مثل غيره من بني البشر • وأنه لم يرفع بجسده الى السماء • ولن ينزل في آخر الزمان كما ادعى الجمهور• واستدلوا على رأيهم بآيات من القرآن الكريم • كما ناقشوا أدلة الجمهور • وذكروا أنها لاتدل على معتقدهم • ومن هذا الفريق الشيخ محمد عبده في تفسير المنار (٢) والشيخ محمود شلتوت في كتابه : الفتاوى (٣) والشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره (٤) •

---

(١) سورة النساء ١٥٧ — (٢) تفسير المنار ج٣ ص ٣١٦ — ٣١٧
(٣) الفتاوى ص ٥٩ — ٨٢ الطبعة الثالثة (٤) تفسير المراغي ج٣ ص١٦٩ الطبعة الثالثة ١٩٧٤م•

والدكتور أحمد شلبى فى مقارنة الأديان (١) ، كما زعم أحمد شلبى أن ذلك هو معتقد جمهور المسلمين وادعى أن الرأى المخالف رأى قلة منهم .

ولكنه لم يوفق فيما حكاه . فان مذهب الجمهور هو الرأى الأول ، وأما المخالفون لرفع السيد المسيح بجسده فهم قلة كما ذكرنا .

أما أدلة الجمهور على رفع عيسى ، فنوردها فيما يأتى :

الدليل الأول : قوله تعالى بعد أن نفى القتل والصلب عن المسيح : (بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) (٢) وذكر الرفع بعد نفى القتل دليل على الرفع الجسمانى لا الروحى ، وآخر الآية أيضا يشعر بذلك ، لأن ختمها بصفتى العزة والحكمة يتلاءم مع ما يفهم من معنى الرفع الجسمانى لا الروحى .

الدليل الثانى : قوله عز وجل : (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ، ثم الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) (٣)

ولهم فى معنى التوفى المذكور فى هذه الآية قولان : الأول أن معناه النوم ، أى أن الله ألقى عليه النوم ورفعه أثناء نومه ، واستدلوا على هذا المعنى بما ورد فى القرآن من اطلاق الوفاة على النوم فى قوله : تعالى : (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) (٤) وقوله : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى) (٥) .

والثانى : أن المراد بالتوفى ، الموت ، غير أن تقديم التوفى على الرفع لا يفهم منه أن عيسى عليه السلام ، توفى ثم رفع ، لان الواو لا تقتضى الترتيب ، كما لا تقتضى الفورية ، وعليه ، فان المعنى المراد من الآية هو : " أن الله يرفع نبيه الى السماء ويطهره من كيد الكفار ، ويتوفاه فيما بعد فى آخر الزمان .

---

(١) المسيحية ص ٣٧ ـ ٥٢ الطبعة
(٢) النساء ١٥٨
(٣) آل عمران ٥٥
(٤) الانعام ٦٠
(٥) الزمر ٤٢

ويدعم الجمهور مذهبهم بآيتين أخريين ،وهما : قوله تعالى : (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) (١) وقوله : (وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم) (٢)

فيرى الجمهور أن الضميرين فى الآية الأولى فى قوله (به) و (موته) _ يرجعان الى المسيح عليه السلام بمعنى أنه لا يموت المسيح حتى يؤمن به كل أحد من اليهود والنصارى أنه عبد الله ورسوله . وهو اختيار ابن جرير كما حكى عنه الامام الشوكانى ونسبه الى جماعة من السلف وذهب الى أنه هو الظاهر من سياق النص . (٣) وعلى هذا يستند مذهب الجمهور .

وعليه فان العموم المستفاد من الآية لأهل الكتاب مخصوص بالموجودين عند نزول المسيح فى آخر الزمان اذ لو ترك على عمومه ، لأفاد ايمان اليهود والنصارى جميعا . وهو أمر لم يحصل فوجب تخصيص هذا العموم اذا ان شهادته عليهم يوم القيامة تحتم هذا ، لأنه يشهد لهم لو آمنوا به جميعا لا عليهم . (٣)

أما الآية الثانية ، فمعناها ، أن نزول المسيح عليه السلام فى آخر الزمان علامة من علامات الساعة التى يعرف بها قرب قيامها ، وهذا فى رأى الجمهور دليل على حياة المسيح بجسده فى السماء .

ولو اقتصر الجمهور فى استدلالهم على ما ذهبوا اليه على هذه الآيات ، لأمكن أن يقال : ان أدلتهم غير صريحة فى الدلالة على ما قرروه فان المخالفين قد أولوا هذه الآيات بما يشهد لهم لكن الجمهور لم يقتصروا على هذه الآيات ، بل استدلوا بما صح من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : " والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ، ثم يقول أبو هريرة واقرأوا ان شئتم (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) " (٤)

---

(١) النساء ١٥٩
(٢) الزخرف ٦١
(٣) انظر فتح القدير جـ١ ص ٥٣٥
(٤) البخارى فى كتاب الأنبياء باب نزول عيسى ابن مريم .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أيضا : " كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم " (١)

وعنه أيضا : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " والذى نفسى بيده ـ ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجا أو معتمرا ، أو ليثنينهما " (٢)

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة ... فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم : تعال فصل . فيقول : لا ان بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة " (٣)

والأحاديث الواردة فى نزول عيسى فى آخر الزمان كثيرة ، فقد جمعها الشيخ محمد أنور شاه الكشميرى فى كتاب سماه " التصريح بما تواتر فى نزول المسيح " وراجع نصوصها الشيخ عبد الفتاح أبو غدة وعلق عليها ، وقد اشتمل الكتاب على أكثر من مئة حديث وردت فى كتب السنة المختلفة بدرجات متفاوته ، وفى مقدمتها ما ورد فى الصحيحين . (٤)

ويعلم من اسم الكتاب ، أن الأحاديث الواردة بشأن نزول عيسى عليه السلام متواترة متكاثرة . وقد ذكر الشوكانى فى تفسيره أن الأحاديث الواردة فى هذا الشأن متواترة (٥) وكذلك ذكر ابن كثير رحمه الله تواتر الأحاديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برواية تسعة من أصحابه رضوان الله عليهم . (٦) والتواتر هنا المقصود به تواتر المعنى المراد من الأحاديث . وليس المراد به التواتر الاصطلاحى .

وأما أدلة المخالفين للجمهور ،فخلاصتها ،أنهم أخذوا بظاهر آية آل عمران من لفظ التوفى المذكور فيهما ،فقالوا ان ظاهر الآية يدل على أن الله تعالى قد أمات المسيح بعد أن نجاه من الأعداء ، وذلك ذهابا منهم الى المعنى اللغوى المفهوم من التوفى ، وهو أخذ الشئ وافيا تاما . ثم استعمل بمعنى الأماتة . كما جاء فى كثير من آيات الكتاب بهذا المعنى .

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الايمان والبخارى فى كتاب الأنبياء
(٢) أخرجه مسلم فى باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد (ص)
(٣) رواه مسلم فى باب " " " " " " " "
(٤) طبع كتاب " التصريح بما تواتر فى نزول المسيح " بمطبعة الأصيل فى حلب عام ١٣٨٥هـ . (٥) انظر فتح القدير جـ١ ص٥٣٥ أى متواترة فى المعنى .
(٦) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥٨٢ ـ ٥٨٣

أما الرفع المذكور فى آيتى آل عمران والنساء ، فمعناه عندهم ،رفع المكانة والقدر ــ وقالوا ان ذلك خرج مخرج قوله تعالى فى حق ادريس عليه السلام : (ورفعناه مكانا عليا) (١) ذلك رأيهم فى الآيتين اللتين اعتمد عليهما الجمهور.

وأما آية سورة النساء التى استدل الجمهور على نزول عيسى بما ورد فيها من أنه ما من أحد من أهل الكتاب يدرك نزول المسيح حتى يؤمن أنه عبد الله ورسوله فقد ردوا مذهب الجمهور بناء على أن الضمير يرجع فى قوله " قبل موته " الى أهل الكتاب ، وهذا الاحتمال فى نظرهم يمنع وجوب الأخذ بمذهب الجمهور.

وأما آية سورة الزخرف ،فقد تعددت فى معناها أقوال المفسرين ، وقد قال بعضهم ان الضمير فى قوله : " وانه لعلم للساعة " يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم بمعنى أن مبعثه صلوات الله وسلامه عليه علامة من علامات قرب قيام الساعة ،لأنه نبى آخر الزمان.
وعلى القول بأن الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام ،فان المفسرين ذكروا معنيين آخرين بجانب المعنى الذى فهمه الجمهور من الآية ، والمعنيان هما :

أنه عليه السلام علامة على امكان البعث الذى ينكره كفار مكة المخاطبون بالآية لوجوده من غير أب.

أو أن احياءه للموتى علامة من علامات امكان البعث كذلك : هذه خلاصة آرائهم فى الآيات التى استدل بها الجمهور.

أما موقفهم ازاء الأحاديث التى ذكرت نزول المسيح ، فيتلخص فى أنهم رأوا ــ أنها أحاديث احاد لا يمكن أن تثبت بها العقيدة وان صحت ، لأن أحاديث الآحاد توجب العمل لا الاعتقاد ،فالاعتقاد عندهم لا يمكن ثبوته الا بقطعى الثبوت وقطعى الدلالة من النصوص ، والأحاديث الواردة فى هذا عندهم لم تصل الى درجة ما يثبت الاعتقاد . (٢) هذه خلاصة ردودهم على مذهب الجمهور.

---

(١) مريم ٥٧
(٢) انظر تفسير المنار ج٣ ص٣١٧ وفتاوى الشيخ محمود شلتوت ص ٧٧ ــ ٨٢

والحق يقال ، ان الآيات التي يستدل بها الجمهور ،لا تخلو مما ذكره المخالفون من احتمالات ، والدليل ذو الاحتمالات ، لا يكون فيصلا في الرأي . غير أن ذكره تعالى للرفع بعد نفي القتل والصلب يجعل القلب يميل الى القول بمذهب الجمهور .

والقول بأن المراد بالرفع الوارد في الآيتين ،رفع المكانة ، كالرفع الوارد في شأن ادريس وغيره ، لا يقبله ظاهر النص ،لانه لو كان كذلك ، لما ورد الرفع في آية آل عمران على سبيل الوعد ، لأن رفع المكانة واقع لأنبياء الله لا محالة ، ولا يتقيد ذلك بما بعد وفاتهم ،بل ان درجاتهم رفيعة في محياهم ومماتهم . ولهذا أخبر الله عز وجل أنه رفع نبيه ادريس مكانا عليا . والمكانة العالية بعد الوفاة ليست من خصائص عيسى عليه السلام ،بل الأبرار من سائر عباد الله ترفع درجاتهم بعد أن يفارقوا هذه الدنيا ،مع تفاوت القدر في ذلك ولقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز أن عيسى عليه السلام ، ذو مكانة رفيعة في الدنيا والآخرة ،وذلك حين بشرت الملائكة مريم قبل ولادته ،اذ يقول تعالى : (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين) (١) فأثبت أنه رفيع القدر في الدارين ، ذو مكانة عالية عند الله تعالى .

ثم ان المسيح عليه السلام لو مات حتف أنفه كما يقول المخالفون ، لنقل الينا ذلك بواسطة الاخباريين ، وهو أمر لم يحصل ، ومن المستبعد أن يمتن الله على نبيه عيسى بالاماتة أو يتركه لنهاية مجهولة ،وهو الوجيه في الدنيا والآخرة .

وأما ردهم للأحاديث الشريفة الدالة على نزول المسيح في آخر الزمان بحجة أنها أحاديث آحاد ، والآحاد ليست مما تثبت به العقيدة ، فأمر غير مقبول لسببين أحدهما : أن هذه الأحاديث ذكر تواترها من يعتد بعلمه من علماء المسلمين كالحافظ ابن كثير والامام الشوكاني وغيرهما ، فبطلت دعواهم أنها أحاديث آحاد /٢

---

(١) آل عمران ٤٥

(٢) وذكر الشيخ ناصر الدين الألباني ورود هذه الأحاديث بطريق عشرين صحابيا ، وفند الآراء المخالفة في رسالة سماها : " وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين " ص ٣٤ .

والثاني : أننا لا نقبل القاعدة التى استندوا اليها في رفضهم قبول الأحاديث على فرض أنها آحاد تلك القاعدة التى تهدم الشريعة ولا تخدمها . وقولهم انها توجب العمل لا الاعتقاد ، مخالف للشرع ،لان العمل الشرعى الذى يعتد به ، لابد أن يبنى على الاعتقاد ، والاعتقاد عماد الامور الشرعية وأساسها سواء كانت تلك الأمور اعتقادية نظرية ، أم كانت عملية ، فلابد من وجوب اعتقاد الواجب منها ليعتد بها شرعا . وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل الى اليمن بعقيدة الاسلام ، فأبلغهم بها عن طريق شخص واحد ، وأرسل رسله الى الملوك والأمراء يحملون رسائله ، يدعوهم فيها الى الاسلام . والدعوة الى الايمان بوحدانية الله تعالى ،والتصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، أمر يتعلق بالاعتقاد ، وقد كان المبلغ بها شخصا واحدا هو رسوله صلى الله عليه وسلم الى الملوك .

اذا علم هذا فاننا نرى أن مذهب الجمهور هو الراجح ،وهو الذى يجب اعتقاده والمسير اليه لظاهر الآيات فى ذلك ، ولأن أحاديث نزول عيسى عليه السلام قد صحت وبلغت حد التواتر ،كما نص على ذلك الثقات من العلماء ، ولأن ذلك يدخل تحت القدرة الالهية ،اذ ان الله تعالى قادر على كل شىء ولا يترتب على ثبوت ذلك محال عقلى . ثم ان المخالفين زعموا أن عودة المسيح الى الأرض عقيدة النصارى وأنهم قد استطاعوا بثها فى المسلمين ، كما ذكر ذلك الشيخ محمود شلتوت فى الفتاوى ونسبه الى الشيخ محمد رشيد رضا (١) وذكر ذلك أيضا الدكتور أحمد شلبى . (٢)

ولكننى أرى أن ما ورد فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن عيسى ابن مريم سيكسر الصليب عند نزوله ، يرد هذا الزعم ويبطله لأن النصارى لايمكن أن يبثوا فى المسلمين ما يناقض معتقدهم حيث يرون قدسية الصليب واحترامه .

وكذلك ما جاء فى الأحاديث من أنه سيحكم بشريعة الاسلام ، يبطل دعواهم ،لأن النصارى لا يرون صحة الاسلام ، فكيف ينشرون بين المسلمين أن [illegible] سيدخل فى الاسلام ويحكم به ؟

---

(١) الفتاوى ص ٨١

(٢) المسيحية ص ٤٧ — ٤٨ .

وقصارى القول ، أن النصارى يرون أن المسيح سيعود الى الأرض ويستدلون على ذلك ببعض نصوص الأناجيل ،الا أنهم غير متفقين في تفسير معنى الرجوع أهو مجيء جسماني حيث يقيم المسيح بين الناس ملكا يحكم بينهم ، أم هو مجيء روحي يغلب على الناس عنده الاتجاه نحو الخير والمحبة ؟ وسيادة الأنجيل عليهم كافة ؟ (١)

ومهما يكن من أمر ، فان من الخطأ القول بأن المسلمين أخذوا هذه العقيدة من النصارى ،وانما أخذوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صحت بذلك الأحاديث وتواترت.

---

(١) انظر ايماني أو قضايا المسيحية الكبرى ص ٥٢٩ ـ ٥٥٤. وحقائق أساسية في الايمان المسيحي ص ٢٦٢ ـ ٣١٨

ابطال القرآن الكريم لعقيدة التثليث

لما كان القرآن الكريم كتابا عزيزا تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن حكيم خبير وكان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا ناسخ له من بعده الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لما كان القرآن كذلك ، فقد بين للبشر ما يجب عليهم التمسك به من الدين الحق الذى ارتضاه الله لهم جميعا ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له . وهدم أوكار الشرك ، وأتى على قواعده من أساسها .

ومن بين تلك القواعد الشركية التى هدم القرآن الكريم صرحها ، عقيدة التثليث التى يتمسك بها النصارى على أنها عقيدة سماوية نزلت من عند الله وما هى من عند الله ، وبين كتاب الله تعالى أن القواعد التى بنى عليها النصارى معتقدهم ، مفتريات ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا كان المسيح عليها ولا تركها بين أتباعه .

والأسس التى أوضحها القرآن فى نقض عقيدة النصارى تتلخص فى أنه نفى أن يكون لله ولد مطلقا ، ونفى أن يكون له شريك فى ألوهيته ، ونفى أن يكون عيسى ابن مريم ابنا له أو شريكا له ، وأثبت أن الله واحد لا شريك له ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، ووبخ النصارى فى زعمهم أن المسيح ابن الله أو أنه اله مع الله .

يقول الله تعالى فى النفى المطلق للشريك والولد : (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) (١) .

وقال عز وجل : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون . عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) (٢) .

وفى النفى الخاص لبنوة المسيح يقول تعالى بعد أن ذكر عبوديته لله ونبوته وما أعطاه من بركة ، وأوصاه به من طاعته : (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) (٣) .

---

(١) سورة الاخلاص
(٢) المؤمنون ٩١ ـ ٩٢
(٣) مريم ٣٤ ـ ٣٥

أى أن عيسى ابن مريم عليه السلام ـ كما أخبر عن نفسه وهو فى المهد ـ عبد الله ورسوله ، تفضل الله عليه بالنبوة وآتاه الكتاب وباركه وأوصاه باقام الصلاة وايتاء الزكاة وبر والدته ، وجعله لين الجانب رحيم القلب لا جبارا شقيا . وذلك هو القول الحق الذى نطق به عيسى عليه السلام ، وهو قول يقطع المراء والجدل

وبعد ما قص الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قصص المسيح من حمل وولادة وما جرى على يديه من معجزات فى بنى اسرائيل ، وما كان منهم من كفر ومكر بنبيه حتى كان من أمرها كان ، قال مشيرا الى ما سبق من قصصه : (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم . ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ـ خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) (١) .

أى أنه فى وجوده بلا أب يماثل آدم عليه السلام فى ذلك لأنه خلق من تراب من غير أب غير أن مماثلته له من جميع الوجوه منعدمة ، لأن آدم عليه السلام خلق أيضا بلا أم . ومن كان كذلك . فهو أحرى بالبنوة من عيسى ابن مريم وهو أمر لم يعتقده أحد مع علم الجميع بأن خلق آدم أكثر غرابة .

يقول ابن كثير فى تفسيره للآية : " (ان مثل عيسى عند الله) فى قدرة الله حيث خلقه من غير أب كمثل آدم حيث خلقه من غير أب ولا أم بل (خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) فالذى خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأحرى ، وان جاز ادعاء البنوة فى عيسى لكونه مخلوقا من غير أب ، فجواز ذلك فى آدم بالطريق الأولى ، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل ، فدعواه فى عيسى أشد بطلانا ، وأظهر فسادا ، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى ولهذا قال تعالى فى سورة مريم : (ولنجعله آية للناس) وقال ههنا : (الحق من ربك فلا تكن من الممترين) أى هذا هو القول الحق فى عيسى الذى لا محيد عنه ولا صحيح عنه ، وماذا بعد الحق الا الضلال " (٢)

---

(١) آل عمران ٥٩
(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٦٧ .

ثم يقول تعالى مؤكدا أن ما سبق هو القول الفصل والحق الواجب الاتباع في أمر عيسى عليه السلام " (ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فأن الله عليم بالمفسدين) (١) .

وقال وهو يدعو النصارى الى التمسك بالحق وعدم الغلو في الدين باعتقاد ـ الباطل في المسيح عليه السلام : (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولاتقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافي السموات ومافي الأرض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ولاالملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا) (٢) .

يقول ابن كثير : " ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والاطراء وهذا كثير في النصارى فانهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله اياها فنقلوه من حيز النبوة الى أن اتخذوه الها من دون الله ، يعبدونه كما يعبدونه " (٣) .

وفي موضع آخر يبين القرآن الكريم بعبارات صريحة كفر النصارى في دعواهم أن المسيح هو الله أو أنه أحد الأقانيم الثلاثة ، فقال : (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ، أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ، ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ، قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن

---

(١) آل عمران ٦٢ ـ ٦٣
(٢) النساء ١٧١ ـ ١٧٢
(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٨٩

سواء السبيـــل) (١)

هكذا يوضح القرآن الكريم كفرهم ويفضح فساد معتقدهم ، ومخالفته لما دعا به المسيح عليه السلام من عبادة الله قائلا لهم : " يا بنى اسرائيـــل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النـــار وما للظالمين من أنصار " وتوعدهم الله عز وجل ان استمروا على كفرهم بالعذاب الأليـم الذى سيكون عقابا لهم على ما فرطوا فى جنب الله ، وأكد لهــــم أن عيسى ما هو الا رسول كسائر رسل الله ، وأمه صديقه وأنهما كانا يأكــــلا ن الطعام كسائر البشر لا فرق فى ذلك بينه وبين أمه وان امتاز عليها بالرسالــة فحظه من البشرية كحظ أمه منها ،فالذى يأكل الطعام ، لا يمكن أن يكون الها بحال • وذلك لأن الأكــل تستدعيه المسغبة والله منزه عن ذلك ويترتــــب على تناول الطعام الحاجة الى التخلى ، وهذا أيضا لا يليق بمقام الألوهيـــة •

يقول الامام الشوكانى رحمه الله فى قوله : " ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل " الآية " أى ما هو الا رسول من جنس الرســـل الذين خلوا من قبله وما وقع منه من المعجزات لا يوجب كونه الها ، فقد كـــان لمن قبله من الرسل مثلها ، فان الله أحيا العصا فى يد موسى ، وخلق آدم ـ من غير أب • فكيف جعلتم احياء عيسى للموتى ووجوده من غير أب يوجبا ن كونه الـــها • فان كان كما تزعمون الها لذلك ، فمن قبله من الرسل الذيـــن جاءوا بمثل ما جاء به آلهة ، وأنتم لا تقولون بذلك " (٢)

وقال صاحب تفسير المنار : " أقام الله تعالى البرهان من حال المسيــــح وأمه على بطلان كونه الها ، وبين ما يشاركان به أشرف البشر من المزية الخاصة، وما يشاركان به سائر البشر من صفاتهم العامة • وقفى على ذلك بالتعجيب مـــن بعد التفاوت ما بين قوة الآيات التى حجهم بها ،وشدة انصرافهم عنها ،ثـم لقن نبيه حجة أخرى يوردها فى سياق الانكار عليهم ،وتبكيتهم على عبادة مالافائدة فى عبادته فقال : (قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا ؟)

---

(١) المائدة ٧٢ ـ ٧٧
(٢) فتح القدير جـ ٢ ص ٦٤

اى قل أيها الرسول لهؤلاء النصارى وأمثالهم الذين عبدوا غير الله : أتعبدون من دون الله ـ أى متجاوزين عبادة الله وحده ـ مالايملك لكم ضرا تخشون أن يعاقبكم به اذا تركتم عبادته ، وترجون أن يدفعه عنكم اذا أنتم عبدتموه ولا يملك لكم نفعا ترجون أن يجزيكم به اذا عبدتموه،وتخافون أن يمنعه عنكم اذا كفرتموه ؟ (والله هو السميع العليم) أى والحال أن الله تعالى هو السميع لأدعيتكم وسائر أقوالكم ، العليم بحاجاتكم وسائر أحوالكم ، فلا ينبغى لكم أن تدعوا غيره ، ولا أن تعبدوا سواه " (١)

وفى آية أخرى يقول الحق تبارك وتعالى مبينا كفر النصارى فى معتقدهم وبعدهم عن جادة الحق فيما ارتضوه لأنفسهم سبيلا : (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ،قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ، ولله ملك السموات والأرض ، وما بينهما يخلق ما يشاء ، والله على كل شىء قدير) (٢)

قال فى تفسير المنار : " أقام الله الحجة على أهل الكتاب كافة ، ثم بين ما كفر به النصارى خاصة ،فقال : " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) " (٣)

ويقول القاضى عبد الجبار : " أما الكلام عليهم فى التثليث ، فهو أن يقال : ان قولكم ، انه تعالى جوهر واحد ثلاثة أقانيم ،مناقضة ظاهرة . لأن قولنا فى الشىء انه واحد ،يقتضى أنه فى الوجه الذى صار واحدا لا يتجزأ ولا يتبعض وقولنا ،ثلاثة يقتضى أنه متجزىء . واذا قلتم ، انه واحد ثلاثة أقانيم ، كان فى التناقض بمنزلة أن يقال فى الشىء ، انه موجود معدوم ، أو قديم محدث" (٤)

ويقول القرطبى فى كتابه : الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ردا على أحد النصارى الذى ألف كتابا أسماه : " كتاب تثليث الوحدانية فى معرفة اللـــه " .

---

(١) تفسير المنار ج ٦ ص ٤٩٠ ـ ٤٩١ .
(٢) المائدة ١٧
(٣) تفسير المنار ج ٦ ص ٣٠٧
(٤) شرح الأصول الخمسة طبع بمطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة الطبعة الأولى عام ١٣٨٤هـ .

يقول رداً عليه : " أما قوله تثليث الوحدانية ، فكلام متناقض لفظاً وفاسد معنى . بيان ذلك ، أن قوله : تثليث الوحدانية ، كلام مركب من مضاف ومضاف اليه ، ولا يفهم المضاف مالم يفهم المضاف اليه . فأقول لفظ الوحدانية مأخوذ من الوحدة ، ومعناه راجع الى نفى التعدد والكثرة . فهى اذاً من أسماء السلوب فاذا وصفنا به موجوداً فقد نفينا عنه التعدد والكثرة . والتثليث معناه تعدد وكثرة فاذا اضاف هذا القائل التثليث للوحدة ، فكأنه قال تكثير مالا يتكثر ، وتكثير مالا يتكثر باطل بالضرورة فأول كلمة تكلم بها هذا السائل متناقضة وباطلة بالضرورة " (١)

ويقول ابن تيمية فى مناقشة النصارى فى التثليث : " وقولهم : فالاله واحد ، خالق واحد ، هو حق فى نفسه ، لكن قد نقضوه بقولهم فى عقيدة ايمانهم : (٢) — " نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه ، مساو الأب فى الجوهر " فأثبتوا هنا الهين ، ثم أثبتوا روح القدس الها ثالثاً ، وقالوا انه مسجود له ، فصاروا يثبتون ثلاثة آلهة ، ويقولون : انما نثبت الها واحداً ، وهو تناقض ظاهر ، وجمع بين النقيضين : بين الاثبات والنفى . ولهذا قال طائفة من العقلاء : ان عامة مقالات الناس يمكن تصورها ، الا مقالة النصارى ، وذلك ، أن الذين وضعوها لم يتصوروا ماقالوا ، بل تكلموا بجهل وجمعوا فى كلامهم بين النقيضين . ولهذا قال بعضهم : لو اجتمع عشر نصارى ، لتفرقوا عن أحد عشر قولا . وقال آخر : لو سألت بعض النصارى ، وامرأته وابنه عن توحيدهم ، لقال الرجل قولا ، وامرأته قولا آخر ، وابنه قولا ثالثاً " (٣)

هذا هو موقف الاسلام من عقيدة التثليث ، وهذه خلاصة آراء علمائه وتلك آيات الله البينات التى هدمت قواعد الشرك من أساسها ، ولم تترك للنصارى عذراً — يتمسكون به فى عقيدة التثليث التى لم تكن مما أنزل الله على رسله ، ولا مما ارتضاه ديناً لعباده ، ولكنهم عموا وصموا ، فلم يبصروا الحق المبين والبصائر التى أنزلها الله على خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم . لأنهم اتبعوا أهواء أسلافهم الذين قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً عن هدى الله ، وابتعدوا عن سواء السبيل ، فحقت عليهم اللعنة على لسان داود وعيسى ابن مريم عليهما السلام ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

(١) الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٣ مخطوط بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ٢٩ توحيد .

(٢) يريد الامانة التى وضعوها فى مجمع نيقيه (٣) الجواب الصحيح جـ٢ ص١٥٨ .

الباب الخامس

(المصادر المسيحية فى الميـــزان)

ويتناول البحث فيه الموضوعات الآتيـــة :—

١— تمهيـــد .

٢— تعريف بكتاب الأناجيل الأربعـــة .

٣— تاريخ كتابة الأناجيل والخلاف فيه .

٤— اللغات التى كتبت بها والتى ترجمت اليها .

٥— كتاب الأناجيل الأربعة غير معروفـين .

٦— تضارب الأناجيل فى بعض رواياتهـا .

٧— انجيل برنابـــا .

" وملاك القول أن ثمة تناقضا كثيرا بين بعـض الأناجيل والبعض الآخر ، وأن فيها نقطـا تاريخيـة شكوكا فى صحتها ، وكثيرا من القصص الباعثة على الريبة ، والشبيهة بما يروى عن آلهـة الوثنيين " .

قصة الحضارة جـ ١١ ص ٢١٠ .

* تمهيـــــــــــــــد

ان أية فكرة فى العالم تستمد قوتها مما تستند عليه من دلائل ، وان أى دين فيه انما تكون قوته بقوة ما يعتمد عليه من حجج ، وتلك القوة لا يمكن توفرها فـــى الأدلة الا اذا توفرت فيها الشروط الموجبة للقبول . وتلك الشروط الواجـــــب توفرها ، تتجلى فى عدالة رواتها ، واتصافهم بالضبط لمروياتهم ، وسلامتهـــم من سوء الحفظ والغلط والوهم من غير أن يتخلل رواياتهم أيما انقطاع ، ومـــن غير أن يوجـــد بين مروياتهم أى تناقض فى الاخبـــار عن الأمر الواحد .

وفى دراستنا للمصادر المسيحية هنا ، سنحاول أن نتبين هل كانت هـــذه الشروط متوفرة فيها أولا ، وذلك بالرجوع الى أقوال العلماء من مؤرخـــين وغيرهم ، ومنها يمكن الحكم على الديانة المسيحية التى نأمل أن تخـــرج بها من هذا الباب . غير أن ما سبق عرضه هناك لم يقصد به تقويم المصـــادر المسيحيـة . وانما كان لكشف تناقضها بحيث لا يعتمد عليها ، غير أننا نـــرى أنه من الصعوبة بمكان أن ندرس هنا العهد القديم والعهد الجديد ، لكثـــرة أسفارهما ، وتباين آراء العلماء فيها ، وكثرة الكلام حولها . ومن أجل ذلـــك، سنكتفى بدراسة الأناجيل الأربعة التى تعتبر العمود الفقرى للأدلة النصرانيـة ، لتكون هذه الدراسة نماذج يمكن أن تطبق عليها أسفـار العهد الجديد .

وسيكون كلامنا فى هذا الباب على النحو الآتـــى :

أولا : تعريف بكتاب الأناجيل الأربعـــة .
ثانيا : تاريخ كتاب الأناجيل والخلاف فيـه .
ثالثا : اللغات التى كتبت بها والتى ترجمت اليها .
رابعا : كتاب الأناجيل الأربعة غير معروفـــين .
خامسا : تضارب الأناجيل فى بعض رواياتهـــا .
سادسا : انجيـــل برنابـــــــــــا .

١ـ كتاب الأناجيل الأربعة

أولا ، متى .

أورد متى فى انجيله ترجمة وجيزة لنفسه ، اذ ذكر أنه كان من جباة الضرائب قبل أن يكون من أتباع المسيح . ويقول فى ذلك : " وفيما يسوع مجتاز هناك رأى انسانا جالسا عند مكان الجباية اسمه متى فقال له اتبعنى ، فقام وتبعه " (١)

ويقول مرقس فى ذلك " وفيما هو مجتاز رأى لاوى بن حلفى جالسا عند مكان الجباية ، فقال له اتبعنى ، فقام وتبعه " (٢) فسماه مرقس هنا لاوى بن حلفى.

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله : " ولما صعد المسيح الى ربه ، جال متى للتبشير بالمسيحية فى بلاد كثيرة ومات فى سنة سبعين ببلاد الحبشة على أثر ضرب مبرح أنزله به أحد أعوان ملك الحبشة ، وفى رواية ، انه طعن برمح فى سنة ٦٢ بالحبشة بعد أن قضى بها نحو ثلاث وعشرين سنة داعيا للمسيحية مبشرا بها ، فموطن دعايته كما يروى مؤرخو المسيحية ، هى الحبشه " (٣) .

ويقول الدكتور احمد شلبى " متى أحد الحواريين الذين سبق أن عددناهم مات سنة ٧٩ ببلاد الحبشه " (٤) وجاء فى كتاب " تاريخ الأمة القبطية " أن أهم الجهات التى بشر فيها متى ـ بلاد العرب ، واثيوبيا (الحبشة والنوبة) . (٥)

وجاء فيه أيضا : " متى البشير ـ ويدعى أيضا لاوى بن حلفى من قانا الجليل وهو أحد الرسل الاثنى عشر وكان من العشارين (جباة العشور) للدولة الرومانية فى كفرناحوم من أعمال الجليل بفلسطين وما حولها . وكانت هذه الوظيفة محتقرة جدا من اليهود لأنها من جهة تلجىء محترفها الى الظلم . وتشير

(١) متى ٩ : ٩ (٢) مرقس ٢ / ١٤ . (٣) محاضرات فى النصرانية ص ٤٢
(٤) المسيحية ص ١٨١
(٥) تاريخ الأمة القبطية ، الحلقة الثانية ، خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ص ٤٥ تأليف لجنة التاريخ القبطى طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر عام ١٩٢٥ م

من جهة ثانية الى الخضوع لسيادة أجنبيه ، ولكن السيد المسيح اختاره تلميذا من تلاميذه كما هو مذكور فى انجيله (مت ٩:٩) ولما صعد السيد الى السماء جال للتبشير فى بلاد كثيرة . ثم انتقل الى النعيم فى سنة ٧٠ م ببلاد الحبشة . اثر ضرب مبرح أنزله به أحد جنود ملك الحبشة . وفى رواية أخرى أنه طعن برمح فى سنة ٦٢ م بعدما قضى نحو ٢٣ سنة مبشرا باثيوبيا كما هو الراجح وكتب انجيله باللغة العبرية " (١)

هذه خلاصة ترجمة متى كما ذكرها هو عن نفسه وكما ذكرها عنه غيره من المسيحيين وغيرهم . وكما هو واضح من هذا النص الأخير ، فان متى أحد الحواريين الأثنى عشر ، الذين رافقوا المسيح وصحبوه طوال دعوته لبنى اسرائيل ، غير أننا نجد فى كتاب تحفة الأريب قول صاحبه فى متى : فأما متى ... وهو الأول منهم ، فوالله ما أدرك عيسى ولا رآه قط الا فى العام الذى رفعه الله فيه الى سمائه ، وبعد أن رفع عيسى عليه السلام ، كتب متى الانجيل بخطه فى مدينة الاسكندرية ، فأخبر فيه بمولد عيسى عليه السلام ، وما ظهر عند ولادته من العجائب ، وبخروج أمه الى أرض مصر خائفة من الملك رودس الذى أراد قتله ... " (٢)

وصاحب هذا الكتاب ذكر أنه كان نصرانيا بدرجة قسيس قبل أن يسلم ، وذكر فى كتابه سبب اسلامه بالتفصيل ، وهو يرى أن متى ليس من الحواريين الاثنى عشر الوارد ذكرهم فى القرآن الكريم (٣) ولعل المؤلف وجد من الأدلة ما سوغ له القول بعدم اعتبار متى من الحواريين ، وهو أمر لا نستطيع الجزم به ، لعدم وقوفنا على ما يدعمه . غير أننا نلاحظ عليه أنه يقول : ان متى ليس من الحواريين الاثنى عشر الوارد ذكرهم فى القرآن الكريم ، مع العلم بأن القرآن لم يعد الحواريين ولم يذكر أسماءهم .

---

(١) تاريخ الامة القبطية الحلقة الثانية ص ٥٢ ـ ٥٣
(٢) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ص ٣٢ ـ ٣٣
(٣) انظر نفس المصدر ص ٣٢

ثانيا : مرقس أما مرقس ، فلم يكن من الاثنى عشر باتفاق النصارى ، يقول كتاب تاريخ الأمة القبطية فى ترجمته " اسم هذا الرسول ، يوحنا ، ويلقب بمرقس وهو أحد الأنجيليين الاربعة . ولم يكن من الاثنى عشر تلميذا ، وعلى يده دخلت الديانة المسيحية الى مصر فى القرن الأول .

... أصله من اليهود سكان الخمس المدن الغربية وهاجرو الداه أرسطوبولس ، ومريم ، الى فلسطين ، موطن أجدادهما ، وسكنا أورشليم فى وقت ظهور السيد المسيح وكان مرقس من أوائل الذين قبلوا دعوته ، فاصطفاه فى جملة السبعين رسولا . وقد أجمعت تقاليد الطوائف المسيحية على أن الرب يسوع ، كان يتردد على بيته ، وأنه فى هذا البيت أكل الفصح مع تلاميذه ، وفى احدى غرفه ، حل الروح القدس على التلاميذ يوم الخميس ، وجاء فى سفر الاعمال : أن الرسل بعد صعود السيد المسيح ، كانوا يجتمعون فى بيته " أ ع ١٢/١٢"

... رافق مرقس بولس الرسول وبرنابا خاله الى أنطاكية حوالى سنة ٤٥ م وذهب معهما الى قبرص ، ثم الى بعض جهات فى آسيا الصغرى " (١) .

وذكر أن مرقس تركهما وعاد الى أورشليم ، ثم ذهب ثانية مع خالة برنابا الى قبرص وهناك افترقا ، فتوجه مرقس الى شمال أفريقيا وحده ، حيث بشر الخمس المدن الغربية . وفى نحو منتصف القرن الأول توجه الى مصر عن طريق الصحراء الغربية ، مارا ببعض بلاد الوجه القبلى منها ، فأقام فى بابيلون ، فبقى بها حتى عام ٥٨ وهناك كتب انجيله باليونانية ، وبعد أن نشر المسيحية فى مصر ، حنق عليه الوثنيون بالاسكندرية ، فقبضوا عليه فى عيد الفصح سنة ٦٨ م ووضعوا الحبل فى عنقه ، فأخذوا يجرونه فى المدينة حتى تمزق لحمه ونزف دمه ، ثم سجنوه فى المساء ، فعاودوه فى اليوم الثانى كذلك حتى مات (٢) .

---

(١) تاريخ الأمة القبطية ص ٦١ و ٦٣

(٢) انظر نفس الكتاب الصفحات ٦٣ و ٦٤ و ٦٦ و ٦٧ وانظر كذلك محاضرات فى النصرانية للشيخ محمد أبى زهرة ص ٤٥ ـ ٤٦ .

وذكر الشيخ محمد أبو زهرة نقلا عن كتاب " مروج الأخبار في تراجم الأبرار " أن مرقس كان ينكر ألوهية المسيح ، وكذلك أستاذه بطرس الحواري[1] ويذكر صاحب تحفة الأريب أن مرقس لم يدرك المسيح ولا رآه ، وأنه تنصر على يد بطرس الحواري ، فأخذ عنه الانجيل في مدينة روما . (٢) .

وهذا الذي ذكره صاحب تحفة الأريب لا يتفق مع ما ذكره كثير من النصارى عن مرقس من أنه اعتنق النصرانية على يد المسيح عليه السلام وأنه عليه السلام ، كان يتردد على بيته ، وقد أكل الفصح في منزله في الليلة الأخيرة ويقول بولس الياس : " ومرقس كان تلميذا لبطرس ، وقد رافقه في معظم أسفاره (٣) وعلى كل ، فليس لنا أن نضيف شيئا الى ترجمة مرقس غير ما علمناه من كتاب المسيحية ، واذا كان هناك ما نضيفه ، فهو ما ذكر مرقس من أن المسيح أرسل اثنين من تلاميذه ، في اليوم الأول من الفطير الى المدينة ، فأخبرهما أنهما يلاقيان رجلا يحمل جرة ماء ، فأمرهما باتباعه ، وأن يطلبا منه أن يعد مكانا يأكل المسيح فيه طعام الفصح مع تلاميذه . وهو أمر يدل على أن التلميذين لا يعرفان ذلك الرجل الا بتلك العلامة ، وهي حمله جرة ماء .

ثالثا : لوقا : كان لوقا تلميذا لبولس ومرافقا له في رحلاته ، ولم يكن من التلاميذ باتفاق المسيحيين .

جاء في كتاب تاريخ الأمة القبطية قوله : " لوقا البشير ولد في أنطاكية ودرس الطب ونجح في ممارسته ، وكان مرافقا لبولس الرسول ، ورافقه في أسفاره وأعماله ، وهو كاتب سفر أعمال الرسل ، ويروى بعضهم أنه استشهد في حكم نيرون .

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٤٦

(٢) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ص ٣٦

(٣) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٢٣ .

ويقول بعض آخر : انه انتقل الى النعيم فى مدينة بتراس (ببلاد اليونان) سنة ٧٠ م وكتب انجيله باليونانية " (١) .

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة بعد أن ذكر اختلاف الناس فى أصله وفى مهنته : " ومن هذا يتبين أن الباحثين ليسوا على علم يقينى بمولد وصناعة كاتب هذا الانجيل ، فمن قائل انه انطاكى ولد بانطاكية ، ومن قائل انه رومانى ولد بايطاليا ، ومن قائل انه كان طبيبا ، ومن قائل انه كان مصورا ، وكلهم متفقون على أنه من تلاميذ بولس ورفقائه ، ولم يكن من تلاميذ المسيح ، ولا من تلاميذ حوارييه " (٢) .

ويقول الأب بولس الياس اليسوعى : " ذكر المؤرخ أوسابيوس أن لوقا يعود بأصله الى انطاكيا ، وبثقافته الى اليونانية التى كان يتقنها وهذا ما مكنه من أن يمتهن الطب على ما ذكره بولس الرسول (كولسى ٤) . اعتنق المسيحية فى أول عهدها ، وتتلمذ لبولس ، ورافقه فى معظم أسفاره ، وأخذ عنه وعن برنابا وبطرس ويعقوب وغيرهم بعض ما سمعه وعرفه عن المسيح (أعمال ٢١ / ٨ ـ ١٨ " (٣) .
ثم يفترض بولس الياس أن لوقا لقى مريم أم المسيح عليه السلام ، فتلقى منها ما كتبه فى انجيله من بشارة الملك لها ، ومولد المسيح ، وغير ذلك مما أورده لوقا .

ولكن ذلك مجرد تخمين وافتراض لا يجزم بصحته ، والثابت أن لوقا كان تلميذا لبولس ، وما دام كذلك ، فانه استقى معلوماته من بولس ، الذى علمنا فى ترجمته مصدر تعاليمه .

رابعا : يوحنا : وهو أحد الأربعة الذين كتبوا الأناجيل وعرفت بأسمائهم وهو بلا خلاف أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر ، الذين صحبوا المسيح فى جميع جولاته بفلسطين . ويقول كتاب تاريخ الأمة القبطية فى ترجمته : " يوحنا البشير ولد فى بيت صيدا من أعمال الجليل ، وهو ابن زبدى وسالومة وأخو يعقوب الكبير

---

(١) تاريخ الأمة القبطية ص ٥٣

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ٤٨

(٣) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٢٤ ـ ٢٥ .

وقد كان السيد المسيح يحبه ، حتى انه استودعه والدته وهو فوق الصليب ، وفي أيام الاضطهادات الأولى نفاه القيصر دومتيانوس الى جزيرة بطمس ، وهناك تلقى مناظر الرؤيا ، ثم عاد الى أفسس ، ليث يبشر بها حتى توفى شيخا ، وكان فى أواخر أيامه قد ضعف حتى عجز عن الوعظ ، فلم يجد ما يقوله لسامعيه الا " ليحب بعضكم بعضا " ولما أظهر بعض المؤمنين مللهم من تكرار هذه العبارة قال لهم : ان هذه وصية الرب المظمى اذا أتممناها ، فقد أتممنا كل الوصايا "١"

ويعلم من ترجمة يوحنا هذه ، أنه مات حتف أنفه بعد سن الشيخوخة ، وهو الوحيد من بين أصحاب الأناجيل الأربعة فى موته موتة طبيعية ، بينما مات كتاب الأناجيل الثلاثة قتلا على يد أعدائهم ، كما سبق ذكر ذلك فى تراجمهم .

---

(١) تاريخ الأمة القبطية ص ٥٣ ـ ٥٤ .

٢ـ تاريخ كتابة الأناجيل

لقد اتضح لنا من قبل أن المسيحين لم يكونوا يؤمنون بوجود كتاب نزل على المسيح عيسى ابن مريم اسمه " الانجيل " بل كانو يعتقدون أنه عليه السلام ، لم يترك فى أتباعه سوى تعاليم شفوية سجلها فيما بعد كتاب الأناجيل الأربعة فى سفر أضيف الى كل واحد منهم ، وعرف بالأنجيل .

وايضاحا لرأى النصارى فى هذه المسألة ، نورد ما قاله القس صموئيل مشرقى فى هذا الشأن اذ يقول : " ... فالفكرة القائلة بأن يسوع جاء الى العالم بكتاب أنزل عليه اسمه " الانجيل " فكرة خاطئة لا تطابق الواقع ، والأخرى أن يقال انه عندما جاء يسوع الى العالم ، أعطى الأنجيل للناس ، لأن معناه كما سلف القول ، البشرى ، فكان هذا المجئ نفسه بكل ما انطوى عليه ، هو البشرى ، أو " الانجيل " (١) .

أما كلمة الانجيل ، فهى يونانية ، ومعناها الحلوان الذى يعطى من جاء ببشارة ، ثم استعملت بمعنى البشارة نفسها . يقول بولس الياس : " تعنى كلمة انجيل اليونانية " الحلوان " وهو ما تعطيه من أتاك ببشرى ، ثم أريد بها البشرى عينها . أما السيد المسيح فقد استعملها بمعنى " بشرى الخلاص " التى حملها الى البشر ، واستعملها الرسل من بعده بالمعنى عينه ، وربما استعملوها أيضا بمعنى ملخص تعليم المسيح ، أو سيرة حياته وموته ... وما لبثت هذه الكلمة أن استعملت بمعنى الكتاب الذى يتضمن هذه البشرى . وقد غلب استعمالها بهذا المعنى منذ أواخر القرن الاول حتى اليوم وهكذا نقول : انجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، ولا مشاحة فى أن الانجيل انتشر أولا شفاها ثم كتب بعد سنين ذلك لأن المسيح لم يثبت كتابة هذه البشرى التى طلع بها على العالم ، ولاسيما لأنه هو البشرى مع كنيسته التى ما أسسها على الأناجيل المكتوبة ، وانما على شخصه الحى ... " (٢) ويؤكد القس صموئيل مشرقى هذا المعنى اذ يقول : " الانجيل

---

(١) مصادر الكتاب المقدس ص ١٩

(٢) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ١٤

كلمة مترجمة عن اللفظة اليونانية " انجيليون " ومعناها : " الخبر الطيب " — أطلقت حصرا على الأناجيل الأربعة وتوسع على جميع اسفار العهد الجديد ، تسمية للكل باسم الجزء الأشرف ، لان بقية هذه الأسفار ، انما تتعلق بالأناجيل وترجع اليه ، وهى لذلك ، بمنزلة تفسير لما ورد به ... " (١)

ولكن الفرق بين كلام الكاتبين ، بولس وصموئيل ، يبدو فى قول الأول ان — المعنى الأصلى لكلمة الانجيل " الحلوان " وهو ما يعطى من جاء بالبشارة ثم استعمل بمعنى البشارة فيما بعد " مع قول الثانى ان معناها الخير الطيب فى الاصل ، وبنفس المعنى أطلقت على الأناجيل .

وقد تبين لنا جليا أن المسيحين لايعتقدون بوجود كتاب منزل اسمه الانجيل ، وذلك ايمانا منهم بألوهية المسيح ، وأنه هو البشارة عينها ، وبعبارة أوضح انه هو الانجيل الذى نزل من السماء لخلاص البشرية .

ويعتقد المسلمون اعتقادا جازما ، أن الله عز وجل أنزل على رسوله عيسى ابن مريم كتابا اسمه الأنجيل ، وذلك أيمانا منهم بالآيات القرآنية التى أكدت نزول الانجيل على عيسى عليه السلام تأكيداً لا يقبل الجدل أو التأويل . ومن تلك الآيات قوله تعالى (... نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والانجيل من قبل الآية " (٢)

وقوله عز وجل : " يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة — والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون " (٣) وقوله جل وعلا : (وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) (٤) وبهذه الآيات البينات يتبين ضلال النصارى فى دعواهم أن المسيح لم ينزل عليه كتاب

---

(١) مصادر الكتاب المقدس ص ١٨ ويلاحظ أنه ذكر ضمير الأناجيل فى موضعين من النص والأولى أن يؤنث.
(٢) آل عمران ٣ — ٤ (٣) آل عمران ٦٥ (٤) المائدة ٤٦

اسمه الانجيل . وهذا القول مبهم فى الحقيقة ، دليل على أن النصرانية لم تكن الا من بنات أفكار من جاء بعد المسيح ، وهم الأحبار والرهبان الذين قال الله فى حقهم : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، والمسيح ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو سبحانه عما يشركون)(١)

وهذا رأى الاسلام فى الانجيل ،بغض النظر عن أصل الكلمة ومعناها ، وليست الأناجيل فى نظر الاسلام والمسلمين سوى كتب موضوعة بعد المسيح تتحدث عن بعض أخباره ، وأقواله ،وتخلط بذلك كثيرا من الأمور التى ليس لها صلة بالحق الذى لا يختلف باختلاف الزمان والمكان . ولا باختلاف الرسل الذين تتابعت بعثاتهم الى البشر على مر العصور ، وهى الأمور التى تتصل بأصول الدين .

ولننتقل الى بيان الخلاف حول تاريخ كتابة الأناجيل فنقول :

أولا انجيل متى : يقول الأب بولس الياس اليسوعى : " كتب متى انجيله بالآرامية حوالى سنة ٤٤ ، لقوم من اليهود المتنصرين حديثا ، فأثبت ما شاع على ألسن الرسل والتلاميذ ، وما عرفه بنفسه من الانجيل الشفهى . لكن النسخ الآرامية فقدت ، ولم يبق منها سوى ترجمتها اليونانية " (٢)

وجاء فى قصة الحضارة لول ديورانت : " وتقول الرواية المأخوذ بها ، أن انجيل متى من أقدم الأناجيل كلها ، ويعتقد ايرنيوس Irenaueus أنه كتب باللغة العبرية ـ أى الآرامية ، ولكنه لم يصل الينا الا باللغة اليونانية .... وحتى أكثر العلماء يرجعون به الى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين عامى ٨٥ـ ٩٠م (٣)

ولست أدرى كيف يمكن التوفيق بين هذا التاريخ الذى ذكره (ول ديورانت)

---

(١) التوبة ٣١

(٢) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٢١

(٣) قصة الحضارة ج ١١ قيصر والمسيح ص ٢٠٨ .

لانجيل متى ، وبين التاريخ الذى ذكره بولس الياس ، والفرق بين التاريخين شاسع . والذى لمسناه من خلال دراستنا لمراجعهم ، هو أن متى قد توفى بأثيوبيا سنة ٧٠ أو ٦٢ م على خلاف فى ذلك ، فكيف يقال أن انجيله يعود تاريخه الى الفترة الواقعة بين سنة ٨٥ وسنة ٩٠ ؟ الا على الرأى القائل ان كاتبه لم يكن متى وانما هو أحد تلاميذه كما سنورد ذلك فى موضعه ان شاء الله تعالى (١)

وما دمنا بصدد الحديث عن تاريخ كتابة هذا الانجيل فاننا نورد ما ذكره الشيخ محمد أبو زهرة من أنه اختلف فى تعيين تاريخ كتابته ، ثم قال نقلا عن جرجس زوهن اللبنانى " ما ترجمه عن الفرنسية : " ان متى كتب بشارته فى أورشليم فى سنة ٣٩ للمسيح على ما ذهب اليه القديس أيرنيموس " (٢) .

ويذكر الدكتور أحمد شلبى أن تاريخ كتابة هذا الانجيل لا يعرف بالضبط (٣)

ويقول عبد الكريم الخطيب : " انجيل متى ، وصاحبه الحوارى متى ، من تلاميذ المسيح الاثنى عشر الذين لازموه ، وعاشوا معه ، وقد كتب انجيله باللغة السريانية بأرض فلسطين ، بعد المسيح بثمانين سنة ، وقد ضاعت النسخة الاصلية ، ولم يبق الا ترجمتها اليونانية . كما تقول بذلك المصادر المسيحية " (٤)

وبهذا نصل الى القول بعدم ثبوت تاريخ متفق عليه لتأليف هذا الانجيل وكل ما لمسناه خلال دراستنا للمصادر المسيحية ، لا يشفى الغليل ، ولا يفيد تاريخا محددا لكتابته ، وهذا أمر يدعو الى القول بأن هذا الانجيل ، قد فقد أهم مقوماته كمصدر من مصادر الدين المسيحى .

---

(١) قصة الحضارة جـ ١١ قيصر والمسيح ص ٢٠٨

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ٤٣

(٣) انظر المسيحية ص ١٨١

(٤) المسيح فى القرآن والتوراة والانجيل ص ٨٦ وهذا الكلام يخالف ما جاء من أن متى مات قبل هذا التاريخ بأتفاق ، وأن أغلبية الكتاب ترى أنه كتب بالعبريه أو الآراميــة .

ثانيا : انجيل مرقس :

جاء فى كتاب تاريخ الامة القبطية ، أن مرقس قصد الديار المصرية فى منتصف القرن الأول الميلادى ، فاقام ببابيلون حتى سنة ٥٨ م حيث كتب انجيله . (١) أى قبل أن يقتل بعشر سنوات ، لأنه قتل سنة ٦٨ م ولكن المدة التى كتب فيها انجيله غير معينة بزمن محدود فى خلال الثمانى سنوات التى اقامها فى مصر ويقول الدكتور أحمد شلبى : " ولا يعرف بالضبط تاريخ تأليف هذا الانجيل " (٢) ويفترض الأب بولس الياس اليسوعى أن مرقس ألف انجيله بين سنة ٦٠ وسنة ٧٠ ويقول ان من المؤكد أنه كتب انجيله قبيل سنة ٧٠ (٣)

ولكن هذا مجرد تخمين ينبذه الاختلاف الواقع فى تحديد تاريخ تأليفه وخاصة اذا قارنا بين كلام بولس الياس هذا ، وبين ما جاء فى تاريخ الأمة القبطية من أنه كتب انجيله حينما كان مقيما بمصر من منتصف القرن الاول حتى سنة ٥٨ . وهذه الاختلافات توضح لنا أن هذا الانجيل ليس له تاريخ يربطه بصاحبه ذلك لان مرقس توفى سنة ٦٨ على ما ذكر فى تاريخ الأمة القبطية وسنة ٦٢ على ماذكره الدكتور أحمد شلبى (٤) .

ويقول ول ديورانت : " ويتفق الناقدون الثقاة بوجه عام على أسبقية انجيل مرقس فى الزمن على سائر الأناجيل وفى تحديد تاريخه بين عامى ٦٥و٧٠ م " (٥)
وهكذا تتضارب الآراء فى تحديد تاريخ كتابة انجيل مرقس.

ثالثا : انجيل لوقا :

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : " ويقول الدكتور بوست فى تاريخه : " قد كتب هذا الانجيل قبل خراب أورشليم ، وقبل الاعمال ، ويرجح أنه كتب فى قيصرية فى فلسطين

---

(١) انظر تاريخ الأمة القبطية ص ٦٣ و ٦٤
(٢) المسيحية ص ١٨١ ـ ١٨٢ .
(٣) انظر يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٢٣
(٤) المسيحية ص ١٨١
(٥) قصة الحضارة ـ قيصر والمسيح ج ١١ ص ٢٠٨ .

مدة أسر بولس سنة ٥٨ ـ ٦٠ من الميلاد ، غير أن البعض يظنون أنه كتب قبل ذلك " ومن هذا يفهم أن يوسف يرجح أنه ألفه وبولس حى فى الأسر ولكن يحقق العلامة لارون أنه حرر انجيله ، بعد أن حرر مرقس انجيله ، وذلك بعد موت بطرس ، وبولس ، والواقع أن باب الخلاف فى تاريخ تدوين هذا الانجيل أوسع من ذلك ، فقد قال هورن : ألف الانجيل الثالث سنة ٥٣ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤ " (١) .

هكذا نجد الأقوال فى تاريخ كتابة هذا الانجيل متعددة ومتضاربة . ويرى الأب بولس الياس أن لوقا كتب انجيله قبل سنة ٧٠ وقبل خراب أورشليم بالذات معللا استنتاجه هذا بما علل افتراضه من قبل فى تاريخ كتابة مرقس لانجيله ، وهو أنه لو كان كتبه بعد ذلك التاريخ ، لوضح مراد المسيح فى اخباره عن خراب أورشليم ، وعن نهاية العالم ، والديثونة الأخيرة مميزا بينهما وهو أمر لم يفعله لاشتباه الامرين عليه ، وذلك دليل على أن خراب أورشليم لم يقع عند كتابته لانجيله (٢)

ومع أن الأب بولس أيد وجهة نظره بما سبق ، فان تحديد السنة التى الف فيها هذا الانجيل ، أمر غير متيسر انطلاقا مما استدل به . ويبقى تاريخ هذا السفر مجهولا كتاريخ سابقيه : متى ومرقس.

رابعا : انجيل يوحنا :

أما هذا الانجيل ، فهو الانجيل الرابع . وأما تاريخ كتابته ، فيقال انه كتب خلال سنة ٨٥ و ٩٥ وقد جاء هذا على لسان الأب بولس الياس اذ يقول : " ، وكتب يوحنا انجيله خلال سنة ٨٥ و ٩٥ بناء على طلب المؤمنين الذين التفوا حوله ، ووقعه باسم التلميذ الذى كان يسوع يحبه اقتداء بالمسيح الذى لقب نفسه ابن الانسان " (٣) .

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٤٩

(٢) انظر يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٢٣ و ص ٢٥

(٣) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٢٧

وهذا الكلام ليس فيه تحديد لتاريخ تأليفه بالضبط ومن هنا جاز لول ديورانت أن يقول : وتنزع الدراسات الحديثة الى تحديد تاريخ الانجيل الرابع بأواخر القرن الأول " (١)

وأواخر القرن الأول التى حدد بها (ول ديورانت) تاريخ انجيل يوحنا ، غير واضحة أيضا ، لان أواخر القرن تشتمل على ما بعد الثمانين الى المئة .

وبهذا نخلص الى القول ، بأن الأناجيل الأربعة ، ليس لها تاريخ محدد معروف يعتمد عليه . فقد سبق أن اتضح لنا أن الأقوال فى تواريخها متضاربة وليس لواحد منها تاريخ اتفق على اعتباره . ونكتفى هنا بعرض ما ذكر الشيخ رحمة الله الهندى نقلا عن (هورن) الذى قال فى المجلد الرابع من تفسيره : " الحالات التى وصلت الينا فى باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخى الكنيسة ، أبتر وغير معينة ، لا توصلنا الى أمر معين ، والمشايخ القدماء الأولون ، صدقوا الروايات الواهية وكتبوها ، وقبل الذين جاءوا من بعدهم مكتوبهم تعظيما لهم ، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة ، وصلت من كاتب الى كاتب آخر ، وتعذر تنقيدها بعد انقضاء المدة " . (٢)

ثم نقل عنه قوله أيضا فى نفس المجلد : " ألف الانجيل الأول سنة ٣٧ ، أو سنة ٣٨ ، أو سنة ٤١ ، أو سنة ٤٣ ، أو سنة ٤٨ ، أو سنة ٦١ ، أو سنة ٦٢ ، أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤ من الميلاد وألف الانجيل الثانى سنة ٥٦ ، أو ما بعدها الى سنة ٦٥ ، والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ ، أو سنة ٦٣ ، وألف الانجيل الثالث سنة ٥٣ أو سنة ٦٣ ، أو سنة ٦٤ . وألف الانجيل الرابع سنة ٦٨ ، أو سنة ٦٩ ، أو سنة ٧٠ ، أو سنة ٩٧ ، أو سنة ٩٨ من الميلاد " . (٣) .

ويقول أيضا : " توجد فى زمان تأليف الاربعة روايات واهية ضعيفة بلا سند ، يعلم منها أيضا أنه لا سند عندهم لهذه الكتب " (٤) .

---

(١) قصة الحضارة ـ قيصر والمسيح جـ ١١ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠

(٢) اظهار الحق جـ ١ ص ٧٩

(٣) اظهار الحق جـ ١ ص ٨٠

(٤) نفس المصدر والجزء ص ٧٩ .

اللغات التي كتبت بها هذه الأناجيل والتي ترجمت اليها

لقد تبين لنا خلال كلامنا فى الترجمة لكتاب الأناجيل ، اللغات التي كتبت بها ، وسبق هناك ، ما جاء فى كتاب تاريخ الأمة القبطية من أن متى كتب انجيله بالعبرية (١) كما سبق قول الأب بولس الياس ان متى كتب انجيله بالآرامية . وأن النسخ الأصلية الآرامية فقدت ، ولم يعرف الا باليونانية (٢) . وذكر الشيخ محمد أبو زهرة أن جمهور المسيحيين اتفقوا على أن متى كتب انجيله بالعبرية أو السريانية ، كما اتفقوا على أن أقدم نسخة عرفت منه ، كانت باليونانية ، واختلفوا فى تاريخ تدوينه ، وفيمن ترجمه الى اليونانية . وذكر أيضا أن ابن البطريق قال ان يوحنا صاحب الانجيل ، هو الذى ترجم انجيل متى من العبرية الى اليونانية . (٣) .

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة نقلا عن الدكتور بوست : " ان هناك من يقول انه كتب باليونانية ، ثم يرجح أنه ألف باليونانية مخالفا بذلك اجماع مورخيهم " (٤)

وقال صاحب تفسير المنار : قال صاحب ذخيرة الألباب : ان القديس متى كتب انجيله فى السنة ٤١ للمسيح ..... باللغة المتعارفة يومئذ فى فلسطين وهى العبرانية أو السيروكلدانية (ثم قال) : ثم ما عتم هذا الانجيل أن ترجم الى اليونانية ، ثم تغلب استعمال الترجمة على الأصل الذى لعبت به أيدى النساخ الأبونيين ، ومسخته ، بحيث أضحى ذلك الأصل هاملا بل فقيدا ، وذلك منذ القرن الحادى عشر . أهـ (ثم يقول صاحب المنار) : أقول : ياليت شعرى من هو الذى ترجم انجيل متى باليونانية ، ومن عارض هذه الترجمة على

---

(١) أنظر تاريخ الأمة القبطية ص ٥٣

(٢) انظر يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٢١

(٣) راجع محاضرات فى النصرانية ص ٤٢ و ٤٣

(٤) محاضرات فى النصرانية ص ٤٤

الأصل قبل أن يعبث به النساخ ويمسخوه ، والله أعلم " (١)

هذا ما قيل فى الانجيل الاول وهو انجيل متى الحوارى .

أما انجيل مرقس ، فقد قيل انه ألف باليونانية (٢) وليت شعرى لماذا ألفه باليونانية ، وهو لم يكتبه الا لليهود المتنصرين كما يقول غير واحد من المسيحيين مع أن المفروض كتابته باللغة العبرانية التى هى لغة اليهود ؟ ! وأيضا لا وجود للنسخة الأصلية لهذا السفر ، ولا يعرف ناقله ولا تاريخ نسخه .

وأما الانجيل الثالث ، وهو انجيل لوقا ، فقد كتب باليونانية كذلك ، غير أن النسخة الاصلية له ، لم يعرف أين ذهبت ، ولم يعرف كذلك ناسخها من الأصل ولا تاريخ نسخها .

ومن المختلف فيه كذلك تعيين من كتب له لوقا انجيله ، فقد قيل انه كتب لليونان وقيل غير ذلك . الا أن ما فى بدايته من مخاطبته لشخص من عظماء الروم اسمه تاوفيلس ، يؤيد رأى من قال ، انه كتب للرومان . (٣) .

وأما الأنجيل الرابع وهو انجيل يوحنا ، فقد قيل انه كتب باللغة اليونانية ، يقول كتاب تاريخ الامة القبطية فى ذلك : " وكتب انجيله ورسائله الثلاث وسفر الرؤيا باللغة اليونانية " (٤)

ويقول (ول ديورانت) : " وقد يبدو من غير المعقول أن يكون كاتب سفر الرؤيا هو نفسه كاتب الانجيل الرابع . ذلك أن سفر الرؤيا سفر يهودى ، وأن الانجيل فلسفة يونانية" (٥) وكونه كتب انجيله باليونانية أمر يدعو الى الشك ، ولا سيما وهو شيخ قد بلغ من الكبر عتيا عند كتابة الانجيل . أضف الى هذا كونه قد نسى كثيرا من ذكرياته مع المسيح ، ولم يعد ما يقوله للناس غير (ليحب بعضكم بعضا) فكيف استطاع كتابة الانجيل ؟ فى هذه السن . وذكر الأب بولس الياس اليسوعى أن قدم نسخة للأناجيل يعود تاريخ نسخها الى القرن الرابع الميلادى وهى محفوظة فى مكتبة الفاتيكان ، والنسخ الأخرى لهذه الأناجيل يفترض تاريخ نسخها أن يكون بعد القرن الرابع ، وتلك النسخة الفاتيكانية ، كانت منسوخة باللغة اليونانية (٦) وبهذا وغيره يتضح لنا أن هذه الانجيل لا يختلف مع غيره من الاناجيل الأخرى وعدم عثور النصارى على النسخ الاصلية لها ، وأنه فقد صلته بها من القرن الأول حتى القرن الرابع .

ولعل (ول ديورانت) لم يبالغ حينما قال بعد حديثه عن يوحنا وانجيله : " وقصارى القول ان المسيحية كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثنى القديم" (٧)

١/ تفسير المنار جـ ٦ ص ٢٩٢ — ٢٩٣ . ٢/ انظر نفس المرجع جـ٦ ص ٢٩٤
٣/ انظر محاضرات فى النصرانية ص ٤٨و٤٩ ومحاضرات فى النصرانية ص ٤٦ .
٤/ تاريخ الأمة القبطية ص ٥٤ وانظر تفسير المنار جـ ٦ ص ٢٩٦
٥/ قصة الحضارة جـ ١١ ص ٢٧٤ . ٦/ انظر يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٣١
٧/ قصة الحضارة جـ ١١ ص ٢٧٦ .

٤ـ كتاب الاناجيل الاربعة غير معروفين

لقد خلصنا الى القول من قبل أن تاريخ تسجيل هذه الاناجيل غير معروف بالضبط ، ولم نتعرض لمناقشة صحة نسبتها لكتابها الأربعة ، الذين عرفت بأسمائهم ، ونرى لزاما علينا هنا أن ننظر في ذلك.

يقول صاحب تفسير المنار : " اختلف علماء الكنيسة ، وعلماء التاريخ في الاناجيل الأربعة التى اعتمدوها في القرن الرابع : من هم الذين كتبوها ؟ ومتى كتبوها ؟ وبأى لغة كتبت ؟ وكيف فقدت نسخها الأصلية ؟ كما ترى ذلك مفصلا في دائرة المعارف الفرنسية الكبرى ، وفي غيرها من كتب الدين والتاريخ.

ويقول ول ديورانت : " أما النسخ الأصلية ، فيبدو أنها كتبت بين عامى ٦٠ ، ١٢٠ م ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل ولعلها تعرضت أيضا لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التى ينتمى أليها الناسخ أو أغراضها . والكتاب الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول الميلادى ، لا ينقلون قط شيئا عن العهد الجديد ، بل كان ما ينقلونه مأخوذا من العهد القديم ، ولسنا نجد اشارة لانجيل مسيحى قبل عام ١٥٠ الا في كتاب بيباس Papias ، الذى كتب في عام ١٣٥ ، اذ يقول ان يوحنا الاكبر ـ وهو شخصية لم يستطع الاستدلال على صاحبها ـ قال ان مرقس ألف انجيله من ذكريات نقلها اليه بطرس " (٢).

ويقول أيضا في انجيل متى : " واذ كان يبدو لنا أنه في هذه الصورة الأخيرة يردد أقوال انجيل مرقس ، وأنه ينقل في أكبر الظن من أخبار يسوع نفسها ، فان النقاد يميلون الى القول بأنه من تأليف أحد أتباع متى ، وليس من أقوال المشار نفسه . وحتى أكثر العلماء يرجعون به الى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين عامى

---

(١) تفسير المنار جـ ٦ ص ٢٩٢.

(٢) قصة الحضارة ـ قيصر والمسيح جـ ١١ ص ٢٠٧

٨٥ ـ ٩٠م " (١)

وبهذا تتبدد الثقة بهذا الانجيل الذى لا يعرف كاتبه .

أما انجيل مرقس ، فقد قيل ان كاتبه هو بطرس الحوارى عن مرقس ، وليس مرقس هو الذى كتبه ويقول الشيخ محمد أبو زهرة نقلا عن ابن البطريق :
" وفى عصر نارون قيصر ، كتب بطرس رئيس الحواريين ، انجيل مرقس عن مرقس فى مدينة رومية ، ونسبه الى مرقس " (ثم يقول الشيخ محمد أبو زهره) : ونوجه نظر القارئ الى ما قاله ابن البطريق من أن الذى كتب الانجيل هو بطرس عن مرقس ،ونسبه اليه ، فكان بطرس راوى مرقس ، مع أن الأول رئيس الحواريين كما يقول ابن البطريق ،والثانى من تلاميذه ، كما جاء فى كتاب مروج الأخبار فى تراجم الأبرار واذا كان ذلك الانجيل خلاصة علمه بالمسيحية ، فاذا رواه عنه أستاذه ، فقد روى هذا عن مرقس ما ألقاه عليه وعلمه ، وان ذلك لغريب" (٢)

حقا ان ذلك لغريب ، غير أن هذا غير مستغرب من قوم اتخذوا دينهم أسرارا ورموزا ينقض بعضها بعضا ، ورضوا بأن يقولوا بعد ذلك ان عقيدتهم فوق الادراك العقلى للانسان ،متجاهلين بذلك الحكمة الالهية من انزال الكتب وارسال الرسل ، وهى سعادة الناس فى الدارين بهدايتهم الى سبيل الرشاد .

وأما انجيل لوقا : فقد ذكروا أن كاتبه هو لوقا لاغير ، الا أن لوقا هذا لم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ تلاميذه ، بل هو تلميذ بولس الذى لم يكن من تلاميذ المسيح أيضا . وكما سبق فى ترجمة لوقا ، فان شخصيته غير معروفة اذ قال الكثيرون انه من انطاكيا ، وقال الدكتور بوست : انه لم يكن انطاكيا ، بل هو ايطالى ولد فى رومه ، وأكد أن الذين قالوا انه من انطاكيا ، وهموا فى ذلك ، لأنه اشتبه عليهم بلوكيوس . (٣) .

---

(١) قصة الحضارة ـ قيصر والمسيح جـ ١١ ص ٢٠٨
(٢) محاضرات فى النصرانية ص ٤٦
(٣) انظر نفس المرجع ص ٤٨

وبهذا يتبين أن كاتبه غير متفق على شخصيته . وقد قيل أن كاتبه هو بولس . (١)
وأما انجيل يوحنا ، فحدث عنه ولا حرج . ومع أن جمهور المسيحيين يعتقدون أن يوحنا الحوارى هو الذى كتب هذا الانجيل ، فان ذلك لم يكن أيضا موضع اتفاق ، وذلك منذ آخر القرن الثانى ، الميلادى .

يقول ول ديورانت : " .. وان ما يصطبغ به الكتاب من نزعة قريبة من نزعة القائلين بأن الخلاص لا يكون بالايمان ، بل بالمعرفه . وما فيه من تأكيد للآراء الميتا فيزيقية ، قد جعلا الكثيرين من الباحثين فى الدين المسيحى ، يشكون فى صدق القول بأن واضعه هو الرسول يوحنا ..." (٢) .

وقال الشيخ محمد أبو زهرة نقلا عن استادلن قوله : " ان كافة انجيل يوحنا ، تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية ، ولقد كانت فرقة الوجين فى القرن الثانى تنكر هذا الانجيل وجميعها أسند الى يوحنا " ثم نقل عن دائرة المعارف البريطانية التى اشترك فى تأليفها خمسمائة من علماء النصارى ما نصه : " أما انجيل يوحنا ، فانه لا مرية ولا شك كتاب مزور ، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض ، وهما القديسان ، يوحنا ومتى ، وقد ادعى هذا الكاتب المزور فى متن الكتاب ، أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها ، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ، ووضعت اسمه على الكتاب نصا ، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت اليه ، وانا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ، ولو بأوهى رابطة ، ذلك الرجل الفلسفى الذى ألف هذا الكتاب فى الجيل الثانى ــ بالحوارى يوحنا الصياد الجليل ، فان أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى " (٣) .

---

(١) راجع تفسير المنار ج ٦ ص ٢٩٦ .
(٢) قصة الحضارة ــ قيصر والمسيح ج ١١ ص ٢٠٩
(٣) محاضرات فى النصرانية ص ٥٠

وبهذا ندرك أن الأناجيل الأربعة لم يجمع المسيحيون على كتابها ومؤلفيها، وما دام الأمر كذلك، فإن حجية هذه الأناجيل غير مقبولة، وأن الاستدلال بها مردود. وليس لنا أن نناقش مسألة الهام كتابها، وعصمتهم من الكذب والغلط، لأنه لا طائل تحته، وذلك لأننا خلصنا الى القول بجهالة مؤلفيها، فالذين لم تعرف شخصياتهم، لا تعرف أحوالهم، اذ الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وعدم تصور المسيحيين لهويات الكاتبين يمنعنا من الحكم عليهم، والحديث عن عصمتهم والهامهم.

ويكفي لابطال العصمة والالهام عمن ألفوها، ما فيها من تناقض بين، في الاخبار عن المسألة الواحدة.

٥- تضارب الأناجيل فى رواياتها

فى الباب الأول والثالث ، تبين لنا كيف أن الأناجيل تتضارب وتتناقض فى حديثها عن الأمر الواحد ، مما يجعل المرء يشك فى الحكم بصحتها ، وذلك خلال مناقشتنا لأدلة المسيحيين على مسائل البابين المذكورين ، ومع أن تلك التناقضات تغنى عن إعادة الكلام فى ذلك ، فاننا نرى الحديث عنه هنا مناسبا ، ونحاول أن نعرض نماذج لتلك التناقضات.

تناقض متى ولوقا فى نسب المسيح :

يذكر متى أن المسيح يرجع بنسبه الى سليمان بن داود (١) وأن يوسف الذى تزوج أمه ونسب اليه المسيح ، هو يوسف بن يعقوب بن متان. (٢).
ويذكر لوقا أنه يرجع الى ناثان بن داود (٣) وأن يوسف الذى ينسب اليه المسيح ، هو يوسف بن هالى بن متثات. (٤).

فذكر متى أن المسيح ابن سليمان بن داود ، وذكر لوقا أنه ابن ناثان بن داود . كما ذكر متى أن يوسف بن يعقوب بن متان ، وذكر لوقا ، أنه ابن هالى ابن متثات ، فتناقضا فى أمر واحد .

تناقضيهما فى قصة اعتماد المسيح على يد يوحنا المعمدان :

يقول متى : " فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء ، واذ السموات قد انفتحت له ، فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه ، وصوت من السموات قائلا : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت " (٥) ويقول لوقا : " ولما اعتمد جميع الشعب

---

(١) متى ١ : ٦
(٢) متى ١ : ١٥
(٣) لوقا ٣ : ٣١
(٤) لوقا ٣ : ٢٣-٢٤
(٥) متى ٣ : ١٦-١٧ .

اعتمد يسوع أيضا ، واذ كان يصلى انفتحت السماء ، ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة ، وكان صوت من السماء قائلا : أنت ابنى الحبيب بك سررت " !

فذكر متى أنه رأى الروح نازلا عليه وهو يخرج من الماء وذكر لوقا أنه نزل عليه الروح القدس وهو يصلى . فتناقضا أيضا فى مسألة واحدة .

تناقض لوقا فى حديثه عن السلام :

يقول لوقا عند الحديث عن ميلاد المسيح : " ... وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين . المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسره " (٢) ويقول فى موضع آخر على لسان المسيح : أتظنون أنى جئت لأعطى سلاما على الأرض ، كلا ، أقول لكم ، بل انقساما ، لأنه يكون من الآن خمسة فى بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين ، واثنان على ثلاثة ينقسم الأب على الابن والابن على الأب ، والأم على البنت ، والبنت على الأم والحماة على كنتها ، والكنته على حماتها " (٣) .

فتناقض فى حديثه ، اذ ذكر فى الأول أن المسيح جاء بالسلام على الأرض ، ثم ناقض ذلك بذكره أن المسيح لم يأت ليعطى سلاما على الأرض وكأنه قال : جاء المسيح بالسلام على الأرض ، ولم يأت المسيح بالسلام على الأرض

تناقض مرقس ولوقا فى قصة الرجلين المصلوبين مع المسيح فى نظرهم :

يقول مرقس : " وصلبوا معه لصين واحد عن يمينه وآخر عن يساره ...... واللذان صلبا معه كانا يعيرانه " (٤) وكذلك يقول متى (٥) .

---

(١) لوقا ٣ : ٢١ـ٢٢

(٢) لوقا ٢ : ١٣ـ١٤

(٣) لوقا ١٢ : ٥١ـ٥٣

(٤) مرقس ١٥ : ٢٧و ٣٢

(٥) انظر متى ٢٧ : ٤٤

أما لوقا ، فيقول : (وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلا : ان كنت أنت المسيح ، فخلص نفسك وايانا . فأجاب الآخر وانتهره قائلا : أولا ـ أنت تخاف الله اذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ؟ " (١)

فصرح مرقس بأن الرجلين يعيرانه ، وذكر لوقا أن أحدهما فقط عيره ، والآخر نهاه عن ذلك قائلا : أما تخاف الله ؟ فثبت بهذا تناقضهما .

تناقض فى ذكر من حمل صليب المسيح :

يقول لوقا : (ولما مضوا به ، أمسكوا سمعان رجلا قيروانيا كان آتيا من الحقل ، ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع " (٢) وبهذا يقول متى ومرقس (٣) ولكن يوحنا يقول : " فأخذوا يسوع ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه الى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة ...) (٤) .

فتناقضوا بهذا فيمن حمل الصليب ، حيث ذكر الثلاثة أن الذى حمل الصليب هو سمعان القيروانى ، وذكر يوحنا أن المسيح هو الذى حمل صليبه .

ومن نظر فى هذه الأناجيل بامعان ، وجد أن التناقض لا يفارقها فى كثير من الأخبار التى تتحدث عنها . وكذلك الكتب النصرانية الأخرى كرسائل الرسل وغيرها ، مليئة بالتناقض ، وكأنها فى ذلك اتخذت التناقض أساسا للعقيدة ، وما يوافق النقل الصحيح ، والعقل السليم ، لا يتفق مع عقيدتهم هذه .

وبهذه الدراسة يتضح لنا من الأناجيل الأربعة عدة أمور :

١ ـ ان تاريخ تأليفها غير معلوم . ٢ ـ ان النسخ الاصلية لها مفقودة .

٣ ـ ان تاريخ ترجمتها ، وهوية مترجميها غير معلومه .

٤ ـ ان اللغة الأصلية التى ألفت بها بعضها غير متفق عليها .

٥ ـ ان كتابها غير هؤلاء الأربعة الذين تنسب اليهم ، وهم مجهولون ، والمجهول لا تقبل روايته ، وخاصة فى مثل هذه المسائل الخطيرة فى الدين التى ينبغى أن يحتاط لها ، ويحافظ على سلامتها ، وصحة مصدرها .

٦ ـ انها تتناقض فى المسألة الواحدة ، تناقضا لا يمكن صدوره عن مصدر يوثق بصدقه فضلا عن أن يكون صادرا عن معصوم كتب بالهام .

ومن هنا نخلص الى القول بأن هذه الاسفار الأربعة التى تعتبر عماد العهد الجديد ، ليس لها سند يصلها بالمسيح عيسى ابن مريم وفضلا عن ذلك ، ليس لها سند متصل بمن نسبت اليهم كتابة هذه الاناجيل . ومنه نعلم أن مايعتمد عليه النصارى فى دعم عقيدتهم أوهن من بيت العنكبوت وأقل من أن يعتمد عليها فى اثبات عقيدة دينية ، يؤمن بها ويعتقدها مجتمع عاقل .

---

(١) لوقا ٢٣ : ٣٩ـ٤٠ (٢) لوقا ٢٣ : ٢٦ (٣) متى ٢٧ : ٣٢ ومرقس ١٥ : ٢١

(٤) يوحنا ١٩ : ١٦ـ١٧ .

٦- انجيـــل برنابـــا

يوجـد في هذا العصر انجيل خامس يدعى انجيل برنابا ، غير أن المسيحيين لا يعترفون بشرعيته ، وذلك لعدة أمور :

أولا : انه يهدم العقيدة المسيحية من أساسها بانكاره ألوهية المسيح وانكاره صلبه وغير ذلك مما يتصل بالعقيدة النصرانية.

ثانيا : انه يؤيد الدين الاسلامى ويعترف برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

ثالثا : انه يهاجم بولس الذى شيد صرح المسيحية بعد المسيح ، والذى يعتبره النصارى صاحب الفضل المظيم باسهامه فى المسيحية .

ولقد ظهر هذا الانجيل لاول مرة سنة ١٧٠٩ م ، وأول من عثر عليه «كريمر» أحد مستشارى ملك بروسيا ، حينما كان مقيما بأمستردام ، فأخذ فى تلك السنة ، من مكتبة أحد وجهائها .

يقول مترجمه الدكتور خليل سعادة فى مقدمته : " وأول من عثر على النسخة الايطالية ممن لم يحفظ التاريخ أثرهم ولم تدرس الأيام ذكرهم ، هو كريمر ،أحد مستشارى ملك بروسيا ، وكان مقيما وقتئذ فى أمستردام ، فأخذها سنة ١٧٠٩ من مكتبة أحد مشاهير ووجهاء المدينة المذكورة " (١) .

وذكر خليل سعادة أن هذه النسخة قد أهديت فيما بعد بأربع سنوات الى البرنس أيوجين سافوى ، ثم انتقلت سنة ١٧٣٨ مع سائر مكتبته الى مكتبة البلاط الملكى فى فينا ، وهى لا تزال بها حتى الآن . وذكر أنه عثر على نسخة أسبانية فى مئتين واثنين وعشرين فصلا وأربعمائة وعشرين صفحة غير أن معالمها قد طمست ودرست رسومها بعد أن ترجمت الى اللغة الانجليزية بواسطة الدكتور منكهوس أحد أعضاء كلية الملكة فى اكسفورد ،وبعد أن سلمها المترجم مع الأصل الى الدكتور هويت أحد مشاهير الأساتذة آنذاك ، فى سنة ١٧٨٤ الذى أخذ شذرات منها وألقاها فى بعض المحاضرات وقد اطلع الدكتور خليل سعادة على تلك الشذرات فوجدها مطابقة للنسخة الايطالية السابق ذكرها الا فى أمرين اثنين ذكرهما . (٢) .

وقد وجدوا فى مقدمة النسخة الأسبانية التى كتبها فرامرينو الراهب اللاتينى ،أنه وجد

---

(١) مقدمة الدكتور خليل سعادة لانجيل برنابا ص (د) .
(٢) انظر نفس المرجع والصفحة.

رسائل لايرينايوس ، ومن بينها رسالة تندد ببولس ، واستند كاتبها فى تنديدة ببولس على انجيل القديس برنابا ، ومن هناك ، كان فرامرينو شديد الحرص على العثور على هذا الانجيل ، وجاءته الفرصة يوما فكان مقربا الى البابا سكتس الخامس ، فدخل معه مكتبته الخاصة ، فغشى النعاس البابا ، وما ان لمح فرامرينو ذلك ، حتى بدأ الاطلاع على الكتب ، فوقع فى يده انجيل برنابا فأخفاه فى ملابسه حتى أفاق البابا من غفوته ، فاستأذنه للخروج ، والكتاب الثمين فى طيات ملابسه ، فأذن له البابا بالانصراف ، وهو غير عالم بما كان منه ، ولما خلا الراهب بالكتاب ، قرأه بشغف عظيم ، فاعتنق الدين الاسلامى الحنيف.

ثم يورد الدكتور خليل سعادة رأى كاتبين فى هذا الانجيل وهما لوتسدال ، ولورارانج ، اللذين ذهبا الى القول بأن هذا الانجيل حدث نسخه حوالى سنة ١٥٧٥ وأن من المحتمل أن يكون ناسخه هو الراهب فرامرينو. (١)

ولقد قيل ان كاتب هذا الانجيل عربى واستدل على ذلك بالتعليقات الموجودة على هامشه بالعربية ، غير أن ذلك استبعد لركاكة العبارات العربية التى كتب بها التعليق ، بحيث يقدم المضاف اليه على المضاف وهو أمر لا ينتسب الى عربى . وعدم ورود ذكر لهذا الانجيل فى الكتب الاسلامية ، وكونه وجد فى وسط مسيحى صرف ، يمنع أن يكون كاتبه من المسلمين ثم ان المسلم المخلص لدين الله لا يمكن أن يخلق هذا الافك ، وينصر به الاسلام ، أو يكيد به للمسيحية ، لان الاسلام يحرم الكذب ويعده من الكبائر.

وأما ما قيل من أن مطابقة كثير من معانيه ، النصوص الاسلامية ومبادئها يرجح أن يكون واضعه أحد المسلمين ، فأمر فى غاية البعد ، لأنه يوجد فى الاناجيل الاربعة وغيرها بعض ما يتفق مع المبادئ الاسلامية ، فلم يقل أحد أن واضع الاناجيل الأربعة شخص مسلم .

هذا وقد ألفت كتب للرد على هذا الانجيل من قبل المسيحين ، تتسم بالحدة والعنف ، وذلك نظرا لخطورته على العقيدة المسيحية ، من بينها " نقد انجيل برنابا "

"١" انظر المقدمة ص (ز) و (ح) .

لكاتبه " يسى منصور " الذى استفتح كتابه بالتهجم على الراهب فرامرينو متهمـا اياه بالشهوانية واغتصاب الراهبات مما جعل البابا سكتس يسقط حقه فى أن يكون كرديتالا ، ولغضبه على البابا خرج من المسيحية الى الاسلام انتقاما منه ، علـى يد بعض الدراويش من الصوفيـة المتجولـين من الاندلس فى ايطاليا ، فأراد ـ علـى حـد قوله ـ أن يكيد للمسيحية فلفق هذا الانجيل • (١)

ونحن نسأل يسى منصور من أين أتانا بهذه المعلومات التى استعصى على علمـاء أوربا الوصول اليها ؟ ونحب أن يبين لنا ذلك الصوفى المتجول الذى اعتنـق فرامرينو الاسلام على يده ، كما نرجو أن يبين لنا تاريخ اعتناقه الاسلام ، ويذكر لنـا أيضا ما كان من أمر الراهب هذا قبل وبعد دخولـه فى الاسلام !! ومما يدل علـى تحامله على هذا الكتاب ، قوله فى القدمة : " والآن بعد أن عرفنا هذا ، تصـدنا بتنفيـذ الكتاب المسمى انجيل برنابا " (٢) مع أن التحقيق العلمى لا يمكن أن ـ يكون بهذه الطريقـة •

ومن الاخطاء الفاحشة الشائعة بين الكتاب المسيحيين ، زعمهم أن المسلمين وجدوا فى انيجيل برنابا ما يدعم معتقدهم (٣) وهو أمر فى غاية السخف والبلاهة ، لأن الدين الاسلامى لم يكن فى حاجة الى مثل هذه الكتب يوما ما ، لانه انزل من عند الله عز وجـل وهو محفوظ بحفظه ، قوى بقوة من شرعه ، ولا يعتمد على كتب من وضع البشر حتـى لو كانت متصلة السند صحيحة النقل وموافقة للعقل ، فانه يستشهد بها فقط ، ولا ـ يعتمد عليها • فما بالك بكتاب لم يعرف كاتبه ولا سنده ، ولم يتبين لنا صدقـه أو كذبـه ؟ !

والخلاصة أننا لا يمكن أن تعتمد على انجيل برنابا مطلقا ، لأن حاله ، كحـال الأناجيل الأربعة تماما من حيث الجهل بسنده وتاريخ كتابته وترجمته ولغة الأصـل

---

(١) أنظر نقد انجيل برنابا ص ١١ طبع بمطبعة دار نشر الثقافة سنة ١٩٧٣م•

(٢) نفس الكتاب ص ١١

(٣) انظر يسوع المسيح للأب بولس الياس ص ٣٨ •

وكاتبه ومترجمه . غير أن ذلك لا يمنع أننا نكذبه ، وانما هو أقرب الى العقل والنقل من الأناجيل الاربعة الأخرى.

والحمد لله أولا وآخرا . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه ، وسار على نهجه الى يوم الدين .

خاتمة الرسالة

تدين المجتمعات البشرية منذ فجر التاريخ بأديان مختلفة ومتعددة ، وذلك بعد أن كان الانسان الأول وبنوه يدينون بدين واحد ، وهو دين التوحيد ، وبغض النظر عن الرأى المخالف القائل بأن الناس كانوا يدينون بأديان مختلفة منذ نشأتهم الأولى ، وأن الديانات تطورت من الشرك الى التوحيد ، فان ما نشاهده من الاختلاف الدينى بين الناس ، لم يحدث الا بتأثير زمنى و اجتماعى ، وذلك عندما طال الأمد على الناس فابتعدوا عن الطريقة التى كان عليها أسلافهم رغم التمسك الظاهرى بها ، وبأن يؤثر عليهم المجتمع الذى يعيشون فيه فيتأثرون بما حولهم من معتقدات ، ويقلدون من حولهم من الأمم المنحرفة ، فتختلط عليهم الأمور حتى لا يوجد بين ما يدينون به ، وبين ما يدين به مجاوروهم الا فرق ضئيل ، وذلك الفرق هو الاختلاف فى الاسم فقط .

ثم أن هذا الاختلاف فى الديانات بين الناس لم يحدث دفعة واحدة ، كما أن البشر لم يوجدوا على الأرض بهذه الكثرة دفعة واحدة ، بل حدث ذلك تدريجيا . ولا شك أن دعوة كل نبى هى دعوة للانتقال من الشرك الى التوحيد ، وأن المنهج الالهى الذى جاءت به الرسل انما هو منهج التوحيد الذى يدعو الى نبذ الشرك بالله فى ربوبيته وألوهيته والى التمسك بتوحيد الله تعالى ، ولم تختلف دعوة الرسل منذ أول رسول الى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم فى أصول الدين . ومن أجل ذلك كان لزاما علينا أن ننظر نظرة جدية الى الهوة السحيقة التى تفصل بين النصرانية التى تنسب الى عيسى ابن مريم عليه السلام ، وبين الدين الاسلامى الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بوحى من عند الله تبارك وتعالى ، مع أن كلا منهما دين الهى منزل ، والدين الالهى المنزل ، لا يختلف فى أصوله مطلقا ، ولكن الاختلاف بين هاتين الديانتين قد وقع.

وهذا الاختلاف الواقع ، هو الذى حاولت فى هذا البحث توضيح أسبابه وبيان دوافعه ، حسب الخطة التى وضحتها فى المقدمة.

فبينت فى الباب الاول : تصور المسيحيين للذات الالهية بوجه عام ، وبوجه خاص بينت فى الفصل الاول ايمانهم بوجود الله تعالى وأدلتهم على ذلك . ولم أجد فى هاتين المسألتين مأخذا عليهم . ثم وضحت صفات الله تعالى فى نظرهم وصلته بالعالم ،

وناقشتهم فى هاتين المسألتين فى النقطتين المماثلتين لهما فى الباب الثانى ، وبينت تناقضهم فى ذلك . وفى الفصل الثانى : أوضحت أن عقيدتهم فى التجسد الالهى متناقضة ، وبينت وجه ذلك مستدلا عليهم بما يناقض ذلك من العهد القديم ، وفيه تم توضيح خطأهم فى فهم معنى الكلمة التى أطلقت على المسيح وحاججتهم فى ذلك بنصوص من العهد القديم .

وفى الفصل الثالث : توصلت الى أنهم تناقضوا غاية التناقض فى اعتقادهم بنوة المسيح لله وأبوة الله له على وجه الحقيقة مع ورود ما يفيد خلاف ذلك فى الأناجيل الأربعة التى ذكرت بنوة المؤمنين عامة لله من غير اشارة الى التفريق بين المسيح وبينهم فى ذلك ـ كما توصلت فيه الى أنهم خالفوا نصوص الكتاب المقدس ، بعهديه : القديم والجديد ، فى ادعائهم أن الله أحد الأقانيم الثلاثة .

وفى الفصل الرابع : ناقشت أدلتهم فى التثليث بما يناقضه ، من الأناجيل الأربعة ، والعهد القديم ، وخرجت منه بالحكم على أدلتهم بأنها خاوية من الدلالة على معتقدهم

وفى الفصل الاول من الباب الثانى : بينت العقيدة الاسلامية فى الذات الالهية عموما ، وخاصة صفاته تعالى فى الاسلام ، وعقدت المقارنة بينها وبين صفاته تعالى فى نظر المسيحيين موضحا التناقض النصرانى فى ذلك . كما بينت فيه صلته تعالى بمخلوقاته مقارنا بينها وبين صلته تعالى فى المسيحية بالعالم ، وأشرت الى البون الشاسع بين العقيدتين فى ذلك موضحا تناقض النصارى فى ذلك أيضا .

وفى الفصل الثانى منه : بينت وحدانية الله فى الاسلام ووضحت الآيات الكونية الناطقة بها ، ومراد الاسلام بروح القدس ، ووضحت فيه التطابق بين النصوص الاسلامية والانجيلية فى ارادة جبريل بالروح القدس مشيرا الى مخالفة المسيحيين لنصوص الأناجيل واظهارا للبعد الفاصل بين العقيدة الاسلامية ، والنصرانية فى الذات الالهية ، ناقشت مسألة الأقانيم فى هذا الفصل ، وبينت أن كلمة أقنوم كلمة لم يجمع النصارى على استعمالها قديما وحديثا ، كما أظهرت تناقضهم فى مسألة الأقانيم .

أما الباب الثالث فكان عن المسيح فى نظر المسيحيين : وخرجت منه بالحكم على عقيدة النصارى فى المسيح بأنها مخالفة لدعوة المسيح ورسالته مستدلا على ذلك بنصوص من الأناجيل وتوصلت فيه أيضا الى أن بعض الأدلة الانجيلية تنافى صلب المسيح . والى أن الأناجيل تناقضت فى الحديث عن الصلب والقيامة ، وأن تناقضها دليل على عدم وقوع الصلب ، وفيه توصلت الى أن بولس هو صاحب الأثر الكبير فى المسيحية بعد المسيح ، وخرجت من هذا الباب بالحكم على العقيدة المسيحية بعد

المسيح بأنها لا صلة لها ، بموسى ابن مريم عليه السلام وأنها لاترتبط بوحــى الله عز وجــل .

وأما الباب الرابع فكان عن المسيح فى القرآن الكريم ، وقد أوضحت فيه العقيـــدة الاسلامية فى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام . وفيه بينت أن الحمل بالمسيـــح مدة معتادة بناء على عدم مما يدل على خلاقه ، ولأن العادة قد جرت بذلك ، ولابـد من دليل يدل على خرق العادة . وفيه أيضا ناقشت الدكتور أحمد شلبى فى نقطتين : احداهما فى قوله ان السحر كان معجزة موسى . والاخرى فى قوله : أن بنـــى اسرائيل أخرجو من أرض مصر نتيجة لانتشار الوباء فيهم لجهلهم بالطب . وبينــت فى ذلك مخالفته النصوص الاسلامية الدالة على أن أنبياء الله لم يكونوا سحرة قـــطه وأن بنى اسرائيل لم يخرجوا من مصر قهرا ، وانما أخرجهم الله تعالى انجاء لهـــم من قهر فرعون واستعباده وأقمت الأدلة على ذلك من كتاب الله تعالى . وفيه أوضحت حكم القرآن فى عقيدة الصلب وذكرت أن القرآن لم يكن وحده هو الذى حكم علــى عدم صحة الصلب ،بل ان هناك فرقا مسيحية عديدة قالت بذلك وفيه بيان لآراء علماء الاسلام فى نهاية عيسى ابن مريم على الأرض واختلافهم بعد الاجماع على نجاته مــن الصلب والقتل فى مسألة نزولـه فى آخر الزمان ، وفيه بينت أن المذهب الحـــق هو مذهب الجمهور القائل بنزولـه فى آخـر الزمان وعدم موته الى ذلك الحين ، لأنـــه رفع بجسمه الى السماء ، وأن مذهب المخالفين فيه خروج على ما صح من الأحاديـــث النبويـــة التى حكم بتواترها أولو العلم والبصيرة من هذه الأمة ، وبينت فى ذلـــــك كله خطأ القاعدة التى استندوا اليها فى رد الآحــاد من الأحاديث فى مجال العقيدة ثم ختمت الباب بالأدلـــة القرآنية التى أبطلت التثليث ، واقتلعت جذوره من الأســاس

وأما الباب الخامس :فكان عن المصادر المسيحية فى الميزان وقد قومت فيه المصـــادر المسيحية ، وبينت أن الأناجيل الأربعة لم يتفق على تاريخ كتابتها ولا وجود للنســخ الأصليـــة لها ، وأن كتابهـــا ومترجميها مجهولون ، وأن تناقضها فى الأمر الواحـــد مع الجهل بكتابها ومترجميها وتاريخها ، يفقدها القيمة كمصدر من مصادر الدين المسيحى ثم ختمت الباب ببحث وجيز عن انجيل برنابا خرجت منه بالقول انه كغيره من الأناجيـل الأربعة فيما سبق الا أن نصوصه أقرب الى الحق من نصوص تلك الأناجيل ومع ذلـــك فاننا فى غنى عن كتاب لا يعرف أصله وتاريخــه .

هذه بعض النتائج التى توصلت اليها من هذا البحث ، ومع ذلك فاننى لا أدعـــى أننى قد أحطت بالموضوع كله من جميع جوانبه ذلك أن الموضوع واسع ويحتاج الى أكثر من رساله

وما قد يوجد فيها من تكرار لمسألة واحدة — كما فى الأقنوم أو الأقانيم — فسببه الاصطلاح الذى اتخذه اللاهوتيون فى الحديث عن تلك المسألة اذ يتبعون طريقة خاصة . حاولت اتباعها قدر المستطاع . أما منهج المقارنة فى حد ذاته فمنهج عويص كما اعترف بذلك كثير من علماء المقارنة . ويزيده صعوبة كون أحد طرفى المقارنة هنا المعتقد النصرانى الذى يصفه المسيحيون بأنه فوق العقل ولعل الله ينير بصائر المسيحيين . فيروا الحق ويرشدوا اليه .

هذا وقد وجدت الكتاب فى هذا الموضوع يتجهون اتجاهات مختلفة .

فمنهم من يحاول ابراز أوجه التشابه بين العقيدتين فى بعض النواحى غاضا الطرف عن الخلاف الواسع بينهما ، ويلوح بعلم الوحدة بين الاسلام والمسيحية . وهو أمر له عواقبه الوخيمة التى يجب أن يتنبه لها كل مسلم . وكتاب لويس زيتون جرجس المصرى : " لقاء روحى بين القرآن والانجيل والتوراه " يمثل هذا الجانب (١) .

ومنهم من يكتب فى هذا الموضوع من غير تفريق بين ما هو اسلامى وما هو نصرانى أو يهودى ، وقد يخلط بين الأمرين خلطا يموه على القارئ المبتدئ أن ذلك هو رأى الاسلام ، مع أن الاسلام له رأى مخالف لذلك ، أوله رأى يتصل ببعض جزئياته ، دون الموافقة على الجزئيات الأخرى وبهذا الصدد أود أن اشير الى كتاب الرسالات الكبرى " لسنية قراعة ، حشرت فيه بين ما هو اسلامى وبين ما هو يهودى أو مسيحى ، وعرضت فى صفحاته صورا كثيرة للناس ، وكتبت تحتها آيات من القرآن الكريم ، من ذلك ما زعمت الكاتبة أنها صورة آدم وحواء عندما خرجا من الجنة ، وغير ذلك من صور كثيرة زعمت أنها تمثل أنبياء الله وغيرهم . وكتبت تحت جميعها آيات مناسبة ، والاسلام لا يعترف بهذه الصور وغيرها . وانى أحذر من نشر مثل هذا الكتاب فى المجتمع الاسلامى . (٢)

ومن الكتاب من يسلك مسلك المجاملة لأمر ما فيحاول التقريب بين الاسلام والمسيحية مستدلا على ذلك بقوله تعالى بعد وصف اليهود بأنهم أشد الناس عداوة للمسلمين :

---

(١) طبع بمطبعة قاصد خير بالقاهره وقدم له أحد أساتذة الأزهر الدكتور شاكر محمود أحمد .

(٢) الرسالات الكبرى طبع بدار ومطابع الشعب بالقاهرة عام ١٣٨٥ هـ .

(ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) (١) وفيه مغالطة ظاهرة لا داعى الى اللجوء اليها فأن الآية ما نزلت الا فى النصارى الذين أسلموا بدليل قوله تعالى بعد ذلك : (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) ، ذلك أن الجمع بين الحق والباطل لا يمكن لأحد يزاد على ذلك أن الذى أنزل هذه الآية قد أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يدعو النصارى الى كلمة التوحيد ، ولم يأمره بالتنازل عن الحق مطلقا من أجل التعايش السياسى أو المصالح المشتركة. ومنهم من كتب وبين الحق فى كتابه بلا مجاملة ، ولم تأخذه فى ذلك لومة لائم ولعل الشيخ محمد أبا زهرة خير مثل لهذا النوع من الكتاب . وهو الواجب على كل كاتب مسلم ، لأن الكتابة فى مثل هذه الأمور شهادة والشهادة يجب أن تؤدى على وجهها ، والكاتب يجب أن يكتب كما علمه الله وأرجو أن تكون رسالتى من هذا النوع.

والله تعالى أسأل التوفيق الى الحق والى الطريق المستقيم انه سميع مجيب ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) المائدة ٨٢ .

مصادر ومراجع الرسالــــــة

أولا : المصادر الاسلامية :

أ ــ القرآن الكريم

ــ التفاسيـــــر

ــ عمدة التفسير . للامام الحافظ عماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن كثيــر الدمشقى القرشى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ . طبع بمطبعة عيسى البابـــــى الحلبى وشركاه بمصـــر.

ــ الكشاف . لجار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى ولد سنة ٤٦٧ هـ وتوفى سنة ٥٣٨ هـ . طبع سنة ١٣٨٥ هـ بمطبعة مصطفى البابى الحلبى الطبعة الأخيرة.

ــ فتح القدير للامام محمد بن على بن عبدالله الشوكانى ثم الصنعانى . ولـــد ١١٧٣ هـ فى بلدة هجرة شوكان ، وتوفى سنة ١٢٥٠ هـ . طبع بمطبعـــة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٨٣ هـ الطبعة الثانية.

ــ تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل . للشيخ محمد جمال الديـــــن القاسمى . ولد سنة ١٢٨٣ هـ وتوفى سنة ١٣٣٢ هـ . طبع بمطبعـــــة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٦ هـ بتحقيـــــق فؤاد عبدالباقــى .

ــ فتح البيان . للشيخ صديق حسن خان المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ طبـــــع بمطبعة العاصمة بشارع الفلكى بالقاهرة سنة ١٩٦٥ م.

ــ تفسير المنار المسمى تفسير القرآن الحكيم ، الطبعة الرابعة بدار المنـــــار بمصـــر سنة ١٣٧٣ هـ تأليف السيد محمد رشيد رضا (منشىء المنار) .

ــ تفسير المراغى ، للشيخ أحمد مصطفى المراغى الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٤م.

(مابعده/ ٢٩٩)

ب ـ كتب السنة النبوية :

ـ صحيح البخاري للامام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ابن المغيرة بن بردزبه الجعفي ، ولد ببخارى سنة ١٩٤ هـ وتوفى بخرتنك أحدى قرى سمرقند سنة ٢٥٦ هـ طبعة عيسى الحلبى .

ـ صحيح مسلم للامام أبى الحسين ، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى ، ولد سنة ٢٠٤ هـ وتوفى سنة ٢٦١ هـ . طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى بمصر .

ـ التصريح بما تواتر فى نزول المسيح ، للشيخ محمد أنور شاه الكشميرى الهندى ، ولد سنة ١٢٩٢ هـ وتوفى سنة ١٣٥٢ هـ . رتب أحاديثه تلميذه الشيخ محمد شفيع مفتى باكستان ، وحقق نصوصه وراجعها مع التعليق عليها الشيخ عبد الفتاح أبو غدة . طبع بمطبعة الأصيل فى حلب بسوريا سنة ١٣٨٥ هـ . الناشر مكتب المطبوعات الاسلامية بحلب .

جـ ـ مؤلفات أخرى اسلامية :

ـ ابن تيمية . الامام أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم الحرانى ولد سنة ٦٦١ هـ وتوفى سنة ٧٢٨ هـ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . طبع بمطبعة المدنى ، المؤسسة السعودية بمصر سنة ١٩٦٠ م

ـ ابن حزم . الامام أبو محمد على بن حزم الأندلسى الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ، الفصل فى الملل والأهواء والنحل . نشرته مؤسسة الخانجى بمصر ، ويطلب من مكتبة المثنى ببغداد لم يذكر تاريخ طبعه .

ـ أحمد شلبى . الدكتور أحمد شلبى .
مقارنة الأديان . قسم المسيحية . طبعته مكتبة النهضة المصرية الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٣م .

ـ الألبانى . الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى .
وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد فى العقيدة والرد على شبه المخالفين .

— امام الحرمين ، أبو المعالى عبد الملك ابن الشيخ أبى عبد الله ابن أبى يعقوب المعروف بامام الحرمين توفى سنة ٤٧٨ هـ.
— الشامل فى أصول الدين ، طبع بشركة الاسكندرية للطباعة والنشر عام ١٩٦٩ م
— أبو زهرة : الشيخ محمد أبو زهرة :
محاضرات فى النصرانية ، طبع بمطبعة يوسف سنة ١٣٨٥ هـ الطبعة الثالثة .
— أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى :
كتاب التيسير فى القراءات السبع طبع بمطبعة الدولة باستانبول عام ١٩٣٠ م
— رحمة الله الهندى : رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى .
اظهار الحق ، طبع بمطبعة الرسالة أصدرته وزارة الشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية ، اخراج وتحقيق عمر الدسوقى سنة ١٣٨٤ هـ.
— سنيه قراعة
الرسالات الكبرى اصدار مكتب الصحافة الدولى بالقاهرة ، طبع بدار مطابع الشعب بالاتحاد الاشتراكى سنة ١٩٦٦ م.
— شلتوت : الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الجامع الأزهر ، توفى سنة ١٣٨٣ هـ .
الفتاوى : دراسة لمشكلات المسلم المعاصر فى حياته اليومية والعامة .
طبعته دار القلم بالقاهرة الطبعة الثالثة .
— عبد الكريم الخطيب :
المسيح فى القرآن والتوراة والانجيل ، طبع بمطبعة دار التأليف عام ١٣٨٥ هـ الطبعة الأولى ، الناشر ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة .
— عبد الملك بن عبد الله الترجمان :
تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب مخطوط بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية توحيد رقم ٦٦ وكان مؤلفه نصرانيا متبحرا فى علم أصول الدين النصرانى فأسلم .

— علي بن محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي :
شرح العقيدة الطحاوية من منشورات المكتب الاسلامي بدمشق . الطبعة الثالثة بتعليق الشيخ محمد ناصر الدين الالباني .

— القاضي عبد الجبار : أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله الهمذاني الأسد أبادي ولد ما بين سنة ٣٢٠هـ و ٣٢٥ هـ تقريبا ، وتوفى عام ٤١٥ هـ .
شرح الأصول الخمسة ، تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم . حققه وقدم له الدكتور عبد الكريم عثمان . طبع بمطبعة الاستقلال الكبرى الطبعة الأولى عام ١٣٨٤ هـ الناشر مكتبة وهبة .

— القرطبي
الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام واظهار محاسن دين الاسلام واثبات بنوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام . مخطوط بمعهد المخطوطات في جامعة الدول العربية . رقم ٢٩ توحيد . وهو رد على كتاب بعث به أحد النصارى من طليطلة الى مدينة قرطبة فرغ منه بالكرك المحروسى سنة ٦٨٤ .

— محمود بن الشريف :
الأديان في القرآن طبع بدار المعارف سنة ١٩٧٠ م .

ثانيا ـ المصادر المسيحيــــة :

أ ـ الكتاب المقدس

أسفار العهد القديم

الأناجيل الأربعـــة

رسالة أعمال الرسل للوقا

رسائل بولـــــــس

ب ـ الكتب المسيحية المؤلفــة في العقيدة :

ـ ابراهيم سعيد وأندراوس واطـــــون.
شرح أصول الايمان طبع بمطبعة النصر بشبرا فى القاهرة وأصدرته دار الثقافة المسيحية.

ـ الأب فرنسيس فرييــه.
التجسد . ترجمه الى اللغة العربية بتصرف الأب لويس أبادير ، من منشورات المعهد المعادى سنة ١٩٦٢ بالقاهرة.

ـ أثناسيوس الرسولى.
تجسد الكلمة ، ترجمــه الى العربية القس مرقص داود. صدر عن دار التأليف والنشر للكنيســة الأسقفية بالقاهرة . وطبعته دار الجيل للطباعة . رقـــــم الايداع بدار الكتب ٣٦٤٢ لعام ١٩٧٣ م

ـ الياس مقار :
ايمانى أو قضايا المسيحية الكبرى طبع بمطبعة دار العلم العربى الطبعة الثانية ونشرته دار الثقافــة المسيحيــة بالقاهرة.

ـ برنارد جلمســـر :
كل شــىء عن جسم الانسان . طبع بدار المعارف بالقاهرة الطبعة الثالثـــــة سنة ١٩٦٩م

ـ بولس الياس اليسوعــى :
يسوع المسيح شخصيته تعاليمه . طبع بالمطبعة الكاثوليكية فى بيروت الطبعـــــة الثانية سنة ١٩٦٦م.

ــ حبيب سعيد :
أديان العالم طبع بالمطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة ، وأصدرته دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة ، بدون تاريخ .
ــ روهلنج :
اليهودي على حساب التلمود ، يمثل الكتاب أحد شقي كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ترجمة الدكتور حنا يوسف نصر الله ، الطبعة الثانية ببيروت سنة ١٣٨٨هـ .
ــ سيرتوماس . و . أرنولد :
الدعوة الى الاسلام . طبع بالقاهرة سنة ١٩٧١ بمطبعة لجنة التأليف والترجمة ترجمة عبد المجيد عابدين وحسن ابراهيم .
ــ صموئيل مشرقي :
مصادر الكتاب المقدس . طبع بمطبعة الأمانة بالقاهرة عام ١٩٧٣ م .
وحدة الأقانيم . طبع بدار الطباعة العربية عام ١٩٦٣ م " دار الكتب " .
ــ عوض سمعان :
الله ذاته ونوع وحدانيته . طبعته دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة عام ١٩٧٤ م ، وتم ايداعه بدار الكتب تحت رقم ٢٧٥٨ لسنة ١٩٧٤م .
الله طرق اعلانه عن ذاته . أصدرته رابطة الكتاب المسيحيين بالشرق الأدنى بمطبعة النيل المسيحية .
قضية الصلب بين الدفاع والمعارضة . أصدرته دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة سنة ١٩٧٣م .
ــ فايز فارس :
حقائق أساسية في الايمان المسيحي ، طبع بمجمع الكنائس للشرق الأدنى بدار الجيل للطباعة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨ م .
ــ الكانن .و. جردنر وآخرون :
التفاسير البيضاوية المسيحية للرسالة الى العبرانيين . أصدرته دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة . وطبعته مطبعة كوستاف توماس وشركاه طبعة ثانية .
ــ ا ــ كريسي موريسون :
العلم يدعو للايمان . طبعته مكتبة النهضة المصرية الطبعة الخامسة سنة ١٩٦٥ م ترجمة محمود صالح الفلكي .

— لبيب ميخائيل :

هل المسيح هو الله ؟ طبع بالمطبعة التجارية الحديثة الطبعة الثانية عام ١٩٧٢م

— لويس زيتون جرجس :

لقاء روحى بين القرآن والانجيل والتوراة ، طبع بمطبعة قاصد خير بالقاهرة. رقم الايداع بدار الكتب ٤٠١٥ لسنة ١٩٧٤م.

— منيس عبدالنور :

القاب المسيح ، طبعته دار الجيل للطباعة طبعة أولى سنة ١٩٦٨م

— موريس يقارينى :

تاريخ الكنيسة ، نقله عن الفرنسية الأب ج . عقيقى اليسوعى . طبعته دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٥م . ونشره المعهد المعادى.

— ول ديورانت :

قصة الحضارة . ترجمة محمد بدران . طبع بمطابع الدجوى بالقاهرة الطبعة الثالثة عام ١٩٧٣م وأتفقت على ترجمته الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية.

— هانى رزق :

يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته . طبع بمطبعة النصر طبعة ثانية سنة ١٩٧١م

— يسى منصور :

نقد انجيل برنابا . طبعته مطبعة دار نشر الثقافة بالقاهرة سنة ١٩٧٣م

— لجنة التاريخ القبطى :

تاريخ الامة القبطية . الحلقة الثانية خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر . طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر طبعة ثالثة عام ١٩٢٥.

— الله يتجلى فى عصر العلم :

تأليف نخبة من العلماء الامريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض ، وأشرف على تحريره جون كلوفر مونسما ، وترجمه الدكتور الدمرداش عبدالمجيد سرحان ، راجعه وعلق عليه الدكتور محمد جمال الدين الفندى ، الناشر مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلن للطباعة والنشر القاهرة — نيويورك . الطبعة الثالثة عام ١٩٦٨م.

_ انجيل برنابا :

طبع بمطبعة محمد على صبيح بالقاهرة سنة ١٩٥٨ م على نفقة مطبعة المنـــار وقدم له كل من السيد محمد رشيد رضا ه سنة ١٣٢٦ هـ والدكتور خليـــل سعادة سنة ١٩٠٨ م.

_ موسوعة تاريخ العالم :

ترجمـة محمد محمـود الصيـاد . طبـع بمكتبـة النهضـة المصريـة.